Shi ism in Andalusia Poetry

By : Essa Selman Darwish

A Thesis submitted to the Council of college of Education

Department of Arabic Language in University of Babylon , as

abbatial fulfillment to the Requirements of Philosophy Degree

in Arabic Language and Its Arts .

D . Prof . Hana Jawad Abd AL sada.

1428 A.H 2008 AD

التشيع
في الشعر الأندلسي

أطروحة تقدم بها

عيسى سلمان درويش

إلى/ مجلس كلية التربية في جامعة بابل

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ. د هناء جواد عبد السادة

1428هـ **2007م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾
القصص /5

صدق الله العلي العظيم

شكر وتقدير

أقدم خالص شكري وتقديري إلى :

❖ أستاذتي المشرفة (أ0د هناء جواد عبد السادة) ، لما أبدته من تعاون أثمرت نتائجه في وصول الرسالة إلى ميدان المناقشة فجزاها الله عني خير الجزاء 0

❖ رئيس قسم اللغة العربيّة ، الدكتور عامر عمران الخفاجي والأستاذ الدكتور علي ناصر غالب ، لدماثة خلقهما في ابداء العون اللازم 0

❖ أساتذتي في السنة التحضيرية 0

❖ الدكتور قيس حمزة الخفاجي لما ابداه من عون 0

❖ زملائي الذين مابرحوا يقدمون العون : د0 عباس الجراخ ، و د0 ظاهر محسن ، وهادي طالب ، ومثنى عبد الرسول ، وصادق الطريحي والسيدة نادية حميد حسون التي تفضلت مشكورة بترجمة الملخص 0

❖الآنسة رؤى حقي لما ابدته من عون 0

❖مكتبة جامعة الحلة الدينية بكادرها الذي أتحفنا بكرمه 0

❖ مكتبة الحلة المركزية بكادرها الذي لم يدخر وسعاً في سبيل المساعدة 0

❖ ذويي لما أبدوه من مؤازرة 0

الإهداء

إليك

وأنت لم تزل جرحاً بالكبر يبوحُ

وحزناً على مرِّ الزمان ينوحُ

أهدي ما كتبتُ ورجائي القبول 0

عيسى سلمان

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا قد اطَّلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(التشيع في الشعر الأندلسي) التي أعدها الطالب (عيسى سلمان درويش) وقد ناقشناه في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، وهي جديرة بالقبول بتقدير ( ) لنيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها ـ أدب 0

عضو اللجنة
الاســم :
الإمضــاء :
التاريــخ :

عضو اللجنة
الاســم :
الإمضــاء :
التاريــخ :

عضو اللجنة
الاســم :
الإمضــاء :
التاريــخ :

عضو اللجنة (المشرف)
الاســم :
الإمضــاء :
التاريــخ :

عضو اللجنة
الاســم :
الإمضــاء :
التاريــخ :

رئيس لجنة المناقشة
الاســم :
الإمضــاء :
التاريــخ :

أصادق على ما جاء في قرار لجنة المناقشة

عميد كلية التربية

الاســم :
الإمضــاء :
التاريــخ :

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(التشيع في الشعر الأندلسي) التي تقدم بها الطالب (عيسى سلمان درويش) جرى بإشرافي ، في كلية التربية ، جامعة بابل ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها ـ ادب0

الإمضاء :
المشرف :
التاريخ : / / 2007م

بناء على التوصيات المتوافرة أُرشِّح الرسالة المذكورة للمناقشة 0

الإمضاء :
رئـــــيس قســـــم اللغـــــة العربيـــــة :
أ0م0د0 عـــــامر عمـــــران الخفـــــاجي
التـــــــــــــــاريخ : / / 2007م

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة 0	أ ـ ت
التمهيد : مفهوم التشيع ومكانته في الأندلس :	7-1
ـ التشيع في اللغة والاصطلاح 0	4-1
ـ المكانة الاجتماعية والسياسية للمذهب الشيعي في الأندلس 0	7-5
الفصل الأول : التشيع في الأندلس :	35 -8
1ـ الدولة الحمودية 0	18 -10
2ـ الدولة الشيعية العبيدية 0	26 -19
3ـ دولة الموحدين 0	33-27
4ـ ملخص الفصل 0	35 -34
الفصل الثاني : المديح الشيعي في الشعر الأندلسي 0	99 - 36
1ـ مديح الإمام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) 0	49 -40
2ـ مديح معز الدين الفاطمي 0	64 - 50
3ـ مديح آل حمود 0	82 -65
4ـ مديح الموحدين 0	95 - 83
5ـ مديح الأشراف العلويين 0	99 - 96
6ـ ملخص الفصل 0	99
الفصل الثالث : رثاء الحسين في الشعر الأندلسي 0	139 -100
الفصل الرابع : الشعر السياسي وأغراض متفرقة 0	168 - 140
1ـ الشعر السياسي 0	159-141
2ـ الوصف 0	161 - 160
3ـ التوسل 0	165 - 162
4ـ الفخر 0	167 - 166

5- ملخص الفصل 0	168
الخاتمة 0	172 - 169
المصادر والمراجع 0	180 - 173
ملخص باللغة الانكليزية 0	A

التشيع في اللغة والاصطلاح :

أصل الشيعة في اللغة : الفرقة من الناس ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر المؤنث ، بلفظٍ واحدٍ ومعنى واحد ، وقد غلب هذا الاسم على من يتولّى عليّاً وأهل بيتهِ حتى صار إسماً خاصّاً ، فإذا قيل : فلان من الشيعة عُرفِ أنّه منهم ، وفي مذهب الشيعة كذا ، أي عندهم 0 وأصل ذلك من المشايعة ، وهي المتابعة والمطاوعة قال الأزهري : ((والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبيّ ، ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ويوالونهم))[1] 0 أمّا ابن الأثير فيذهب المذهبَ نفسه[2] ، وفي المعجم الوسيط ، الشيعة ((الفرقة والجماعة ، 000 وفرقة كبيرة من المسلمين اجتمعوا على حب عليّ وآله وأحقيتهم بالإمامة))[3] 0

أما في الكتاب العزيز فقد جاء لفظ الشيعة في مواضع عدّة ، منها قوله تعالى : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [5] ، وتعني في الآية الأولى كما يذكر الزمخشري في تفسيرها ((أي مما شايعه على دينه من بني إسرائيل)) [6] ، وفي الآية الأخرى : ((ممن شايعه على أُصولِ الدين أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة الكذابين))[7] 0

فالشيعة بناءً على ما ذُكِرَ هم القوم الذين يجتمعون على أمر معين ، وكلّ قوم اجتمعوا

([1]) لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت ، مادة (شيع) : 189 0

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين أبي السعادات (ابن الأثير) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 2001 : 740/2 0

(3) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا ، د0ط ، د0ت : 503/2 0

(4) القصص / 15 0

(5) الصافات / 83 0

(6) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل ، الزمخشري : (538هـ) ، ضبطه : محمد عبد السلام ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2003 : 384/3،385 0

(7) م 0 ن : 46/4 0

على أمرهم ، فهم شيعة [1] ، لذلك كان اجتماع من فضل عليّاً علي غيرهِ وأقر بالولاء له إنما يجري ضمن هذا النطاق لذلك سمّوا شيعة فيما بعد ، ولعلّ السؤال الذي يطرح نفسه هو متى شايعَ هؤلاء عليّاً ، وكيف ؟ 0

تختلف الآراء التي قيلت في نشأة التشيّع ، فمنها من يرى أن التشيّع إنّما ظهرت بوادره في حياة النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ [2] ، ومنها من يرى أنّه ابتدأ منذ يوم السقيفة [3] ويرى دارسون أنَّ الشيعة تكونت يوم فتنة الدار ، أيام مقتل الخليفة عثمان بن عفّان [4] ويرى آخرون أنها تكونت في يوم وقعة الجمل في البصرة [5] ويرى آخرون أنّها تكونت يوم خروج الخوارج بصفّين ولكلٍّ وجهة نظر في رأيه الذي يراه ، لكنّنا لسنا في مجال استبيان الآراء ومعالجتها ، لأنّ الموضوع خارج نطاق عملنا وعلى الأعم الأغلب ، أنَّ ظهور التَشيّع بوجه عام ليس وليد موقف واحدٍ كيوم السقيفة أو قبله عند غدير ((خم)) عندما رجع النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ من حجّة الوداع ، أو يوم الجمل ، أو أيام مقتل عثمان أو في صفّين ، إنما كانت هناك بواعثُ أدت إلى علو كعب علي ﴿عليه السلام﴾ وقد رسخها الرسول الأعظم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ في مواقف كثيرة وهي التي أدّت إلى انقسام الناس بين مؤيد ومعارض ويروي أبو سعيد الخدري ، كما ينقل لنا صاحب الصواعق المحرقة أنّه ((ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلاّ ببغض علي بن أبي طالب))[6] 0

وعلى هذا النحو كان أنصار عليّ ﴿عليه السلام﴾ قد محصوا على مر المراحل التي مرّت بها

---

(1) ينظر: اللسان : مادة شيع : 188 0
(2) ينظر: الصواعق المحرقة ، ابن حجر الهيثمي ، تحقيق : عبد الوهاب اللطيف ، مكتبة القاهرة ، د0ط ، د0ت : 96 ، 161 0
(3) ينظر: فجر الإسلام ، د0 أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ط2 ، 1935 : 309/1 - 311 0
(4) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الأندلسي ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 : 19/3 0
(5) ينظر: الفهرست ، تأليف : محمد بن أبي يعقوب (ابن النديم) ، ضبطه وشرحه ، د0 يوسف علي طويل ، وضع فهارسه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2002 : 307 0
(6) الصواعق المحرقة : 75 0

حياة عليّ ، فثبت تشيعهم 0

ولم تكن فكرة الذين انحازوا إلى الإمام يوم السقيفة ، ورفضوا مبايعة أبي بكر - ومهما كان عددهم - وليدة ساعتها ، إنّما هناك ظروف قد هيأت لتكوين ثوابت معيّنه قد حققت حضورها الفاعل في مثل هذا الوقت بالتحديد ، ابتداءً بملازمة الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ للنبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، وإثبات مودة أهل بيته في القرآن الكريم ، بقوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[1] ، وانتهاءً بقوله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ : ((أنت وصييّ وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى أما والله لو وليتموها عليّاً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم))[2] ، لكن تلك الوصية قد تجاهلت من لدن كثرٍ من الناس فكان أن افترقت الأمّة الإسلامية على ثلاث فرق بعد وفاة الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ففرقة إدعت الإمرة والسلطان ، وهم الأنصار ، وفرقة مالت إلى جنب أبي بكر ، وثالثه سميت الشيعة لانضمامهم إلى عليّ بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ومنها افترقت صنوف الشيعة كلها[3] ، وهذه الصنوف أو الفرق كثيرة ليس المجال هنا مناسباً للتفصيل فيها0

والشيعة في كلِّ ما قالوا تتفق عقائدهم مع غيرهم من المسلمين ، أمّا الإمامة فهي واجبة عندهم ، وعند جمهور المسلمين ، ويعدّها الشيعة منصباً إلهيّاً ، كمنصب النبوّةِ ولكنّها أدنى منزلةً ، والإمام نائب عن النبيّ ، وهي لا تكون إلاّ بنصّ أو تعيين ، والمعيّن لا بدّ أن يكون

(1) الشورى / 23 0
(2) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، لأبي القاسم عبد الله النيسابوري ، (ت 470 هـ)، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، طهران ، ط1 ، 1411هـ : 453 0
(3) فرق الشيعة ، أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي ، صححه وعلق عليه : السيد محمد صادق آل بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشراف ، د 0ط ، 1936 : 2 0

معصوماً كالنبيّ[1] ، وبالنصِّ والعصمةِ والأفضليّة ثبتت إمامة الحسن [2] والحسين [3] ، وإمامة علي بن الحسين [4] ، وإمامة محمد بن علي الباقر [5] ، وإمامة جعفر الصادق [6] ، وإمامة موسى بن جعفر (الكاظم)[7] ، وإمامة علي بن موسى الرضا [8] وإمامة محمد بن علي الجواد [9] ، وإمامة علي الهادي [10] ، وإمامة الحسن العسكري [11] ، والإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي (عج)[12] 0

المكانة السياسيّة والاجتماعية للمذهب الشيعي في الأندلس

لم نحظَ بما يؤكد مكانة المذهب الشيعي في بلاد الأندلس ، من المصادر التي تناولت بالدراسة تاريخ الفكر في الأندلس ، ولا سيما كتاب

([1]) ينظر : عقائد الإماميّة ، محمد رضا المظفر ، قدم له ، د0 حامد حفني ، دار التعارف للمطبوعات ، لبنان ، بيروت ، د0ط ، 2003 : 63 0

(2) ولد سنة اثنين بعد الهجرة ، وقضى﴿عليه السلام﴾ في آخر صفر من سنة 49هـ ، ينظر: أصول الكافي : 524/1 0

(3) ولد سنة ثلاث من الهجرة ، وقبض ﴿عليه السلام﴾ في شهر محرم سنة 61هـ ، ينظر : م0ن : 526/1 0

(4) ولد سنة ثمان وثلاثين ، وقبض سنة خمس وتسعون : ينظر: م0ن : 530/1 0

(5) ولد سنة سبع وخمسين ، وقبض سنة 114 ، ينظر: م0ن : 533/1 0

(6) ولد سنة ثلاث وثمانين ، وقبض وله 65 سنه ، ينظر: م0ن : 537/1 0

(7) ولد سنة مئه وثمان وعشرين ، وقبض سنة ثمان وثلاثين ومئه ، ينظر م0ن : 541/1 0

(8) ولد سنة ثمان وأربعين ومئه ، وقبض سنة ثلاث ومائتين ، ينظر: م0ن : 554/1 0

(9) ولد سنة خمس وتسعين ومائه ، وقبض سنة عشرين ومائتين : ينظر: م0ن 561/1 0

(10) ولد سنة اثنتي عشرة ومئتين ، وقبض سنة أربع وخمسين ومائتين : ينظر: م0ن : 574/1 0

(11) ولد سنة اثنتي عشرة ومئتين ، ومضى سنة أربع وخمسين ومائتين : ينظر: م0ن : 567/1 0

(12) ولد سنة خمس وخمسين ومائتين ، منتصف شعبان ، ينظر: م0ن : 587/1 0

((تاريخ الفكر الأندلسي)) لمؤلفه انخل جنثالث بالنثيا الذي عرج في الفصل العاشر من كتابه على أصول علم الفقهِ في الأندلس ، فذكر المذاهب الفقهيّة : المالكي [1] والشافعي [2] والظاهري [3] ، و كان المذهب المالكي هو الأوسع انتشاراً بالأندلس : وسبب ذلك كما يقول ابن خلدون إنَّ البداوة ((كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضًا عندهم ، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب)) [4] إذ إنَّ المؤلف لم يذكر الفقه الشيعي ، ولعلَّ الذي أدى به هذا المودّى هو أن المصادر التي اعتمدها والتي أرخت لدولة الإسلام في الأندلس كان مؤلفوها من أنصار بني أمية والمؤتمرين بأمرهم ، ثم أنَّ المذهب الشيعي ولا سيما في عصر الإمارة الأموية كان على الأرجح منبوذا ، لأن الشيعة كما يرى الأمويون هم أعداء لهم وعلى وفق هذا النحو ظل الأمويون في سلوكهم مثلما قال عز الدين عمر موسى محقق كتاب ((درر السمط في خير السبط)) في مقدمتهِ للكتاب ((ولم يكتف الناصر والمستنصر بتتبع الشيعة في مملكتها وقتلهم وإنّما سعى الناصر خاصة إلى زعزعة كيان الدولة الفاطمية في أفريقية بتأييد الثوار عليها ، حتى وإنْ كانوا خوارج اباضيّة مثل أبي يزيد مخلد بن كيداد))[5] وقد حرص الأمويون على محاربة التشيع المذهبي بوسائل متعددة ، ولا سيما على صعيدي الفكر والأدب ، فعلى ما يذكر صاحب الصلة أن المستنصر قد طلب تأليف كتاب انساب الطالبيين خاصة الذين قدموا إلى المغرب ، وقد صنف له ابن الشبانيّة كتاباً فيما طلب

(1) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي ، انخل جنثالث بالنثيا ، نقله عن الأسبانية ، حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، د0ط ، 1955 : 417 0

(2) م0ن : 439 0

(3) م0ن : 439 0

(4) مقدمة ابن خلدون ، العلامة ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، د0ط ، د0ت : 449 0

(1) ينظر: درر السمط في خبر السبط ، محمد بن عبد الله القضاعي ، تحقيق : عمر عز الدين موسى ، القاهرة ، مصر ، د0ط ، 1987 م : 38 0

وعلى ما يبدو أن الغرض الذي كان يرومونه ذو طابع سياسي ، وفي الوقت نفسه صنف قاسم بن أصبغ كتاباً في فضائل بني أميّة ، كما يذكر صاحب نفح الطيب [1] ونظم ابن عبد ربّة أرجوزة أسقط فيها خلافة علي ﴿عليه السلام﴾ ، وعدَّ معاوية بن أبي سفيان رابع الخلفاء :

بالمنـــذرِ بـــن محمـــدٍ شَـــرُفَتْ بـــلادُ الأنـــدلس

فـــالطير فيهـــا ســـاكن والـــوحش فيهـــا قـــد انـــس

حتى قيل إن تلك الأرجوزة ، شقت على المعزّ الفاطمي وساءَه ما تضمنتهُ من الكذب والتمويه إلى أن عارضها شاعره الأيادي التونسي بأخرى [2] :

ربـــع لزينـــب قـــد درس واعتـــاض مـــن نـــطق خـــرس

لذلك يرى عز الدين أنّ التشيع لم يجد له طريقاً في الأندلس حتّى بعد أن أدبرت دولة بني أمية ، وأعرض الناس عنهم ، وأصبح الانتساب لهم يعرض صاحبه للخطر كما يذكر ابن الخطيب ، أنه ((نودي في الأسواق والأرباض بقرطبة ألاَّ يبقى أحد من بني أمّية وألاّ يكنفهم أحد من أهل المدينة))[3] 0

ويذكر أيضاً انه لا يستبعد وجود الشيعة في الأندلس ليس بناءً على أمورٍ مستجلبته إنَّما بناءً على محددات موضوعيّة أملاها علينا الواقع التاريخي في الأندلس كقيام دولة بني حمود فبلاد الأندلس كغيرها من البلاد الإسلامية التي قد استوطنها الشيعة فمثلاً في أيام بني حمود تهيأ مناخ لنشوء أدب شيعي وذلك لأن بني حمود كانوا علويين ، واخذوا السلطة من الأمويين ، ويلاحظ أنَّ الشعراء الذين مدحوا علي بن حمود أو إدريس بن يحيى من أمثال ابن درّاج القسطلي وعبادة بن ماء السماء وابن مقانا ، في كل هذا لا يظهر أثر للمذهب

(2) ينظر: نفح الطيب ، احمد بن محمد المقري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط2 ، 1949 م : 184/1 0

(3) ينظر: وفيات الأعيان : 111/1 - 112 0

(4) أعمال الأعلام أو تاريخ اسبانيا المسلمة ، لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، بيروت ، د0ط ، 1956 : 139 0

الشيعي في شعرهم ولا يخرج قائله عن نطاق ما يقول به أهل السنة [1]

قد يكون في ما قد قيل بعض الصحّة ، لكن على الرغم من تمكن الأمويين, وقسوتهم واضطهادهم ، فإن البوادر التي كانت موجودة والتي مهدت لدخول الحموديين إلى بلاد الأندلس ، ودعت الحموديين إلى ما دعتهم إليه ، هي بوادر شيعية فإذا لم تكن محضة فإنَّ هواها مع الشيعة لا محالة ، وسيتبين لنا ذلك من خلال ما سنطلع عليه من شعر يدخل ضمن حدود هذا المذهب ، وسيكون المعجم الشعري لهؤلاء الشعراء ، دليلاً واضحاً على أنَّ ما يمكن أنْ يستدل به من أفكار هو جزء لا يتجزأ عما يعتقد به الشيعة 0

(1) ينظر: درر السمط في خير السبط : 38 0

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكرهِ ، وسبباً للمزيد من فضلهِ ودليلاً على آلائه وعظمتهِ ، والصلاة والسلام على خير خلقهِ ، وأمين وحيه ، وخاتم رسله محمد الهادي وآله ، وبعد 0

فلابد لنا من القولِ في أنّ التأثير الذي قد أحدثه المذهب الشيعي في المشرق أدّى ما كان مرجواً ، لا على صعيد الانتصار الماديّ ، لكن الانتصار المعنوي الذي حققته ثورة الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾ ، قد كفل لهذا المذهب أن يكون له وزنه الخاص في ميدان العمل السياسي والفكري 0

وقد كان هناك من الأسباب ما أدى إلى نزوح بعض أهل هذا المذهب ، ورجالاته إلى أصقاع شتّى ، ومنها الأندلس ، فكان إن دانت لموالاتهم بعض مدنها فكان منهم الأمراء ، ومنهم ما دون ذلك 0

ولمّا كان الأدب والشعر منه بوجه خاصّ ، الأداة الطيعة في نشر فضيلة هذا المذهب والدفاع عنه ، ولما كان هذا الشعر يمثل جزءاً مهماً من الشعر الأندلسي بصورة عامّة ، وإن كان في حجمه متواضعاً إذا لم نقل صغيراً ـ فإنه قد عبر وفي مدة زمنيّة معينه عن جزء مهم من تاريخ هذا المذهب في تلك البلاد ، ولظروف كانت سائدة أغفل وجود هذا المذهب وأُغفل الأدب المتصل به في تلك البلاد ، ولمّا آن الأوان كان لا بد من تقديم دراسة تكشف النقاب عن هذا التراث الأدبي الأندلسي ، الشيعي في آن معاً 0

ولمّا كان هذا الموضوع بكراً فإن الباحث لم يجد من المصادر ما يسعفه في دراسته تلك إلا إذا استثنينا ما كتبه الدكتور محمود علي مكي عن التشيع في كتابهِ ((التشيع في الأندلس)) ، ودراسة الدكتور عبد السلام الهراس في مجلة المناهل ((مأساة الحسين في الشعر الأندلسي)) ، و حركات التشيع في المغرب ومظاهرهُ للدكتور عبد اللطيف السعداني ، وما عداها كان عبارة عن مصادر قد أرخت للأدارسة والفاطميين والموحدين ، ولاسيما كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ، وتاريخ ابن خلدون و

دولة الإسلام في الأندلس للدكتور محمد عبد الله عنان ، وغيرها ، ومما يجدر ذكره أن الباحث قد استنار بطريقة الدكتور محمود البستاني في تناوله للنصوص في كتابة الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي ، وقد اعتمد بعض المصطلحات التي تتعلق بالصورة والتي أوردها في كتابه هذا 0

وقد اقتضى منهج البحث الأدبي أن تكون الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول 0

أما التمهيد فقد تناول فيه الباحث معنى التشيع في اللغة والاصطلاح مضافاً إليهِ المكانة السياسيّة والاجتماعية للمذهب الشيعي في تلك البلاد 0

أمّا الفصل الأول فقد كان تحت عنوان التشيع في الأندلس ـ نظرة تاريخيّة وقد تضمن هذا العنوان عنوانات فرعية ، تناولت دولة الحموديين ، والفاطميين ، والموحدين ، على أن هذا التناول التاريخي صحبه أيضاً تناولٌ للأشعار التي قيلت بحقّ هؤلاء ، وانتهى هذا الفصل بموجز بيّن أثر المغرب العربي في دعم هذا المذهب ونشر فضائله في بلاد الأندلس ، إذ كان قاعدة الانطلاق الرئيسة لنشره في تلك البلاد ، وقد تبيّن لنا أيضاً أن الشعر الذي قد قيل لم يتجاوز الأغراض التقليدية من مثل المديح ، و الرثاء ، والشعر السياسي ، فضلاً عن أغراض أخرى كان ورودها متفاوتاً ، وهذه الأغراض قد تناولتها الفصول الثلاثة الباقية على الترتيب 0

فقد تناول الفصل الثاني ((المديح)) الذي كان أكثر تلك الأغراض شيوعاً مما عكس حجمه على الفصل ، وقد ألجأ الباحث إلى أن يْدرسه بطريقة قد تبدو مختلفة نوعاً ما عن الفصول الأخرى من أجل أن يسيطر على سعة الفصل 0 إذ بدا طويلاً قياساً بالفصول الأخرى ، وقد تضمن مدح علي وأبنائِهِ ﴿عليهم السلام﴾ ، ومديح الحموديين ومديح المعز لدين الله الفاطمي ، ومديح الموحدين ، وانتهى الفصل بخاتمة بين فيها الباحث الأسس الفكرية التي انطلق منها الشعراء في مدائحهم الشعرية ، عاكسين من بعيد أو قريب رؤاهم التي تمثلت فيها القيم الشيعيّة 0

أمّا الفصل الثالث فقد اختص بـ((رثاء الحسين)) فقط لأننا لم نجد أحداً من الأمراء أو الأشراف الذين ينتسبون لآل البيت إلاّ وقد رثي رثاءً لم يبدُ فيه اثرٌ للتشيّع وقد بينا ذلك في الفصل ، وانتهى الفصل بملخص بين فيه الباحث تلك الخلجات النفسيّة التي انتابت الشعراء وهم يتناولون مأساة كربلاء بدموع مدرارة وجوارح متأججة بنار الغضب على قاتلي الحسين ﴿عليه السلام﴾ 0

وقد بين الفصل الرابع الذي كان تحت عنوان ((الشعر السياسي وأغراض متفرقة)) ماهية هذا الشعر والأُطر التي يتحرك في ضمنها الشاعر معبراًً عن الأفكار التي تبنَّاها وبلغة يطغى عليها أسلوب النقد اللاذع ، ورأينا أنَّ ابن هانيء هو الشاعر الوحيد الذي اختص في هذا المجال ، أمّا الأغراض الأخرى ، كالوصف والفخر والتوسل ، فقد كان ورودها قليلاً جداً إذا ما قيس بالأغراض الأُخرى ، على أننا لا نعني بهذه الأغراض ، إلاّ تلك التي تتبنى أفكاراً تنتصر للمذهب الشيعي 0

وأخيراً انتهت الدراسة بخاتمة بيّن فيها الباحث أهم ما أمكن استخلاصه من تلك الدراسة من نتائج كان لها دورها في تأصيل فكرة وجود هذا المذهب في بلاد الأندلس وانعكاسه على الشعر ثمّ تلا الخاتمة ثبت لأهم المصادر والمراجع التي استقى منها الباحث معلوماته ، ثم ملخص باللغة الإنكليزية 0

وفي الختام ثنائي العطر وشكري الذي لا تحدّه حدود لأستاذتي المشرفة (أ0د0 هناء جواد عبد السادة) ، لما أبدته من عون ، فجزاها الله عني خير الجزاء 0

والحمد لله أولاً وآخراً 0

لعلَّ التراث الأدبي الإسلامي لم يلق من العناية ذلك القدر الذي يؤهله لكي يؤدي وظيفته ، بصورة تمكنه من أن يفرض نفسه كنتاج يعبر عن رؤية تستمد أبعادها من علائق مشتركة تفرضها طبيعة الانتماء الروحي لهذا التراث ، بحيث يتمخض عن هذا الاشتراك العلائقي أبعادٌ تهيمن على ثقافة المسلمين وتركز على الاعتزاز به لكونه يوجز القضيّة التي يتبناها بفنيّه تؤثر في وجدان المتلقي 0

ولعلَّ الأدب الشيعي ، ولا سيما الشعر منه قد أوجد حضوره بصيغة تبدو مناسبة على طول المسافة التي قطع شوطها الأدب ، فبين التردي تارةً ، وبين الحضور الناجز الذي تفرضه طبيعة المواقف السياسيّة تارة أخرى ، كانت حالته تكشف عن هذا الحضور مبشرّاً بما تحقق من إنجازات على صعيد التعبير عن رؤيتهِ بصوره واقعيّة، ابتداءً بثورة الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾ مروراً بالثورات التي قام بها رجالات البيت العلوي وأنصارهم ، ضد كل أنواع الاستلاب التي كانت تفرضها مطامع الساسة الذين تحكموا برقاب الناس ومصائرهم 0

إنَّ هذا النتاج الخصب قد اشتركت في تكوينه عوامل كثيرة ممتزجة بالسياسة ، والدين والفلسفة ، وكثير من البواعث التي كان يرى فيها الشاعر أنها تعبّر عن قضيّته تلك بالصورة التي تحقق حضوراً فاعلاً ، إذ ظهر هذا النوع من الرؤى بصورة تنم عن شعور حقيقيّ تجاه هذا المذهب ، معبراً عنه بصدق أبرز من خلالِهِ الدافع الإيماني بهِ ، والاحتجاج لأجلهِ والدفاع عنه ، وإبراز خصائصه ، وفضل رجالاته ومواقفهم 0

وقد أوجب هذا الأدب ولاسيما الشعر حضوره في كلِّ الأصقاع التي عمرها الإسلام فكانت بلاد الأندلس ، بدءً بالمغرب العربي ، مهداً آخر للتشيّع ، ومن هنا كان لزاماً علينا أن نذكر بشيء من الإيجاز انتقال هذا المذهب إلى تلك البلاد ، ليتسنى لنا أنْ نلمَّ برؤية موضوعيّة تلم الأشتات التي نتج عنها وجود دولة شيعية في بلاد الأندلس فأنتجت أدباً قد عبّر عن وجودها بصورة أو بأُخرى ، على الرغم من وجود الأمويين الذين كانوا على عداء سياسي ومذهبي مع الفاطميين ، فضلاً عن تنافس الطرفين في السيطرة على المغرب

الأقصى ، ويبدو أنَّ حركات التمرد التي شهدتها الأندلس ولا سيما في عهد عبد الرحمن الناصر ، كانت ضد سياسة الأمويين التعسفية [1] 0

قد يقول قائل إنّ الفتنة التي سادت بلاد الأندلس ، ابتداء بنشوء دول الطوائف ، وسوء علاقاتهم مع بعضهم ، واستمرار الأوضاع السياسيّة بالانهيار أدى كلّ ذلك إلى حدوث رجّة غير اعتيادية في حياةِ الأندلسيين ، على الرغم مما كان ينتظره بعض الأندلسيين من التغيرات التي سوف يحدثها المرابطون لكنّ مأساة الطوائف جعلت من هؤلاء الأدباء وغيرهم ممن كانوا ينتفعون بحكم الرؤساء وأشباه الملوك ، أن يبكوا أسيادهم بكاءً مرّاً فيه إخلاص لهم ، ومع انفتاحهم على هذا النوع من الرثاء ، كان لا بدّ لهم من أنْ يتعزوا بمصيبة الحسين وآل بيته ﴿عليهم السلام﴾ ، فالأسباب التي أدّت إلى أن يسلك هؤلاء هذا السلوك هي أسباب نفسيّة [2] ، إذ لم يكونوا شيعةً في أغلب الأحوال ، لكنّ الأمر الذي نراه أن دولة بني أميّة قد انقرضت من الوجود السياسي نهائياً ـ وإنْ بقي بعض الموالين لها ـ فكان ذلك مدعاةً لأن يرتفع الصوت الشيعي الذي عانى الظلم والاضطهاد ، وأن يعبر عن نفسهِ ولو بتلك الصورة التي تبدو معالمها غير واضحة جداً ، لأن التشيع كان منذ بداية أمرهِ قد اتخذ صيغة مضادة للعصبيّة العربيّة ولما كان قيامه على الموالي في المشرق ، كان البربر في المغرب العربي ، هم القاعدة التي استجابت لهذه الدعوة ، لأنّ البربر الذين اشتركوا مع العرب في الفتح ، لم يأخذوا حقهم من مغانم الانتصار وثمراته لذلك يمكن أن يقال إنّ ثائرتهم قد ثارت ضد الاستلاب الذي عانوه من حكامهم ، فكانت الثورات التي قاموا بها كثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي ، أخطر الثورات التي هددت الحكم الأموي في الأندلس ، ولم يستطع عبد الرحمن الداخل القضاء عليه ، إلاّ بمؤامرة دبرها له [3]، ولعل هذهِ المحاولة هي المحاولة الأولى لقيام دولة شيعية في المغرب الإسلامي ، فكانت تلك البداية تمهيداً لتتابع دُولٍ شيعيّة

(1) ينظر: ترصيع الأخبار ، وتنويع الآثار ، العذري ، تحقيق : عبد العزيز الأهواني ، مدريد ، د 0 ط ، 1965 : 12-15 ، و 39 - 40 0

(2) ينظر: مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، د0 عبد السلام الهراس ، مجلة المناهل ، الرباط ، العدد ، 14 ، سنة 1979 : 91 – 92 0

(1) ينظر: التشيع في الأندلس ، د0 محمود علي مكي ، مكتبة الثقافة الدينيّة ، القاهرة ، ط1 ، 2004 : 9- 10 0

في المغرب العربي فشمل تأثيرها الأندلس ليقض مضاجع الحكام الذين استبدوا في حكمهم ، فكانت تلك الدول على النحو الآتي :

1- الدولة الحمودية :

تمكن الأدارسة من أن يقيموا دولتهم في بلاد المغرب ، ومن ثم أمتدّ نفوذهم ليشمل بعض بلاد الأندلس ، ويذكر ابن قتيبة ((أنّ نفراً من ولد إدريس بن عبد الله بن حسن ، أيام طلبه الرشيد فحبسه عند جعفر بن يحيى فروا إلى المغرب ، فوقعوا ببلاد أفريقية ، ثمّ رفضتهم آفاقها إلى طرف بلاد البربر ، فنكحوا إليهم وتبر بروا معهم))[1] ، ويفصل العذري القول في ذلك بحسب ما يذكر المراكشي ، من أنّ إدريس وسليمان ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب هربوا من وقعة فخ * ، أيام الخليفة العباسي ، الهادي حفيد المنصور ، وكانوا ستة أخوة ، تفرقوا في البلاد ، وكان إدريس قد فرَّ إلى بلاد المغرب ، ودخل معه من الطالبيين أخوه سليمان ، فأحتلّ بتلمسان وداوود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب فلم يبقَ منهم إلاّ إدريس إذ رجع داوود إلى المشرق ، وترك ذريَّته أمّا سليمان فإنّه توفي ولم يعقب ، استوطن إدريس ((وَليلى)) حين وصل إليها مع مولاه راشد ، فنزل على اسحق بن عبد الحميد سنة 172هـ ، فلقي حضوة عند البربر ، فقدموه عليهم ، وفي سنة 175هـ ، مات إدريس مسموماً * فقام بأمر البرابرة من بعده مولاه راشد ، وترك إدريس جارية بربرية اسمها ((كنزه)) فولدت له غلاماً سمي باسم أبيه ، فتولى الغلام أمر البرابرة ولم يزل ابن أحدى عشرة سنة ، وبايعته جميع القبائل ، وقد ترك من الولد محمد ، وأحمد

---

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ، تحقيق : د0 إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، د0ط ، 1975 ، ق1م1 /96 0

(*) وهو موضع قريب من مكّة قتل فيه الحسين بن علي بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، هو وجماعة من أهل بيتهِ ، حينما اشتدت شوكتهم وبايعهم الناس وطردوا عامل الخليفة العباسي الهادي حفيد المنصور على المدينة ، وتجهزوا لملاقاة جيش الخليفة العباسي ، وتمت المعركة في هذا الموضع ، وقتل من قتل مع الحسين من أهل بيته ، فكان أن جمعت رؤوسهم ، فكانت مائة ونيفاً ذلك سنة 169هـ ، وقد رثي بشعر قاله فيه عيسى بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) :

فلأبكين على الحسين وعلى ابن بعولة
وعلى ابن عاتكة الذي اثووه ليس بذي كفن
تركوا بفخ غدوة في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً فانقضوا لا طائشين ولا جبن

ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت ، 192/8 - 250 ، والكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار صادر ، د0ط :1966 : 32/6 ، ومقاتل الطالبين ، أبو الفرج الأصفهاني ، مطبعة النبراس ، النجف الأشراف ، العراق ، د0ط ، د0ت : 280 - 290 0

وعبد الله ، وعيسى ، وإدريس ، وجعفر ، ويحيى ، وحمزة ، والقاسم ، وداوود وعمر فتولى محمد بن إدريس بن إدريس ، أمور الولاية ففرق البلاد على أخوتِهِ ، فأعطى عمر صنهاجة الهبط ، وغمارة ، وعمر هذا هو جدّ الحموديين الذين انتقلوا إلى بلاد الأندلس [1] ، إذ كان من بين الزعماء المغاربة الذين استعان بهم أهل الأندلس ، والذين قادوا جموع البربر ، علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون ابن حمود من عقب الأدارسة الذين يرجعون في نسبتهم إلى علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ، ويؤكد كلّ من ابن حزم ، وابن عذاري المراكشي وابن الخطيب هذه النسبة [2] وفي الوقت الذي استولى فيه البربر ، فقد ولي حكم سبتة علي بن حمود الحسني *

أما أخوه قاسم ، فقد ولي حكم الجزيرة الخضراء ، وقد تحالف الأخيران مع العامريين فكاتبوا خيران صاحب المريّة ، وكان قد أظهر كتاباً زعم أنه من هشام المؤيد يوليه عهده ويأمره الخروج على سليمان فوافقه جماعة منهم عامر بن فتوح وزير المؤيد ، وهو بمالقة ، وكاتبوا علي بن حمود في سبته ليعبر إليهم ، فيقوموا معه ، ويسيروا إلى قرطبة فعبر إلى مالقة سنة خمس وأربعمائة وتمّ ذلك بالفعل ، وكانت تلك الأخبار قد ترامت إلى سليمان وزحف لقتالهم ، وشبت معركة شديدة ، انتهت بهزيمة سليمان وقتل أنصاره [3] 0 ودخلوا قرطبة في الثامن والعشرين من محرم سنة (407هـ) وبويع علي بن حمود في باب السدّة من قصر قرطبة ، يوم الاثنين من محرم في العام نفسه ، ومنذ ذلك الحين سمّي الأدراسة في المغرب بالعلويين أو بني حمود، وقد استمر حكمهم حتى (1075)م 0

بعد أن انتهز الأمير محمد المعتمد صاحب اشبيلية فرصة الاضطراب ليستولي على

(*) ذكر علي بن إبراهيم عن محمد بن موسى : أن الرشيد وجه إليه الشماخ مولى المهدي ، وكان طبيباً ، فأظهر له أنه من الشيعة وأنه طبيب فأستوصفه فحمل إليه سنوناً ، وجعل فيه سمّاً فلمّا استنّ به جعل لحم فيه ينتثر ، وخرج الشماخ هارباً حتى ورد مصر 000 وقال رجل من أولياء بني العباس يذكر قتل ادريس :

اتظن يا ادريس انك مفلت ... كيد الخلفية أو يقيكَ فرارُ
إن السيوف إذا انتضاها سخطه ... طالت وتقصر دونها الأعمارُ
ملك كأنّ الموت يتبع أمره ... حتى يقال تطيعه الأقدار

مقاتل الطالبين : 308 0

(1) ينظر: البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي ، تحقيق : ا ، ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت : 3/210 - 211 0

(2) ينظر: البيان المغرب : 3/119 0

(*) وكان من أمراء البربر المعاضد لسليمان ، وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم ، ووقف على أن دولة بني اميّة تنقرض بالأندلس على يد علوي أول أسمهُ عين ، فلمّا دخل سليمان مع البرابرة قرطبة {000} كان من أكابر أمرائهم عليّ بن حمود ، وبلغ هشام المؤيد ، خبره ، وأسمه ، ونسبه فدسّ إليه أن الدولة صائرة إليك ، وقال له : إن خاطري يحدثني أنّ هذا الرجل يقتلني ، يعني سليمان ، فإن فعل فخذ بثأري ، وكان هذا الأمر قد قوى نفس علي بن حمود في طلب الإمامة 0 نفح الطيب : المقري : تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 1949 : 2/27 0

([3]) ينظر: البيان المغرب : 3/116 - 119 0

الجزيرة الخضراء ، واستجة ومالقة ، وبذلك قضى على سلطان الأدراسة نهائياً [1] 0

لقد كان علي بن حمود أوّل علوي يحكم في بلاد الأندلس ، بحسب ما يذكره لنا ابن الأثير ، ولمّا صارت الخلافة له ، لُقّب بالمعتلي وجلس ((بنفسه لمظالم الناس وهو مفتوح الباب ، مرفوع الحجاب ، للوارد والصّادر ، يقيم الحدود مباشراً بنفسهِ ولا يحاشي أحداً من أكابر القومِ ، فانتشر أهل قرطبة في الأرضِ ذات الطولِ والعرض ، وسلكت السبلُ ، ورخا العسر ، وأرقّوُا الأغذية ، وشاموا النساء وطلبوا النسلَ ، وكان أكثرهم يقول بالعزلةِ واتخذوا الحلواء على طول عهدٍ بها 00))[2] ، وقد مدحه الكثير من الشعراء وكان ممن مدحه أبو بكر عبادة بن ماء السماء ، يقول فيه من الوافر [3]

أطاعتكَ القلوبُ ومَن عصي ... وحزبُ الله حزبُك يا عليّ

فكلُّ من ادعى معك المعالي ... كذوب مثلَما كذب الدعيّ

ابى لك أن تهاض علاكَ عهدٌ ... هشاميّ وجدٌّ هاشميّ

وما سميت باسم ابيك الاّ ... ليحيا بالسمي لةّ السميّ

وقال فيه أيضاً من الطويل [4]

أبوكم عليّ كان بالشرق بدء ما ... ورثتم ، وذا بالغرب أيضاً سمّيهُ

فصلّوا عليهِ أجمعون وسلموا ... له الأمرُ إذْ ولاهُ فيكم وليّهُ

ومن الذين مدحوه ابن درّاج القسطلي ، في قصيدة من المتقارب ، قال فيها ابن بسام الشنتريني : ((وهذه القصيدة له طويلة ، وهي من الهاشميات الغرّ ، بناها من المسك والدرّ ، لا من الجصّ والآجُرّ ، لا بل خلدها حديثاً على الدهرِ ، وسرَّ بها مطالعَ النجوم الزهر لو قرعت سمعَ دعبل بن علي الخزاعي ، والكميت بن زيد الأسدي ، لأمسكا عن القول وبرئا اليها من القوّةِ والحول ؛ بل لو رآها السيد الحميريّ ، وكثيرّ الخزاعي لأقاماها بّينةٍ على

(1) ينظر: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، يوسف اشياخ ، ترجمة: د0 محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1966 : 32 0

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ق1م1 : 99 0

(3) الذخيرة : ق1 م1 / 478 0

(4) نفح الطيب : 29/2 0

الدعوى 000)) [1] ، وأوّل هذه القصيدة : [2]

لعلــك يــا شــمس عنــد الأصــيل ... شــجيتِ لشــجو الغريــبِ الــذليلِ
فكــوني شــفيعي إلــى ابــن الشــفيعِ ... وكــوني رســولي إلــى ابــن الرســولِ
فإمّــا شــهدتِ فــأزكى شــهيدٍ ... وإمّــا دللــتِ فأهــدى دليــلِ

وقال فيهِ ابن الحناط من الكامل [3] :

أمّــت اميــر المــومنينَ مــواحلاً ... فســقى صــداها غيثــه الشــؤبوبُ
المعتلــي باللــه والملــك الــذي ... تــاجُ الفخــارِ برأســهِ معصــوبُ
إن كــان عــدّوا حــبَّ آلِ محمــدٍ ... ذنبــاً فــإني لســت منــه أتــوبُ

لكن القدر كان يتربّص به فقد إئتمر بهِ نفرٌ من فتيان قصرهِ من الصقالبة الموالين لبني أميّة فقتلوه سنة 408هـ ، فغادر الخلافة وهو حديث عهد بها ، إذْ لم يلبث فيها سوى عامٍ واحد وتسعة أشهر[4] 0

وقد رثاه ، أبو بكر عبادة بن ماء السماء في قصيدة من الكامل ، وهنأ فيها أخاه القاسم على الخلافة [5] :

صــلى علــى الملــك الشــهيد مليكــه ... وســقاه فــي ظــلّ الجنــان الكــوثرُ
مــولى دهتــه عبيــدهُ وغضــنفُر ... تركتــه أيــد العفــر وهــو معفَّــرُ

كما بيّنا أنّ هناك مؤامرة أدت إلى هلاك عليّ بن حمود ، بسبب أن هناك أخباراً تفيد بأنّ خيران العامري عندما دخل قرطبة مع علي بن حمود ،ولم يجد هشاماً المؤيد ، فرّ خارج قرطبة داعياً بالخلافة لبني أميّة في شخصية عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ولقب بالمرتضى ، وعندما ترامت تلك الأخبار إلى أهالي قرطبة الموالين للأمويين ، كانت بادرة خيرٍ بالنسبة إليهم فهموّا بفعلتهم تلك

---

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ق1م1 : 87 - 88 0
(2) ديوان ابن درّاج القسطلي ، تحقيق : د0 محمود علي مكي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، د0 ط ، 1961 ، والذخيرة : ق1م1 / 88
(3) م0ن : ق1م1 / 249 ، وينظر: م0ن : ق1م1 / 451 0
(1) ينظر: الذخيرة : ق1م1 : 102 ، والكامل في التاريخ : 270/9 - 271 0
(2) الذخيرة : ق1م1 : 478 0

لكنْ لم تستمر الخلافة لبني أميّة ، لأن جيوشهم التي جيشوها لم تفلح في تحقيق ذلك 0

بويع القاسم بن حمود بالخلافة بعد مقتل أخيهِ سنه 408هـ ، بأيام عدّة وكان حاكماً على زناتة ، ولقب بالمستعلي ، وبعد أن استتبت الأمور في يدهِ سلك سياسة اللين و المسالمة ، وساس الرعيّة على خيَر ما يجب ، فهدأت النفوس ، واطمأنت الخواطر وعمد كذلك على استمالة خصومهِ ، من مثل خيران ، واقطع زميله العامري وجيّان ، وملقة لـ رباح ، محاولاً أن يعقد السلم معهم [1] 0

وكان ممن مدحه ابن درّاج القسطلي في قصيدة على وزن الكامل ، يذكر فيها انتسابه إلى بيت النبوّة [2] :

كم استطيل تظللي وتلددي ... وأروح في ظُلَمِ الخطوب وأغتدي

والأرض مشرقة بنور ربّها ... والفجر منبلجٌ لعين المهتدي

بأغرَّ من بيتِ النبوّةِ والهدى ... كالبدرِ من ولدِ النبيّ محمد

القاسم المقسوم راحةُ كفّهِ ... في بسطِ معروفٍ وقبضِ مهندِ

وفي الوقت نفسه كما يخبرنا ابن عذاري أن يحيى بن علي بن حمود * قد دخل قرطبة بعد مقتل أبيهِ ، وبايعه البربر ، سنة 412هـ ، ولقب بالمعتلي فكان هناك خليفتان ، وبعد أن رأى عمّه القاسم جور البربر ، فرّ إلى اشبيلية في هذه الأثناء دعي يحيى وبويع بالخلافة بعد أن خاطبه البربر ، وكان يتحبب إلى الناس ، ويجزل العطاء لكلّ من وفدَ عليهِ مادحاً أو غير مادح[3] 0

---

(3) ينظر: م0ن : ق1م1 / 481 ، وينظر: الكامل في التاريخ : 274/6 ، وينظر: تاريخ أسبانيا المسلمة أو أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق وتعليق : أ0 ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004 : 130 0

(2) ديوان ابن دراج : 70 0

(*) وهو يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ، عرف بكرم الولادة ، هاشمي الأبوين ، رابع أربعة من أبناء القرشيات ، من خلائف الإسلام ، أولهم جدّه الآخر علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ وابنه الحسن بن علي﴿عليه السلام﴾ ثم الأمين محمد بن هارون ، ينظر: البيان المغرب : 119/3 ، 132 0

وكان ممن مدحه من الشعراء عبادة بن ماء السماء من الطويل [1] :

فهـا أنـا ذا يـا ابـن النبـوّةِ نافـثٌ ... من القولِ أريـاً غيـر مـا ينفثُ الصلُّ

وعنـدي صـريحٌ فـي ولائـكَ معـرق ... تشـيعهُ محـضٌ وبيعتـهُ بتـلُ

ووالـى أبـي قـيس أبـاك علـى العُـلا ... فخـيّم فـي قلـب ابـن هنـدٍ لـه غـلُّ

ويقول فيه ابن درّاج من البسيط : [2]

فـالبس ثيـاب الثنـاء حَلْـيُ عاتقهـا ... سـيفٌ علـى الثغـرِ لا يبقـى ولا يـذرُ

لعلنـا نـردُ المـاءَ الـذي صـدرت ... عنـهُ الحـوائمُ ورداً مالـه صـدرُ

وتنجلـي ظلمـات الخطـبِ عـن أُمـمٍ ... لا الشـمس آفلـة عنهـا ولا القمـرُ

وقال فيه ابن شهيد مستعطفاً ، بعد أنْ سُجن لوشايةِ البعض به ، من الطويل: [3]

همـامٌ أراهُ جـودُهُ سُـبلَ العُـلا ... وعلّمـهُ الاحسـانَ كيـفَ يجـودُ

نفـى الـذم عنـهُ أنّ طـيَّ بـرودهِ ... عفـافٌ علـى سـن الشـبابِ وجـودُ

تـؤدي إلينـا أنّـه سـبطُ أحمـدٍ ... مخايـل فيـهِ للهـدى وشـهودُ

ومدحه الأديب أبو علي ادريس بن اليماني العبدري اليابسي في قصيدة من الكامل يقول في بعضها : [4]

---

(3) بنظر: البيان المغرب : 133/3 ، وينظر: الكامل في التاريخ : 274/9 0

(1) الذخيرة : ق1م1 / 478 0

(2) ديوان ابن درّاج : 75 0

(3) ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائلهُ ، جمعه وحققه : محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط1 ، 1997 : 63 - 64 0

(4) الذخيرة : ق3م1 / 357 ، وينظر: م0ن : ق1م2 /860 و863 و864 0

هـذا ابـن خاضـب ذي الفقـار بجـانبي وادي حنـــين والصـــفوف حوافـــلُ
وبخيبـــر والحـــرب بـــارق عـــارضٍ وبنـــات أعـــوج مـــا شـــحته زائـــلُ
دفـــع الرســـول إليـــه رايتـــهُ وقـــد طمحـــت عيـــونٌ نحـــوه وأنامـــل

خلع يحيى سنة 413هـ ، وبويع القاسم بن حمود ثانية بعد عودته إلى قرطبة وبعد تسلط البرابرة على أهل قرطبة ، شاعت الفتنة وانتشرت الحرب إلى أن هبّ أهل قرطبة ضد القاسم والبرابرة ، ففرّوا جميعاً إلى اشبيلية ، وكان بها ابنا القاسم (محمد و الحسن) فأقام أهل قرطبة من بعده خليفة من بني أميّة أملاً في إحياء الحكم الأموي ، فاختاروا سليمان بن عبد الرحمن ولقبوه بالمرتضى ، على حين كانوا ينوون مبايعته ، فاجأهم عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر، فأصبح خليفة ، فقد دامت خلافته سبعة وأربعين يوماً فقد قتل بعدما أراد استمالة البربر إلى جانبهِ ، فشعر أهل قرطبة بالحيف لأنهم طردوا البربر من مدينتهم ، فهاجت العامّة عليه ، وقتل لتصرفه هذا [1] ، ولمّا قتل عبد الرحمن هذا بويع ابن عمّهِ محمد بن عبد الرحمن المستكفي ((ولم يكن محمد هذا من الأمر في ورد ولا صدور ، وإنّما أرسله الله تعالى على أهل قرطبة الخاسرين بليّة ، وكان منذ عرف عطلاً منقطعاً إلى البطالة محمولاً على الجهالة ، عاطلاً من كلّ خلّة تدل على فضيلة وتكملة))[2] ، فكان أن خُلع في المدّة نفسها وقتل ، فاتصل أهل قرطبة ثانية بيحيى بن علي بن حمود ، فدخل قرطبة في منتصف رمضان من العام نفسه ، فصارت مالقة وشريش والمريّة وسبتة في طاعته ، وبقي عمّه القاسم أسيراً عنده ، وبقي بمالقة إلى أن مات مسموماً سنة (427هـ) ولمّا وصل خبر مقتلهِ إلى أخيه إدريس ، فخلفه إدريس ولقب بالمعتلي بالله ، وكان شهماً حسن السيرة معطاء ولم يزل على أحسن أحوالِهِ إلى ان مات سنه (431هـ) [3] ، وقد مدحه من الشعراء ابو محمد غانم بن وليد [4] ، ومدحه عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني ، قائلاً فيهِ من الرمل : [5]

البـــرق لائـــحُ مـــن أنـــدرينْ ذرفـــت عينـــاك بالـــدمع المعـــين
لعبـــت اســـيافُهُ عاريـــة كمخـــاريق بأيـــدي لاعبـــين
خلقـــوا مـــن مـــاء عـــدلٍ وتقـــى وجميـــع النـــاسِ مـــن مـــاءٍ وطـــين

(1) ينظر: البيان المغرب : 119/3 - 141 0
(2) م0ن : 141/3 ، و ينظر: الكامل في التاريخ : 278/9 0
(3) ينظر: أعمال الأعلام : 140 ، وينظر: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : 32 0
(4) الذخيرة : ق1م2 /862 ، وينظر: م0ن : ق1م2 /866 و 863 و864 0
(5) الحلة السيراء ، محمد بن عبد الله القضاعي (ابن الابار) ، تحقيق : د0 حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة ، القاهرة ، د0ط ، 1963 : 9/2 0

ثم بويع من بعده حسن بن علي وسميّ بالمستنصر بالله ، فلما توفيّ حسن جاء من بعده ولده يحيى ، وتلّقب بالقاسم بأمر الله ولحداثته في السنّ وقلّةِ خبرتِهِ ، اتصل حاجبه (نجا) بابن أخي إدريس حسن بن يحيى المعتلي وجاء ومعه أسطول ، ميمماً وجهه شطر مالقة ، فتراجع يحيى عن الخلافة وبويع حسن بن يحيى في العام نفسهِ [1] وعلى هذا النحو تنتقل الخلافة من الأب إلى ابنهِ ومن الأخ إلى أخيهِ ، وأودع يحيى السجن ، ويقال إنه قتل سنة 434هـ ، وقد يذكر الدكتور محمد عبد الله عنان أن الآراء قد تضاربت ، ومن المرجح أن يكون يحيى قد أُخرج من السجن وبويع بالخلافة سنة 434هـ ولقّب بالعالي ، وكان ولدا القاسم بن حمود قد قبض عليهما بعد وفاة ابيهما ، وهما كلّ من محمد والحسن ، لذلك أفرج عنهما بعد وفاة يحيى ، فتولى محمد حكم الجزيرة الخضراء ، وحاول أن يسيطر على مالقة لكنه خاب في ذلك إلى أنْ توفي سنة 440هـ ، ثم خلفه ولده القاسم ، إلى أن اعتزم ابن عباد القضاء على سلطان الحموديين فتم له ذلك وهكذا انقرضت دولة بني حمود من مالقة والجزيرة معاً ، وانتهى سلطانهم بالأندلس بعد أن حكموا زهاء نصف قرن [2] ، ولعلّ قيام الدولة (الحمودية) أو (الأدارسة) كان يتضمن هدفين ، كما يذكر الدكتور عبد اللطيف السعداني : [3]

أولهما : مناهضة الحكم الأموي في الأندلس ، إذ يرى أنهم حققوا كثيراً من بغيتهم ، حتى عدّوا أنهم السبب في زوال حكم بني أُميّة من تلك البلاد 0

وآخرهما : الدعوة للدولة العلوية والمذهب الشيعي ، باعتبار أن الشيعة كانوا يمرون بأوقات عصيبة وكان يفترض عليهم القيام بالدعوة والدفاع عن هذا المبدأ ، ولا يخفى النجاح الذي تمّ

(6) ينظر: البيان المغرب : 290/3 ، وينظرك أعمال الأعلام : 141 - 143 0

(1) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس ، محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1969م : 431 ، وما بعدها 0

(2) ينظر: حركات التشيع في المغرب ومظاهره ، د0 عبد اللطيف السعداني ، مجلة المنهاج ، س7 ، ع27 ، 2002 ، بيروت ، لبنان : 156 0

تحقيقه ، على الرغم من أنهم لم يظهروا مذهبهم ، ولم يغيروا على الناس مذاهبهم [1] 0

ويبدو أن الحموديين لم يجدوا بدّاً من الاعتدال في علاقاتهم مع الأندلسيين فقد سايروا المذهب السنيّ ، ولم يغيروا على الأندلسيين شيئاً من النظم الإداريّة والقضائية التي كانت موجودة منذ زمن الأمويين ، وذلك لطبيعة الظروف الملابسة التي نشأت فيها دولتهم حيث كانت الثورات والحروب الأهليّة بين فئات المجتمع الأندلسي ، فلم تترك للدولة مجالاً في بسط نفوذها وإحكام قبضتها [2] 0

الدولة الشيعية العبيديّة :

كان وراء نشوء هذه الدولة واتساع سلطانها في بلاد المغرب العربي جهود مضنية من قبل معتنقي المذهب الشيعي ، ومحبي آل بيت الرسول ﷺ إذ كانت الدعوة التي قام بها أبو عبد الله الصنعاني * ، وراء نشوء هذه الدولة ، فقد بدأ دعوته في موسم الحج ((فرأى قوماً من أهل المغرب {000} فسألهم عن بلادهم فأخبروه عن حقيقتها ، وسألهم عن مذهبهم فصدقوه عنه))[3] ، فكان أن دخل إليهم من هذهِ الطريق ، وقرر فيما بعد مصاحبتهم إلى بلادهم ، بحجّة أنه معلم صبيان وبعد أنْ رافقهم إلى مصر ، ثم إلى القيروان 00 وكان هؤلاء الأشخاص الذين التقى بهم من قبيلة كتامة طلب الشيخ الكتامي ، حتى وافاه في منزلِهِ ، وبالغ الشيخ في إكرامهِ ثمّ قرر أن يكاشف الشيخ في أمرهِ ، لأنه حين علم الصبيان وجاء له بأجر ذلك لم يأخذه [4] ، لأنه لم يكن يمثل الغرض الذي كان يسعى لتحقيقهِ 0

---

(3) ينظر: الكامل في التاريخ : 9 /274 0

(4) ينظر: التشيع في الأندلس : 50 0

(*) هو أحمد بن محمد بن زكريا ، أبو عبد الله المعروف بالشيعي ، ممهد الدولة للعبيديين ، وهو في الأصل من صنعاء ، اتصل بالإمام أبي المهدي الفاطمي ، بعد أن وصل من اليمن قاصداً مكّة للحجّ فالتقى برجال من كتامة من أهل المغرب من مثل الحريث الجميلي ، وموسى بن مكار ، ورحل معهم مبشراً بالإسماعيليّة ، فقويت شوكته بهم ، واستطاع انتزاع الحكم من إبراهيم بن الأغلب وسلّمه إلى المهدي سنة 269هـ ، فأستثقل المهدي وطأته ، فقتله في رقادة من أعمال القيروان ، ينظر: الكامل في التاريخ ، ابن الأثير (630هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، د0ط ، د0ت : 10/8 - 17 ، وينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد (ابن خلكان) ، 681هـ ، تحقيق : د0 إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، 1398هـ : 162/1 ، وينظر: الأعلام خير الدين بن محمد بن محمد بن علي بن فارس ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، 1993 : 230/2 0

([3]) البيان المغرب : 124/3 0

(4) ينظر: م0ن : 125/3 0

فقال للشيخ : ((لستُ بمعلم الصبيان ! إنما الأمر ما أخبرك بهِ ، فاسمع ! إنّما نحن أنصار أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة ! وأنه سيكون إمامٌ منهم ، أنتم أنصاره ، والباذلون مهجهم دونه ، وإنّ الله سيفتح بكم الدنيا كلّها وسيكون لكم أجركم مضاعفاً فيجتمع لكم خيرُ الدنيا والآخرة))[1]0

فكان أنْ استطاع هذا الداعية أن يكسب قبائل ((كتامة)) البربرية إلى دعوى المهدي عبيد الله * ، الذي أعطى اسمه لمدينة المهدية التي أسسها على ساحل البحر الأبيض المتوسط وموقعها اليوم في تونس ، وكانت تلك الدعوة قد ابتدأت في عام (298هـ) ولم يلبث العبيديون أن استولوا على كثير من مناطق المغرب العربي حتّى استولوا على مصر بمساعدة هذه القبيلة ، واستمر حكمهم في مصر أكثر من (200) سنة [2] 0

أصبحت هذه الدولة تشكل خطراً كبيراً على الدولة الأموية في الأندلس كان يستشعره عبد الرحمن الناصر ، فقد اجتاحت شمالي أفريقية ، وامتدت لتهدد شواطئ الأندلس ، لأنّ دعواها تنطوي على خطر مزدوجٍ : ديني سياسي في آن معاً ، ولأن ما تمتلكه من قوّةٍ وعنفوان يمهدان لها الغلبة ، مال عبد الرحمن الناصر إلى المبادرة في تقويض دعائم تلك الدولة من خلال الضغط على أنصارها وحلفائها ، بتسييره أسطولاً ضخماً ، ليسيطر على مدينة سبتة ، فبادر زعماء البربر وزنانة إلى طاعتِهِ [3] 0

---

(1) البيان المغرب : 126/3 0

(*) هو عبيد الله المهدي بن محمد بن الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق ﴿عليه السلام﴾ ، وهو الذي أنكر نسبه بعض أهل القيروان ، وغيرهم بالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن في نسبهم ، وشهد فيه أعلام الأئمة ، والذين شهدوا كانت شهادتهم على السماع ، وإنما حصل ذلك من أعدائهم من بني العباس ، ينظر: تاريخ ابن خلدون ، ابن خلدون ، علق عليه ، تركي فرحان المصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999 : 34/4 ، وينظر: وفيات الأعيان : 177/3 - 199 0

([2]) ينظر: الأندلس وشمال أفريقيا ، عقيدة الموحدين الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، مادلين فيتشر ، تحرير ، سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، نوفمبر ، 1999 : 367/1 0

(3) ينظر: تاريخ ابن خلدون : 38/4 0

(*) هو المعز لدين الله ، أبو تميم معد بن المنصور بن إسماعيل القائم ، العبيدي ، بن جعفر البغيض بن محمد ، كان صاحب المغرب ، ولي عهد أبيه سنة (341هـ) ، وملك أفريقية ، حتى وصل إلى مصر فملكها ، وكان محسناً إلى الرعيّة وكان عاقلاً لبيباً حازماً ، ذا علم وأدب وجلالة قدر وكرم ، ينظر: الكامل في التاريخ : 498/8 ، وينظر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف (بابن عنبة) ، ت 838هـ ، طهران ، ط2 ، 2004 : 218 0

وبعد أن تولى المعز لدين الله الفاطمي * ، رابع الخلفاء الفاطميين الملك ، سيّر حملته البحريّة سنة (344هـ) فهاجمت ثغر المريّة فأرسل عبد الرحمن أسطولاً لصدها وقام في الوقت نفسه بلعنِ الشيعة والفاطميين على منابر الأندلس ، وقد اظهر عبد الرحمن استماتتهُ في مقاومة تلك الدعوة ، لدرجة أنه حاول جادّاً إحياء تراث الخلافة الأمويّة الروحي ؛ إذ دعا لنفسه بلقب أمير المؤمنين ، وعدّ من كان يلقب به منتحلاً فكان أول خليفة في بلاد الأندلس يطلق عليه هذا اللقب [1] 0

جد الفاطميون في بثِّ دعاتهم في الأندلس ، فكان من دعاتهم أبو اليسر ، وابن هارون البغدادي الذي كان له الفضل في إذاعة تعاليم الشيعة الفاطميين ومنهم ابن حوقل النصيبي ، وكان من ثمرات دعاية الفاطميين شاعر الأندلس الكبير ابن هاني ، الذي قضى شبابَهُ في الأندلس ، وطرد منها بعد معرفةِ اعتقاده الفاطمي [2] 0

هناك من يذهب إلى نفي الشيعة العبيدية عن أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ، على النحو الذي ذكره ابن خلدون في مقدمته ، إذ يقول : ((ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين في العبيديين خلفاء الشيعة في القيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت و الطعن في نسبهم إلى إسماعيل يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من بني العباس تزلفاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم 00))[3]، ويذكر المقريزي أنهم ينتسبون إلى الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾ والناس فيهم فريقان ، فريق يثبت صحّة ذلك ، وفريق آخر يزعم أنهم أدعياء من ولد ديصان البوني ، وأصله مجوسي ، وبعضهم يقول إن جدّهم عبيد الله من اليهود [4] 0

ويرى أصحاب هذا الرأي أنّ عبيد الله بن ميمون * ، كان يهودياً ، وكان حبراً ، ومن أهل الفلسفة ، وقد خدم إسماعيل بن جعفر الصادق ﴿عليهما السلام﴾ ، وكانوا يرون أنه متظاهر

([1]) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس : 429 - 430 0

(2) ينظر: التشيع في الأندلس : 25 - 29 0

(3) المقدمة : 21 0

(4) ينظر: المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق : د0 محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، دار الأمين ، القاهرة ، د0ط ، 1998 : 2/26 - 27 0

في تشيعهِ ، فأنشأ ناموس أفكار ، وعقائد إلحاديّة وهو الجدّ الحقيقي للفاطميين[1] وهناك رأي آخر في هذا الصدد ينقله لنا أبو الفدا يقول هذا الرأي : إنّ أحد أولاد القداح وهو الحسين قد قدم على سليمة ، وتزوج من أمرأة يهوديّةٍ ، كان زوجها قد توفي وترك لها ولداً ، ولما لم ينجب منها عهد بالأمر الذي جاء به لابن اليهودي ، وهو المهدي عبيد الله ، معرفاً إيّاه بأسرار دعوتهِ[2] 0

أما الرأي الذي يقول بالأصول الفارسية لجدّ الفاطميين ، نذكر هنا ما أوردهُ برنارد لويس معتمداً على ما قاله المؤرخون - فإنّ ميمون بن ديصان ، كان فارسياً زنديقاً نشر أفكاراً متطرفة ، وعقائد غاليةً فاستهوى الناس واستولى عليهم بالشعوذة والنجوم والكيمياء ، وأظهر الزهد ، فنشأ له ابن يقال له عبيد الله ، وهو الذي أخذت دعوته شكلها الذي قامت بموجبه الدولة الفاطميّة [3] ، واستدل المتكلمون من ذلك الأصل في بيان أغراض الباطنيّة في دعوتها على أن غرضهم الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التي يؤولون عليها القرآن والسنّة [4]

ويرى المقريزي أنّ هذه الآراء موضوعة ، لأن بني علي ﴿عليهم السلام﴾ ، كانوا في غاية الوفرة ، وجلالة القدر عند الشيعة ، فما الداعي للإعراض عنهم والدعوة لرجلٍ مجوسيّ أو غيرهِ ؟ وعلى رأي المقريزي ، إنّما كان ذلك حسداً من بني العباس وبغضاً لأبناء علي ﴿عليه السلام﴾ ، والذين قالوا هذا ، قد قالوا من قبل في الطعن في نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ إذ ذهبت بهم الظنون إلى أنّ إدريس لراشد مولاهم ، وليس لإدريس بن عبد الله [5]

(*) عبد الله بن ميمون ويعرف بالميمون القداح ، وكان من أهل قورج ، بقرب مدينة الأحواز ، وأبوه ميمون الذي تنسب إليه الفرقة المعروفة بالميمونة ، وكان ميمون وأبنه ديصانيين ، أنظر: الفهرست ، ابن النديم ، ضبطه وشرحه : د0 يوسف علي طويل ، دارا لكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2002 م، : 239 0

(1) ينظر: أصول الإسماعيلية ، برنارد لويس ، ترجمة محمد الرجب ، القاهرة ، د0ط ، د0ت : 145 0

(1) المختصر في أخبار البشر ، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل ، طبعة بيروت ، د0ط ، د0ت : 64/2 0

(2) ينظر: أصول الإسماعيلية : 137 - 138 0

(3) ينظر: الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، 1987 : 277 0

(4) المقدمة : 23 0

أمّا ابن خلدون فيعدّ ذلك الأمر ((أثما وسفسة))[1] 0

والفاطميون هم من الفرقة التي زعمت أنّ الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه إسماعيل وأنكروا موت إسماعيل في حياة أبيهِ ((وقالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيّبه عنهم ، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ، ويقوم بأمر الناس ، وأنه هو القائم ، لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده وقلدهم ذلك له ، وأخبرهم أنه صاحبه ، والإمام لا يقول إلاّ الحق فلما ظهر موته علما أنه صدق وأنه القائم وأنه لم يمت)) 0 [2]

وقد عارضت الإسماعيلية مذهب العباسيين بدعوتها إلى إمامة إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ﴿عليه السلام﴾ ، متبنية منهجاً سرياً في تحركها ، نتيجة تشديد الخناق من قبل العباسيين على الشيعة باعتبارهم من أهم التيارات التي عارضت الحكم العباسي ولأجل هذا لاقت الشيعة ما لا قت من صنوف الاضطهاد ، فاضطرت الإسماعيلية إلى مغادرة مركز دعوتها ((سلمية)) إلى المغرب في الوقت الذي كان به أبو عبد الله الشيعي قد دعا بكتابه للرضى من آل محمد ((فأشتهر خبره وعلم تحويله على عبيد الله المهدي وابنه القاسم خشياً على أنفسهما فهربا من المشرق محلّ الخلافة))[3] ، إلى أنْ تمكنوا من الاستيلاء على المغرب العربي بعد أنْ قضوا على سلطان الأغالبة ، وزاحموا الأدارسة إلى أن بسطوا نفوذهم حتى احتلوا مصر في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله الذي بعث دعاته إلى مصر يعلمهم بعزمِهِ لغزوها ، فعهد إلى جوهر الصقلبي بقيادة تلك الحملة فأنتهى به الأمر إلى أن يسيطر عليها سيطرة تامة ، وضربت السكة على الدينار المصري وهي : (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، عليّ خير الوصيين) ، وأعلن الأذان بحيّ على خير العمل [4] ، وهذه

---

(5) تاريخ ابن خلدون : 35/4 0

(2) فرق الشيعة : 67 - 68 ، وينظر: الملل والنحل : 171/1 0

([3]) مقدمة ابن خلدون : 21 0

(4) ينظر: الكامل في التاريخ ابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت : 498/8 0
ومن مذهبهم ان من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة ، وأشهر القابهم الباطنيّة ، وانمّا لزمهم هذا اللقب ، لأنهم كانوا يرون بأن لكل ظاهر باطناً ولكلّ تنزيلٍ تأويلاً ، والقابهم كثيرة : فبالعراق يسمون ، بالقرامطة ، والمزدكيّة ، وبخراسان التعليميّة ، والملحدة ، ورأيهم ان تسميتهم انما جاءت نسبة إلى الإمام اسماعيل بن جعفر ، فيه خُصّوا ، وانمازوا

المدة هي الأهم بالنسبة لنا لكون المعز لدين الله ، كان الممدوح الأكثر أهميّة في شعر ابن هاني الأندلسي ولا شك في أنَّ تعاليم الفاطميين قد انتقلت إلى الأندلس بطريقة أو بأخرى ، فكان إدراك ابن هاني لها إدراكاً عميقاً مما جعله ينثرها بين ثنايا قصائده التي قالها في المعزّ الفاطمي على وجه الخصوص 0

فقد مدحه في قصيدة على وزن الكامل ، يقول في مطلعها : [1]

مـــا شـــئت لا مـــا شـــاءت الأقـــدار فـــاحكم فأنـــت الواحـــد القهـــارُ

وفي ذلك يظهر أثر العقيدة الفاطميّة 0

وقد مدحه ابن هاني بقصيدة من الكامل يقول في بعضها : [2]

نطقـــت بـــك الســـبع المثـــاني ألســـناً فكفيننـــا التعـــريضَ والتصـــريحا

صـــورت مـــن ملكـــوت ربّـــك صـــورةً وأمـــدّها علمـــاً فكنـــتَ الروحـــا

أقســـمت لـــولا أن دعيـــت خليفـــةً لـــدعيتَ مـــن بعـــد المســـيح مســـيحا

شـــهدت بمفخـــرك الســـموات العلـــى وتنـــزل القـــرآن فيـــك مـــديحا

وقد هجا بني اميّة في القصيدة نفسها بقوله [3]

وأميّـــة تخفـــي الســـؤال ومـــالمن **أودى بـــه الطوفـــان يـــذكر نوحـــا**

بُهتـــوا فهـــم يتوهمونـــك بـــارزاً والتـــاج مؤتلفـــاً عليـــك لموحـــا

وقال من قصيدة يمدح بها المعزّ ويذكر خيبة بني أميّة : [4]

عن غيرهم من الشيعة ، وقد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة : ينظر: الملل والنحل ، الشهر ستاني ، تخريج : محمد بن فتح الله بدران ، منشورات الشريف الرضي ، مكتبة الأنلجو المصرية ، القاهرة ، ط2 ، د0ت : ق1 : 172 0

(1) ديوان ابن هاني : 146 - 152 0

(2) م0ن : 74 0

(3) م0ن : 73 0

(4) م0ن : 185 0

إمـــام عـــادلٍ وفـــى فـــي كـــل ناحيـــةٍ كما قضوا في الإمام العدل واشترطوا

ومن قصيدة أخرى يلوم بها العباسيين على خنوعهم ، مادحاً المعز بقوله من الكامل : [1]

وســـألت ربّ البيـــت بـــابن نبيّـــهِ وجعلتـــك الزلفـــى إليـــه فأُزلفـــا
وهربـــت منـــه إليـــه فـــي حرماتـــهِ أدعـــوه مبـــتهلاً وأســـألُ ملحفـــا

ويمدحه في بعض الأعياد من قصيدة ، يقول في بعض منها من الخفيف [2]

ضـــربت بيننـــا بأبعـــد ممـــا بـــين راجـــي المعـــزّ والامـــلاقِ
فـــي يديـــه خـــزائن اللـــه فـــي الأر ض ولكنّهـــا علـــى الانفـــاقِ

والقصيدة لم تعبر عن رؤية تشيعية ، وغرض الشاعر فيها واضح من خلال هذين البيتين ، ويمدحه في قصيدة أخرى ، هاجياً بني أميّة ، يقول في بعضها من الطويل: [3]

تـــردُّ إلـــى الفـــردوس مـــنكم أرومـــة يصـــلي علـــيكم ربّهـــا والملائـــكُ
ثنـــائي علـــى وحـــي الكتـــاب علـــيكمُ فـــلا الـــوحي مـــأخوذ ولا أنـــا آفِـــكُ

وله من قصيدة أخرى من الكامل : [4]

والوصـــف يمكـــن فيـــه إلاّ أنّـــه لا يطلـــق التشـــبيه والتمثيـــل
والنـــاسُ إن قيســـوا إليـــهِ فـــإنهم عـــرضٌ لـــه فـــي جـــوهر محمـــول

ويقول في أخرى طويلة : [5]

(1) ديوان ابن هاني : 206 0
(2) م0ن : 220 0
(3) م0ن : 245 0
(4) م0ن : 264 0
(5) م0ن : 273 0

وعلمتَ من مكنونِ علم الله ما ... لم يؤت جبريلاً وميكائيلا
ولو كنتَ آونةً نبيّاً مرسلاً ... نُشرت بمبعثك القرون الأولى
لله فيك سريرةٌ لو أُعلنت ... أحيا بذكرك قاتل مقتولا

ويقول في أخرى من الطويل : [1]

رضاك ابن وحي الله عنه فإنّه ... رعى أولياء الله رعي السوائِم

ويمدحه في أخرى وصل عدد أبياتها (200) بيتاً ، وهي من الطويل [2]

إمام هدى ما التف ثوب نبوّةٍ ... على ابن نبيّ منه بالله أعلمُ

ويقول في أخرى من الكامل : [3]

النور أنت وكلّ نور ظلمةٌ ... والفوق أنت وكل فوق دونُ
لو كان رأيك شايعاً في أُمة ... علموا بما سيكون قبل يكون

أما ما ينماز به المذهب الإسماعيلي ، فيمكن إجماله على النحو الآتي كما بينه العلامة الشيخ محمد جواد مغنية [4] :

1- اختلافهم عن الإمامية في عدد الأئمة وأشخاصهم بعد الإمام جعفر الصادق عليه السلام 0

2- إغراقهم في تأويل الآيات القرآنية ، وسنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على موافقة إحساسهم بما لا يحتمله اللفظ 0

3- الدعوة الإسماعيلية تغمرها أمواج السريّة والتخفي ، حتى التبست عقيدتها على أكثر الباحثين ، فكانوا سنيين مع أهل السنة ، وشيعيين مع الشيعة ، ومسيحيين مع المسيحيّة 0

4- إن الإسماعيلية ينشرون تعاليم عقيدتهم ، ومبادئ مذاهبهم على خطوات ولهم دعاة يتدرجون في مراتب العقيدة من البسيط إلى المعقد 0

---

(1) ديوان ابن هاني : 311 0
(2) م0ن : 360 0
(3) م0ن : 356 0
(4) ينظر: الشيعة في الميزان : 298 - 299 0

3- دولة الموحدين :

لا شك في أن الأساس الديني الذي قامت عليهِ الدولة الموحديّة في بلاد الأندلس كان العامل الأكثر أهميّة في توطيد كيانها ، إلى جانب العامل السياسي الذي يعدُّ في المرتبة الثانية 0

فالدولة الموحديّة ، قامت على أساس ديني يدعو إلى التمسك بجوهر العقيدة الإسلاميّة والعودة إلى أصول الشريعة ، وإقامة الأحكام كما أن الفكرة التي نادى بها زعيمها الروحي محمد بن عبد الله بن تومرت (ت 524هـ) هي فكرة الإيمان بالمهدي [1] ، إذ تقوم الفكرة الأساسيّة لهذا المبدأ على ما روي عن الرسول محمد ﷺ من حديث يقول فيه : لو لم يبق من الدنيا إلاَّ يوم لطول الله ذلك اليوم ، حتى يبعث رجُلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))[2] 0

فالممارسة الدينيّة كانت الطابع المميز لتلك الدولة ، ويعد كتاب ((أعز ما يطلب)) الأساس الروحي الذي قامت عليه دولة الموحدين ، ليكون دستور الدولة الديني والدنيوي ويؤكد ابن خلدون هذه الفكرة في مقدمته ، فيقول إن عامة الناس وبسطاء القوم يقصدون المهدي في أصقاع قبليّة بعيدة تقع خارج سيطرة القبائل التي تدعم السلطة ، ويضيف أنّ أغلب المتصوفة في زمانِنا يشيرون إلى ظهور منتظر يجدد الطاعة للشريعة الإسلامية ، يأمر بالعدل ، ويرون أنّ ظهوره سيحدث في زمن قريب من زماننا [3] 0

ينحدر زعيم الموحدين (ابن تومرت) من أحدى الأسر البربرية من قبيلة هرغة ، وهي أحدى بطون مصمودة الكبرى ، أكثر القبائل عدداً ، وأشدها بأساً

([1]) ينظر: النبوغ المغربي في الوطن العربي ، عبد الله كنون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط3 ، 1960 م : 110/1 0

(2) صحيح الترمذي : 36/2 0

(3) ينظر: المقدمة : 325 - 327 0

وأقدمها نفوذاً قبل الإسلام وبعده ، ويؤكد ابن خلدون ، أنّ أسرة ابن تومرت ((هي من بطون المصامدة ، وكان أهل بيتهِ أهل نسك و نسب ورباط))[1] 0 ولصاحب دعوة الموحدين (محمد بن تومرت) ، ـ كما يذكر المراكشي ـ نسبة تتصل بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ وجدت مكتوبة بخطّه ويؤكد صحة هذه النسبة ابن خلدون ـ بزعم المؤرخين ـ أن نسبهُ في آل بيت الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، وأنه هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جبار بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخي إدريس الواقع نسب الكثير من بنيه في المصامدة [2] 0

وهناك من الباحثين من يؤيد صحةّ نسب ابن تومرت ، في أنه من العلويين الأدارسة الذين تعايشوا مع البربر ، وتخلقوا بأخلاقهم ، وتطبعوا بطبائعهم لذلك يرى أنه عربي علوي [3] 0

ابتدأ ابن تومرت حياته طالباً للعلم ، وكان يتصف بالزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان كما يقال على مذهب أبي الحسن الأشعري في كثير من المسائل ،

---

(1) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر العلامة ابن خلدون ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، للطباعة و النشر ، بيروت ، د0ت ، 1959م ، المجلد السادس: القسم الأول : 465

(2) ينظر : م0ن : 455 0

(3) ينظر: المجمل في تاريخ الأندلس ، عبد الحميد العبادي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 1958 : 182 0

ووافق المعتزلة في مسألة نفي الصفات ، ومسائل أخرى [1] وكان ((يرى رأي أهل البيت في الإمام المعصوم ، وأنّه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم ، فسمي بالإمام لما قلناه أولاً من مذهب الشيعة في القاب خلفائهم وأُردف بالمعصوم إشارة إلى مذهبه في عصمة الإمام))[2] 0

أما قولهم إنّه إدعى أنه هو محمد بن عبد الله المهدي المعصوم ، فيشير الدكتور السعداني إلى أن هذا الأمر مما افتري عليه أو سيئ فهمه فلا يمكن أنْ يصدر مثل هذا القول من ابن تومرت العالم التقي الورع المجاهد وان ما كان عليه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر والإقرار بعقيدة المهدي هو الذي أدى بهؤلاء إلى الطعن فيه [3] ، توفي ابن تومرت ولم تزل تعاليمه غير منجزه 0

وقد قال فيه أحد الشعراء من الطويل [4] :

سلامٌ على قبر الإمام الممجّدِ ... سلالة خير العالمين محمدّ

ومحيي علوم الدين بعد مماتها ... ومظهر اسرار الكتاب المسدد

أتتنا به البشرى بأن يملأ الدنا ... بقسط وعدلٍ في الأنام مخلدِ

ويفتحُ بالأمصار شرقاً ومغرباً ... ويملك عرباً من مغيرٍ ومنجدِ

وتولى بعدهُ قيادة الموحدين تلميذه ، عبد المؤمن بن علي (558هـ) فقد سارع هذا القائد جاداً إلى إرساء دعائم دولته ، فقد خاض معارك عديدة ضد مناهضي الحكم الموحدي ، فكان

([1]) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب ، عبد الواحد علي المراكشي ، (ت647هـ) ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، القاهرة ، د0ت ، 1963 م : 251 - 255 0

(2) المقدمة : 230 0

(3) ينظر: حركات التشيع في المغرب ومظاهره ، الهامش (9) : 168 0

(4) نقلاً عن م0ن : 165 0

أن استتب لهم الحكم في الأندلس ، بعد أنْ وطدوا استقرار معقلهم الأول في بلاد المغرب سنة (541هـ)[1] ، ثم شرع بعد ذلك في جعل الحكم وراثياً ((فسمي أولاده منذ ذلك الحين بالسادة ، بعد أنْ اختير عبد المؤمن نفسه للخلافة ، ولقب بأمير المؤمنين))[2]0

وقد مدحه عدد كبير من الشعراء ، ابتداء بعبوره جبل الفتح ، ومن هؤلاء الرصافي البلنسي في قصيدة طويلة من البسيط ، يقول في مطلعها : [3]

لو جئتَ نار الهدى من جانبِ الطورِ قبستَ ما شئت من علمٍ ومن نورِ

ومدحه ابن حربون في قوله من الطويل : [4]

سليل الإمام المجتبى وشبيههُ فإن حلَّ مولودٌ فقد حلَّ والِدُ

ومدحه أبو العباس الأشبيلي في قولته من الكامل : [5]

اخنى على من حادَ من صرف الردى أحنى على من هادَ من عطفِ الأبِ

ثم خلف عبد المؤمن ابنه يوسف ، وكان ممن مدحهُ أبو حفص عمر الأغماتي بقصيدة من البسيط يقول في بعضها : [6]

---

(1) ينظر: تاريخ المن بالإمامة ، لابن صاحب الصلاة ، تحقيق : د0 عبد الهادي التازي ، الجمهورية العراقية ، 1979 ، د0ط : 406 - 409 0

(2) المعجب في أخبار المغرب : 293 0

(3) ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدم له ، د0 إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د0ط ، 1960م : 77 0

(4) تاريخ المن بالإمامة : 274 0

(5) م0ن : 164 0

(6) الوافي في الأدب العربي في المغرب الأقصى ، محمد بن تاويت ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1998م : 169/1 0

اللـــه حســـبك والســـبع الحـــواميمُ تغـــزو بهـــا ســـبعةً وهـــي الأقـــاليمُ

ســبع المثــاني التــي للــه قمــت بهــا عليـــك مـــن ســـرِّها نصـــرٌ وتقـــديمُ

وأنــت بالســور الســبع الطــوال علــى كـــلّ الـــورى حـــاكم باللـــه محكـــومُ

وعلـى وفـق هـذا النحـو يظهـر اهتمـام الموحـدين بالأسـاس الـديني الـذي قامـت عليـه دولـتهم ليواكبوا به فعلهم السياسي أيضاً ، فمع اتخاذ عمليات الفتحّ التي قاموا بها بدءً بقضـائهم علـى المرابطين وانتهاءً بدخولهم بلاد الأندلس والسيطرة عليها ، فمع ما يتميز بـه هذا الجانـب من بعدٍ سياسي ، لكنه لا يخلو في جميع أحوالـه من بعدٍ دينـي ، إذ كـان مـا يرومون تحقيقـه هو الحفاظ على كيان المسلمين في بلاد الأندلس[1] 0

لذلك سيطرت عليهم نزعة دينيّة ، فالتعـاليم الدينيـة تـرافقهم فـي حلهم وترحـالهم والقرآن الكريم ، رفيقهم الـذي لا يملـون النظـر فيـهِ ، وكانـت الحـدود تقوم علـى العـابثين والمخـالفين وتشددوا ايّما تشدد في حـرب أهل الفسقِ وكـانوا يعدُّون الخمـور مـا يتـأذى بـهِ ويشكى منـه ، ويقو البيدق ، قـال لنـا الإمـام : ((تفرقـوا علـى الحوانيـت ، وكانـت الحوانيـت مملـوءةً دفوفـاً وقراقـــر ومزامـــر ، وعيـــدانا وجميـــع أدوات اللهـــو ، فقـــال لنـــا المعصـــوم : ((اكسروا ما وجدتم من اللهو)) فقام أربابها بالصراخ ، وساروا شاكين نحو قاضيهم ((ابن معيشة)) 000 فقال لهم (القاضـي) لـولا مـا رأى فـي السنّة مـا كسرها ومزقهـا ، مـروا فـانّكم مخالفون للحق))[2] 0

---

(1) ينظر : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، د0 إبراهيم السامرائي وآخرون ، مديرية دار الكتب ، جامعة الموصل ، العراق ، 1978 : 261 - 262 0

([2]) ينظر: أخبار المهدي ، نقلاً ، عن الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، د0 عبد الله علي علام ، دار المعارف مصر ، د0 ط ، د، ت : الهامش : 94 0

وفي هذا العصر نجد أكثر من شاعرٍ قد رثى الحسين ﴿عليه السلام﴾ ، ومنهم من اختصر شعره عليهِ ، كصفوان ابن إدريس التجيبي ، فمن شعر له في رثائِهِ ﴿عليه السلام﴾ قوله[1] :

اومـــــض ببـــــرق الأضـــــلعِ واســـــكب غَمـــــام الأدمـــــعِ
واحـــــزن طـــــويلاً واجـــــزعِ فهـــــو مكـــــان الجـــــزعِ

وله فيه مراثٍ أخرى من مثل : [2]

يـــا عـــين ســـحّي ولا تشـــحّي ولـــو بـــدمعٍ بحـــذف العـــين

ونجد شاعراً آخر مثل أبي البقاء الرندي ، الذي نظم قصيدة طويلة مخمسة ، على وفق حروف المعجم ، يضاهي بها صفوان ابن إدريس ، تتجه القصيدة نحو المباشرة في ذكر قضية الحسين ﴿عليه السلام﴾ ، يقول في بعضها [3] :

ألا ياســـا فكـــين دم الســـليل ســـليل المصـــطفى وابـــن البتـــول
لقـــد ابكيـــتمُ عـــينَ الرســـولِ وجئـــتم فيـــهِ بـــالخطر الجليـــل

((إلـــــيكم إننـــــا قـــــوم بـــــراء))

([1]) نفح الطيب ، من غصن أهل الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، أحمد بن محمد المقري ، شرحه وضبطه : د0 مريم قاسم طويل و د0 يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995م : 0 64/7

(2) م0ن : 65/7 0

(3) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي : 296 ، وما بعدها 0

ونجد في حقبة زمنية متأخرة جداً ، وتحديداً في عهد بني الأحمر ، شاعراً مثل يوسف الثالث ملك غرناطة ، ينحو منحى يعبّر فيه عن رؤى تشيعيّة في قصيدتين قالهما : إحداهما في بكاء الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾ وهي من مجزوء الرمل ، يقول في بعضها : [1]

ســـــاعديني يـــــا ســـــماء بـــــــدموع المـــــــرزمين

كـــــربلا هـــــيّجَ كربـــــي وحســـــين أصـــــلُ حـــــينِ

بعـــد صـــيف الطـــف تطفـــي لـــــوعتي أدمـــــعُ عـــــينِ

أماّ الأخرى فيتوسل بها رجاء الشفاعة ، فيقول من المتقارب [2]

بســـبطي نبـــيّ الهـــدى ابتغـــي وأرجـــو الشـــفاعة مـــن دون حـــينِ

وحســـبي الشـــفيع إذا مـــا الـــذنوب أحاطـــت بنفســـيَ فـــي المـــوقفينِ

جعلـــت التشـــيعّ فـــي آلـــه وســـائل أرجـــو بهـــا الحســـنيينِ

وعلى هذا النحو يستمر أدب بكاء الحسين ﴿عليه السلام﴾ لتبقى تلك الصفة ملازمة للشعر الشيعي الذي لا ينـي إذا ما تعرض لأية مناسبة أن يذكر تلك الفاجعة التي حلّت بالأمة الإسلاميّة ، وتكمن قيمة هذا الشعر كما يذكر الدكتور عبد السلام الهراس ، فيما يردده من أصداء تلك المأساة في هذا الجزء النائي من الغرب الإسلامي وفي هذا الزمن المتأخر الذي يمثل آخر نبضةٍ من حياة الدولة العربية هناك [3]

([1]) ديوان ملك غرناطة (يوسف الثالث) ، تحقيق : عبد الله كنون ، تطوان ، معهد مولاي الحسن ، د0ط ، 1958 : 167 0

(2) م0ن : 168 0

(3) ينظر : المناهل (مأساة الحسين في الأدب الأندلسي) ، عبد السلام الهراس ، المغرب ، 18ع ، س7 ، 1980 : 302 0

بناءً على المعطيات التي تناولها الفصل تبين لنا أن الأندلس كانت أموية الهوى ، فمنذ أن أقيمت تلك الدولة على أرض الأندلس ، كانت تحاول أن تهيئ لديمومتها كل سبب لأنها عملت ذلك نكاية بأعدائها العباسيين ، ومع هذا الوضع الذي كان يسود كان الشيعة هم الطرف الذي بقي عائماً بين هاتين الدولتين فحاولوا بجديّة أن يحققوا ما يمكن أن يهيئ لهم بعض النفوذ على الرغم من تكالب الطرفين السابقين على كل ما يمكن أن يحقق لهما الديمومة ، لذلك ظلّ الشيعة في الأندلس وغير الأندلس مرمى لكل من يعد الخروج على السلطان انتهاكاً لأمر الله ، وإذ بدأت الدولة الأموية في الأندلس تسير نحو الهاوية ، رأينا في تلك الأثناء ، بوادر كانت شرارتها تنبثق في كلّ مرّةٍ من بلاد المغرب لتضيء في بلاد الأندلس ، وعليه أمكن ملاحظة ما يأتي :

1- يعد المغرب العربي نقطة انطلاق التشيع إلى الأندلس ، أنّه يعدّ في الوقت ذاتهِ الخلفيّة الساندة ، في حالة عدم التمكن من الوقوف في وجه الآخر ، على اعتبار أنَّ المغرب العربي كان ملجأ للأدارسة ، والعبيديين والموحدين ومن بعدهم وفي الوقت نفسهِ لا يمكن أن ننكر ما للمشرق العربي من دور مهم في نقل أفكار هذا المذهب 0

2- كان الهدف من وراء دخول الشيعة إلى الأندلس كما حصل للأدارسة أو الحموديين ومن بعدهم الموحدين ، و احتكاكهم بالدولة الأمويّة كالفاطميين ، هو إثبات دور الشيعة والدعاية لمذهبهم ، والتعبير عن دورهم الحقيقي في الحياة السياسيّة والفكرية بوجه عام 0

3- لقد حاول أعداء الشيعة جاهدين التنكيل بالطرف الآخر إلى حد الطعن في انتسابهم لأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ فضلاً عن التربص بهم ، مما يعد مؤشراً خطيراً أدى بالدولة العربية (الإسلامية) إلى أنْ تقيم قواعدها على أُسس لم تأخذ بالمفهوم الإسلامي الحقيقي في بناء الدولة 0

4ـ كان البربر على وجه العموم الأكثر ولاءً من غيرهم في الإسهام في تأسيس تلك الدولة لأنهم وجدوا في أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ المدافع الحقيقي عن تطلعاتهم وآمالهم 0

5ـ عبّر الشعر الشيعي في الأندلس عن نفسه ، بصورة تبدو مناسبةً لمكانة التشيع من خلال الأغراض الشعرية المتعارف عليها : المديح ، والرثاء ، الذي اختص بالحسين ﴿عليه السلام﴾ ، والشعر السياسي وأغراض أخرى سنقف عندها بالتفصيل في الفصول الثلاثة القادمة0

يعد المديح الغرض الأكثر شيوعاً في الشعر العربي ، لارتباطه بالطبقة العليا من المجتمع ، إرضاءً لغرورها ، وترسيخاً للقيم التي تؤمن بها ، وما دام الشاعر يلقى حظوة لدى هذه الطبقة فإنّه يكشف عن طاعتهِ لها بما يقوله فيها من مدائح ، قد لا تأتي في أحوالها كافةً بما يمكن أنْ يتناسب وشخصية الممدوح الحقيقيّة ، فهي تارةً مغرقة في الغلوّ وثانيةً يسفّ فيها الشاعر ، وثالثة يعتدل في القول فيها ، ناهيك عمّا يمكن أن يعضد موقف الشاعر من ممدوحهِ بما يمكن أن يهبه له الممدوح ، وبذلك يعزز موقف الشاعر المادح ، وشعر المديح قد ((يعطينا 000 صوراً صادقة للكمال الإنساني في أروعِ مظاهرهِ ، كما يتمثله الشعراء المادحون ، وبصرف النظر عن مطابقته للممدوحين فالشاعر يرسم صورةً واضحة للإنسان المثالي في نظرهِ ، ويجسم خلائقه الممتازة من كرم وشجاعة وعفةٍ ووقار))[1] 0

وموقف الشاعر في قصيدة المديح لا يتخذّ في أحواله جلّها غيرَ طابع المنفعة بصورة عامة ، إلاّ في أحوال قد تكون نادرة، لأنّ المديح إنما ينشط ، ويتحفّز بما يمكن أنْ يهبه الممدوح لمادحِهِ ، فيما اذا لبّى غرور نفسهِ ، بعيداً عن ملازمة الحق أو مجانبتهِ ، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر ، ففي عصر دولة بني العباس (عاتب إبان اللاحقي البرامكة في إعطاء الرشيد الأموال للشعراء ، وفقره مع خدمته لهم ، وموضعه منهم ، قال له الفضل إن سلكت مذهب مروان ، أوصلتُ شعرك وبلغت إرادتك ، فقال والله ما أستحلّ ذاك ، فقال الفضل: كلنا يفعل ما لا يحل ، ولك ولنا بسائر الناس أسوة، فقال إبان :

(1) ابن زيدون عصره وحياته ، وأدبه : علي عبد العظيم ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، د0ط ، 1955 : 380 0

فـإن كـان عبـاس أحـقَّ بـتلكمُ وكـان علـيٌّ بعـد ذاك علـى سـببْ

فأبنـاء عبـاسٍ هـمُ يرثونـه كما العمّ لابن العمّ في الإرث قد حَجبْ

وفـي حسـنٍ إذ قلـتم فيـه حجـة فقـد باعهـا لا ينكـر النـاس أو وهـبْ

فـإن كـان ذا حـقٍّ فعمـداً أضـاعه وإن كان ذا دعوى فكفوّا عن الشغبْ

ثم جاء بهذه الأبيات إلى الفضل 000 فأمر له بعشرين ألف درهم ، واتصل به بعد ذلك)[1]0

ويرى الدكتور محمد مجيد السعيد ، أنّ المديح ينشط اذا ما توافرت (ال اذن الصاغية ، والذهنية الناقدة واليد السخية)[2] ، وهذه الأمور قد لا تكون متوافرة في الأحوال كلّها ، فسخاء اليد أنّما يرتبط بأمور قريبة من نفس الممدوح ، يستشعر غروره بها اذا تليت عليه ، وفي قولة إبان السالفة للرشيد ، ما يدل على ذلك ، فالأمور الثلاثة متفاوتة بالقدر الذي يحقق حاجةً في نفس الممدوح ، وقد يكون اشتراك الذهنيّة الناقدة على القدر الذي يحق رغبة جمالية أو نفعية ، وما عداه فليس مدعاةً لاعتباره شرطاً من شروط النيل بسخاء 0

قد يتحدد الأمر الذي نورده هنا ، فيما يخصّ الشعر الشيعي المرتبط بهذا الغرض على أسس منها موضوعية وأخرى تتصل بشخصيّة الممدوح ، فشخصية الممدوح اذا ما

قيست بشخصية أخرى ، يكون حضورها فاعلاً بناءً على ما يمكن أن يكون من علاقة قائمة بين الممدوح بوصفه من مكونات المذهب الشيعي من حيث ارتباطه بآل الرسول ﷺ

(1)كتاب الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين) ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ت (335هـ) ، عني بنشره ، ج 0 هيورث دن ، دار المسيرة ، بيروت ، ط2 ، 1979 : 14 - 15 0

(2) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، د0 محمد مجيد السعيد ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، د0ط ، 1980 0

﴾ أو أن يكون داعية حقّ لهم ولمذهبهم وبالضرورة تكون رؤية الشاعر المادح ـ اذا كان ملتزماً بهذا المذهب ، مدافعاً عنه ـ تحقق حضورها من خلال إيمانه المطلق بما يدعو إليهِ ، وعلى وفقِ هذهِ الرؤية تتضح فاعلية الأداء الشعري في إبراز خصائص المذهب والصفات التي يتصف بها معتنقوه ، وسادته ، باعتبار أنّ القول ((في أهل البيت ميدان متسع يمدّ الأديب بالنواحي التي يريدها ، ويهيئ لها الإمدادات الكافية لما كان يحيط بهم من هالات الفضائل والمناقب)) [1] ، وأن هناك أمراً آخرَ لابدّ من الالتفات إليه , وهو أنَّ الأئمة من أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ، نشّطوا حركة المديح وشجعوها وحثوا عليها من خلال الأحاديث التي وردت عنهم ﴿عليهم السلام﴾ ونذكر على سبيل المثال ما نقله ابن أبي عمير عن عبد الله بن الفضل الهاشمي ، قال : قال أبو عبد الله (الصادق) ﴿عليه السلام﴾ : ((من قال فينا بيتَ شعرٍ بنى الله له بيتاً في الجنّة))[2] 0

وهو يتخذ الصيغة نفسها في هذا النص أيضاً 0

وشعر المديح الذي استطعنا أن نستخرجه يمكن لنا أن نضعه على وفق تلك الصيغة ، فكان ترتيبه لا على أساس كميته إنّما بناءً على معطيات تتصل بأقدميةِ المقول فيه وشرف مكانته ، على أننا لم نذكر المديح النبوي لأن المعطيات المتوافرة في هذا النوع من المدائح قد تضعنا أمام إشكاليات نحن في غنىً عنها 0

- مديح الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ وأهل بيتهِ 0
- مديح معز الدين الفاطمي 0
- مديح آل حمود 0

---

(1)الأدب في ظل التشيع : عبد لله نعمة ، دار التوجيه الإسلامي ، الكويت ، ط2 ، 1984 : 157 0

(2) موسوعة أحاديث أهل البيت ، الشيخ هادي النجفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 2002 : 367/5 : 625/2 0

- مديح الأشراف المنتسبين لآل البيت 0

مديح الإمام علي والحسن و الحسين ﴿عليهم السلام﴾

يبدو لنا أن الشعر الشيعي الذي قيل في الأندلس على الرغم من محدوديتهِ قد أوجد مساحه مناسبة لحجمه ، قد تضمنت مدح آل بيت الرسول ﴿عليهم السلام﴾ نظراً لمعطيات قد فرضت نفسها على معظم نواحي الحياة بحيث كاد يتلاشى هذا الأدب بوجه عام ، وربّما يعود السبب أيضاً إلى طبيعة ما قيل من شعر نوّهَ به عن الممدوحين المنتمين لآل البيت ورُعيَ فيه على الأعم الأغلب شخصية الممدوح بوجه خاص ، وان دارت بعض المعاني التي عثرنا عليها حول الإمامة والتأكيد على ارتباطها بهم ـ حرصاً من الشعراء على إرضاء ذوق الممدوحين و التقرب إليهم واكتساب المال والحظوة لكنّها في الوقت ذاتِهِ جاءت متواشجة مع المديح بحيث يصعب في كل الأحيان الفصل بينهما والذي وجدناه من شعر يدخل ضمن هذا البحث هي مدحة مفردة ، لرفيق بن جابر ، ضمنها بعد أن مدح عليّاً ﴿عليه السلام﴾ ومدح الحسن والحسين ﴿عليهما السلام﴾ وتلك القصيدة في فضائل عليّ ﴿عليه السلام﴾ وإن بدت طويلة بعض الشيء ، فقد كانت عبارة عن مجموعة من الحوادث أو المواقف التي أكدتها الأحاديث النبويّة الشريفة ، وسيرته ﴿عليه السلام﴾ وهي على الرغم من ضعفها الفنيّ ،

قد التزمت الجانب الموضوعي لحياة الإمام ﴿عليه السلام﴾ بدقّة ، ولم يغال الشاعر فيها ،إنّما قد ساق الأحداث كما هي ويمكن إجمال ما تضمنته من قيم كما يأتي :

1- زواج علي ﴿عليه السلام﴾ من فاطمة ﴿عليها السلام﴾ 0

2- أحقيته بولاية أمر المسلمين ، وعلمه 0

3- اختياره حاملاً لراية الرسول يوم خيبر 0

4- تسميته بأبي تراب من قبل الرسول الأعظم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ 0

5- زهده وتقواه 0

6- وصف منزلته 0

لقد كان نقل تلك الوقائع لا يتعدى الواقع ، وكلّ ما عمله الشاعر هو أنه قد وضعها في أطار البحر الطويل ، من دون أعمال فكرهِ في خيال بسيط يضع النص في مرتبة أرقى 0

في مجال الحقيقة الأولى نرى الشاعر بعد تعريفه لعليّ يؤكد بأنه كان سيف رسول الله أي الناصر له ، محدداً ذلك على وفق اعتبارات معينة ، وهذه الاعتبارات تتضمن إدراكاً واعياً من قبل علي بن أبي طالب لخطورة الدعوة الإسلاميّة ، حينما أراد الرسول الأعظم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ دعوة عشيرته ونصرته ، فقد استخفّ به بنو عبد المطلب ولم يستجب له سوى عليّ ، وكان أصغر الحاضرين [1] ، وأنه يؤكد في الوقت ذاته قرابته منه ، فهو ابن عمّه ، وزوج أبنته فاطمة ﴿عليها السلام﴾ ، لذلك بدأ يؤكد الأمر الأول ، وهو زواجه من فاطمة ﴿عليها السلام﴾ بقوله [2] :

---

(1) ينظر: محمد رسول الحريّة : 80 ، نقلاً عن الشيعة في الميزان ، محمد جواد مغنية ، مؤسسة الكتاب الاسلامي ، ط1 ، 2005 : 43 - 44 0

(2) نفح الطيب ، 212/10 0

وزوّجــه ربّ الســما مــن ســمائِهِ وناهيك تزويجاً من العرشِ قد بُدي

بخيــر نســاء الجنــة الغرِّســؤدداً وحســبك هــذا ســؤوداً لمســوّدِ

فعنه ﷺ بعد أن أتى عليّ لخطبة الزهراء ، مضى النبيّ إلى المسجد فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : ((معاشر المسلمين ، إنّ جبرائيل أتاني آنفاً ، فأخبرني عن ربيّ جل جلالُهُ أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور ، وأنّه أشهدهم جميعاً أنه زوّج أمته فاطمة من عبدهِ علي بن أبي طالب ، وأمرني أن أُزوجه في الأرض وأشهدكم على ذلك)) [1] 0

وأما تفضيلهُ في تولي أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ ودرجة علمه ، فقد أكدها الشاعر بقوله : [2]

وقــال رســول اللــه : إنــي مدينــةٌ من العلمِ ، وهو البابُ ، فالباب فأقصد

مــن كنــت مــولاه علــيٌ وليّــهٌ ومــولاك فأصــدق حــبّ مــولاك ترشــدِ

وإنّــك فــيّ خاليــاً مــن نبــوّةٍ كهــرون مــن موســى وحســبك فأحمــدِ

وإنّما كان بناؤه لتلك الأبيات مستنداً إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد أهميّة علي ﷺ وقيمته في نفس رسول الله ، فالبيت الأول يبدو اقتباساً مباشراً لقوله ﷺ : ((أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأتِ الباب))[3] أما البيت الثاني فإنّه قد أكدّ فيه بصورة لا تقبل الشك حق عليّ ﷺ وأهل بيتهِ من

(3) على في الكتاب والسنّة ، حسن الشاكري ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1992 : 115/2 0

(1) نفح الطيب : 10 /212 - 213 0

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت : 95/1 0

بعده في خلافة المسلمين ، وهو أيضاً اقتباس للحديث الشريف ((من كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهّم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه))[1] ، وأمر الولاء إنما يتضمن الإقرار بتوليه عليّ ﴿عليه السلام﴾ من قبل الرسول والإقرار بهِ خليفة شرعياً له ، وهذا ما حدث عند حجة الوداع كما بيّنا ، وليس الولاء بمعنى المحبّة ، لأنه أنّما قال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ : ((من أحبّ علياً فقد أحبّني 000))[2] ، ويؤكد الشاعر في البيت الثالث ، منزلته التي هي كمنزلة هارون من موسى ﴿عليهما السلام﴾ ، قال الله عز وجل حاكياً عن موسى ﴿عليه السلام﴾ :﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [3] ، فلمّا جعل رسول الله عليّاً منه بتلك المنزلة أوجب له ما أوجبه الله تعالى لموسى ﴿عليه السلام﴾ ، لذلك قال له : ((أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبي بعدي))[4] فكأن مسألة اختيار الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ لعلي ﴿عليه السلام﴾ كانت بمقتضى إرادة علويّة قد أوجبت أن يكون الإمام بتلك المنزلة ، لذلك كان رؤية الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾منصبة على تقديم الولاء لعلي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ 0

---

(3) شواهد التزيل : 193/1 0

(4) ينظر: م0ن : 193/1 0

(1) طه / 25 - 45 0

(2) صحيح مسلم : 1024 ، وينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الأندلسي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 : 13/3 ، وصحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، بيت الأفكار الدولية للنشر ـ الرياض ، د0ط ، 1998 : 709 ح 03706 0

أما اختياره حاملاً لراية الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، مع مطمح الآخرين بهذه المنزلة ، فقد أنجزه الشاعر ، بصيغة موضوعيّة ، بعيدة عن كلّ ما يمكن أن يجعل الأمر يتخذ طابعاً مغالياً فيه [1] :

وقـال غـداً أعـط اللـواء محببـاً ... إلـيّ وللـرحمن بالنصـر مرتـدي

فبـاتوا وكـلٌّ يشـتهي أن ينالهـا ... إلـى أن بـدا وجـهُ الصـباحِ المجـوّدِ

فنـادى عليّـاً ثـم أبـرأ عينـه ... بنفـثٍ كـأن لـم يمـس قبـل بأرمـدِ

فاعطـاه إياهـا وقـال لـه أدعهـم ... ومهمـا أبـوا فانهـد إلـيهم تؤبـدِ

فجدّل مـنهم مـن جنـى عنـدما دعـا ... إلـى الحـربِ دعـوى الفاتـك المتمـردِ

وقـام طـوال اليـوم والبـاب ترسُـهُ ... يجـرّ بـه للقـوم فـي كـلّ مرصـدِ

فـأعجزهن البـاب مـن بعـدِ عشـرة ... فمـا الظـنّ فـي هـذا القـويّ المؤيـدِ

والحديث الشريف يوضح مغزى الأبيات ، حدثنا قتيبة عن سعد ، حدثنا عبد العزيز{000} عن أبي حازم ، عن سهل ، وحدثنا يعقوب {000} عن أبي حازم أخبرني سهل بن سعد أنّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، قال يوم خيبر : ((لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديهِ ، يحبّ الله ورسوله ويحبّهُ الله ورسولُهُ)) قال : فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يُعطاها ، قال : فلما أصبح الناس ، غدوا على رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ كلّهم يرجون أن يعطاها ، فقال : ((أين عليّ بن أبي طالب ؟)) فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيهِ ، قال : فأرسلوا إليه ، فأُتيَ بهِ فبصقَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ في عينية ، ودعا فبرأ ، حتى كأن لم يكن بهِ وجعٌ 0 فأعطاه الراية ، فقال عليّ : يا رسول الله ، أقاتُلُهمْ حتى يكونوا مثلنا ، فقال :

(3) نفح الطيب : 10 / 213 0

((انفذ على رسْلِك ، حتى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام 0 وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من أن يكون لك حمرُ النعم))[1] 0

أما تسميته بأبي تراب من قبل رسول الله ﷺ ؛ فقد جاء بها الشاعر على النحو الآتي [2] :

فجاء رسول الله مرتضياً له وهو عن الزهراء بالمتشردِ
فمسح عنه التراب إذ مس جلْدَه وقد نام منه آلفا للتفردِ
وقال له قول التلطف : ((قم أبا تراب)) كلامٌ المخلص المتوددِ

وكان هذا الاسم أحبّ الأسماء إليه ، فعن قتيبة بن سعد عن أبي حازم عن سهيل بن سعيد قال : استعمل على المدينة رجلٌ من آلِ مروان ، قال فدعا سهل بن سعد ، فأمره أنْ يشتم عليّاً ، قال : فأبى سهل ، فقال له : أمّا اذا أبيت فقل لعنَ الله أبا التراب ، فقال سهل : ما كان لعليّ اسم أحب إليه من أبي التراب ، وقد كان ليفرح اذا دُعي به فقال له : أخبرنا عن قصتهِ ، لِمَ سمي أبا تراب ؟ قال : جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ﷺ فلم يجد عليّاً في البيت ، فقال : ((أين ابن عمّك ؟)) فقالت : كان بيني وبينه شيء ، فغاضبني فخرج ، فلم يَقلْ عندي ، فقال رسول الله ﷺ لإنسان : ((انظر أين هو ؟)) فجاء فقال : يا رسول الله هو في المسجد راقد ، فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع ، وقد سقط رداؤه عن شقّهِ فأصابه تراب ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه ويقول ((قم يا أبا تراب ، قم يا أبا تراب))[3] 0

---

(1) صحيح مسلم : 1042 - 1043 ، وسنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة (297) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، د0ت : 98 ، ح3733 ، وصحيح البخاري : 708 - 709 ح 3701 0

(2) نفح الطيب : 10 / 213 0

(1) صحيح مسلم : 1044 ، وصحيح البخاري : 709 ح3703 0

أمّا الأبيات الباقية التي تصف زهده ونصرته للإسلام ، ومبلغ إيمانه ﴿عليه السلام﴾ فكانت هي الأخرى عبارة عن وصف موضوعي لم يزد قيمة فنيّة عما نوهنا عنه ، فقد ذكرها الشاعر ، كما لو أنّه قد أطلع على سيرة حياتِهِ ، ونظمها على هذا النحو ، فنراه يقول فيه [1] :

وما ضرَّ من قد بات والصوف لبسه وفي السندس الغالي غداً سوف يغتدي

وقوله [2] :

وكــان مــن الصــبيان أوّل ســابقٍ إلــى الــدين لــم يســبق بطــائع مرشــدِ

وقوله : [3]

وفــي ابنيــهِ قــال المصــطفى : ذانِ شـــبابكم فـــي دار عـــزٍّ وســـؤددِ

فعليّ ﴿عليه السلام﴾ له من الفضائل ما لا يعدُّ ولا يُحصى ، فهو السابق في الإسلام وهو أكثر المؤمنين زهداً بعد رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، وأنّ ولديه الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة 0

أما قوله : [4]

وأرســله عنــه الرســولُ مبلغــاً وخــصَّ بــالأمر تخصــيص مفــردِ

وقــال هــل التبليــغ عنّــي ينبغــي لمــن لــيس مــن بيتــي فبــالقوم فاقتــدِ

---

(2) نفح الطيب : 10 /212 0

(3) م0ن : 10 /213 0

(4) م0ن : 10 /213 0

(1) نفح الطيب : 213/10 0

فهو خاص بعليّ ، فقد أرسله الرسول ﷺ ، بعد أن دعا أبا بكر وأرسله ببراءة لأهل مكّة طبقاً لقوله تعالى : ﴿ بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] ، فسار أبو بكر ثلاثاً ثم أمضى الرسول عليّاً خلفه بأن يرد أبا بكر ويبلغها عنه ، لأنّ الله تعالى أمر الرسول أمّا أن يبلغها هو أو رجل منه [2] 0

وقوله [3] :

و مـــا زال صـــواماً منيبـــاً لربّـــهِ على الحـــقّ قوامـــاً كثيـــر التعبـــدِ

لقـــد طلـــق الـــدنيا ثلاثـــاً كلّمـــا رآهـا وقـد جـاءت يقـول لهـا ابعـدي

يذكر فيه زهد الإمام ﷺ في الدنيا ، فهو القائل : ((يا دنيا غرّي غيري أبّي تعرضتِ ، أم إليّ تشوقت ، هيهات : هيهات : قد بنتك ثلاثاً ، لا رجعة لي فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك كبير ، وعيشك خطير 000))[4] ، فأين ذاك من هذا شتان بين حكمة تخرج من الضمير تعبر عن نوازع نفسٍ ، عزفت عن الحياة ، وأغرقها التأمل في كينونتها وما ستؤول إليه ، وبين كلام يجد نفسه عاجزاً عن التعبير 0

وعلى وفق هذا تتضح القيمة الفنيّة للأبيات الشعرية المذكورة في أنها لم تكن تعبر عن شاعرية ذات قيمة ، إذ كانت كلّها سجلاً تاريخيّاً ، اعتمد سرد بعض المواقف التي عاشها الإمام في حياة الرسول ﷺ ، فأعطته خصوصيّة ، في أن جعل الرسول ﷺ ، يوليه أمر المسلمين حين قال ((من كنت مولاه ، فهذا عليّ مولاه)) وبذلك

---

(2) التوبة / 1 0

(3) ينظر: مسند أحمد بن حنبل : 230/1 0

(4) نفح الطيب : 214/10 0

(1) علي في الكتاب والسنة : 130/2 0

كان استجلاب كل تلك الخصائص التي توافر عليها النصّ لدعم هذه الفكرة ، التي تعد دعامة هذا النصّ الشعري 0

ومنها ما ذكره في السبطين : [1]

وبالحسنين السيدين توسلي ... وبجدهما في الحشر عند تفردي

هما قُرّتا عين الرسول وسيّدا ... شباب الورى في جنّةٍ وتخلّدِ

وقال : هما ريحانتاي ، أُحب من ... أحبهما ، فاصدقهما الحب تُسْعَدِ

هما اقتسما شبه الرسولِ تعادلا ... وم اذا الذي يحصيهِ منهم تعددي

لم يزل رفيق ابن جابر يسلك المسلك نفسه في وصفه ، فهو يعتمد التُراث المتمثل بالأحاديث النبوية الشريفة ، ليرسم خصائص كلّ من الحسن والحسين فقط ابتدأ بتوسلهِ بهما رجاءَ الشفاعة يوم القيامة وبجدهما ، لأنه يرى بناءاً على الأحاديث التي يسوقها في ضمن هذا القالب الشعري ، أنّ حبهما منجاة من النار ، وأنّ رسول الله يحبُّ مَنْ أحبهما ، لأنهما ريحانتا رسول الله [2] وسيدا شباب أهلِ الجنّة [3] ، وقد تقاسما شبه رسول الله فكانت منزلتهما من منزلتهِ 0

---

(2) نفح الطيب : 214/10 0

(1) هذه الكلمة مأخوذة من النص القرآني : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ {الواقعة :89} ، ويشير إليها بقوله ((من الدنيا)) فهو ريحانة رسول الله في الدنيا في قبال ريحان الجنّة ، في الجنة للمقربين ، ينظر: صحيح البخاري : 7/9 ح3753 ، وسنن الترمذي : 988 - 989 ح 3777 0

(2) ينظر: البداية والنهاية ، لأبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق : علي شيري ، دار الكتب العالمية ، مصر ، د0ط ، 1409 : 35/8 0

فالسياق الشعري الذي أختطه الشاعر لم يتوافر على إمكانيات فنية عالية كما لاحظنا في بداية نصّهِ ، واللغة التي بنى عليها النص ذات ملامح تاريخيّة بحته ، لأنّه أنّما ساق نصوص الأحاديث الشريفة بأمانة من دون إحداث تغيير 0

وعليه يمكن القول إن هناك روحاً تشيعيّة تتجاوز القدر الذي يمكن أن يُتصورّ عن حال التشيع في الأندلس ، صحيح أن النصّ مبنيٌّ على مجموعة من الخصائص الموضوعيّة التي يتصف بها الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ لكنه ينمُّ عن دور جديد يتنفس فيه الأدب الشيعيّ بحرية أكثر من ذي قبل 0

وعليه فقد كان هذا النصَّ بمضمونهِ سجلاً كاملاً لمواقف الإمام ﴿عليه السلام﴾ ومناقبهِ ، على الرغم من عدم وجود شيءٍ يدلّ على عاطفة قويّة ، لكن نجد في الوقتِ ذاتِهِ هذه المشاهد التي تصف مناقب عليّ وتميزه من سواه ، ثم هذا التعبير عن فكرةِ التشيعّ ، وهي أن عليّاً وأبناءه وزوجه بعد الرسول الأعظم ، هم قاعدة التشيع ، وأن الإمام لا يمكن النظر إليه على أنه إنسان كغيره ؛ وإنمّا هناك رؤية أخرى تستمد أبعادها من تلك القنوات العباديّة ، التي توصف بأنها نتاج عملّي لم يتصل فقط بمناسبةٍ معينة ، وإنّما يمكن النظر إليها على أنها تجمع بين الحقيقة الإنسانيّة والحقيقة الإلهية ، فالإمام هو باب مدينة العلم التي هي رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، هذا الواقع الذي يستجلب أشياء خارجيّة ويعبر بها عن انفعالات ومضامين معنوية ، تقوم في أساسها على قوّة تشترط رفع الأستار عن الحقائق فمع وجود هذه الدلالات الماديّة وارتباطها زمانياً ومكانياً بتلك الذات ، فقد ظهرت الصفات المذكورة توكيداً يمثل جانب الإثبات في المستوى الخبري معززاً كلّ فعل أو خلق ، ما ، تمّ إثباته من مضامين من خلال هذا الأسلوب التراكمي في الأخبار 0

أما الصورة التي أوردها في بعض الأبيات كتشبيه الرسول لنفسهِ بمدينة العلم ، وعلي بابها ، وكذلك إعطائه الراية لعلّي ، وقبلها وصفه وهو نائم ونفض التراب عنه ، فإنّه لم يكن للشاعر أيّ دور في إضفاء مسحة جماليةٍ أخرى للصورة ، وأنمّا ، اكتفى بإيرادها كما جاءت في السياق التاريخي الذي أنتجها ، وبذلك لا يمكن لنا أن ندخل في تفاصيلها الجمالية 0

مديح المعزّ لدين الله الفاطمي

هناك أطرٌ فكرية تتحرك في إطارها تجربة الشاعر ، فقد لا يكون الشاعر الذي يمدح خليفة أو أميراً شيعياً ، أو يقول شعراً في رثاء الحسين ﴿عليه السلام﴾ ، له امتداد فكري يرتقي من خلاله بصورة مؤثرة ، وكان من الطبيعي أن نستدل على المنطلقات الفكرية و الروحيّة التي وجهت ابن هانيء[1] * كشاعر ، مدح المعز ومن ينتسب إليهم 0

(*) هو (أبو القاسم) محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري ، من ذرية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، وقيل من ولد أخيه روح بن حاتم ، ينظر: الأحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ،

و إذ نحن نتفحص ما اطلعنا عليه من شعر يصبّ في مصبّ التشيع ، رأينا أننا أمام أفكار قد تكون متفقة في أطرها العامّة ، لكن هنالك خصوصيات ظهرت بصورة واضحة في شعر أهم شاعر أندلسي سلك هذا المسلك ، ويبدو أنّ نتاجه الشعري الذي قاله في المعز الفاطمي والذي مثل له حقيقة التشيع كان أكثر من نتاج أي شاعر آخر من الشعراء الذين مثلوا من قريب أو بعيد المذهب الشيعي ، والذي ظهر من شعر ابن هانيء أنه قد مثل العقيدة الفاطميّة خير تمثيل لاعتقاده بها ، ورأى في ممدوحه أنه الأكمل والأمثل الذي تنطبق عليه تلك المبادئ التي استوعبها ، فراح يتلوها على ممدوحِهِ وكأنه يستخلصها منه فبدا ابن هانيء حاملاً راية التشيّع للفاطميين وآلهم منافحاً عنهم مما جعل له خصوصيّة الارتباط بالمعز ، فعرف بشاعر المعزّ الفاطمي 0

في موضوعة المديح يستمد ابن هانئ رؤيته من مجموعة من المبادئ التي يرى فيها ما يمكن أن يحقق طموحه الشخصي ، مع ما يتمع به من مقومات أدبيه تبدو في أحوالها كافة مسايرةً لما يمكن أن يبزّ مكانته 0 فمع ما يتمتع به ممدوحه من مؤهلات سياسية ودنية وأدبية ، كان مغدقاً في عطائه لهذا الشاعر الذي مثل العقيدة الفاطمية في شعره خير تمثيل ، وكأنه أشبع بمبادئها , فقد غلبت هذه العقيدة طموح الشاعر فما كان جلَ سعيه إلاّ من أجل الانتصار لها , ورأى في شخصيه المعز ما يمكن أنْ يجعل من تلك العقيدة ماثلة أمامه ، وكأنه يكشف في همزيته التي يقول في بعض منها: [1]

تحقيق : محمد عبد الله غنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، 2001 : 2/288 - 289 ، و ينظر: ديوان ابن هانيء : 5

(1) ديوان ابن هانيء :12 -13 0

هـو علـة الـدنيا ومـن خلقـت لـه ... ولعـــــلة مـــا كانـــت الأشـــياءُ

من شعلةِ القبس التي عُرضت على ... موسـى وقـد حـــارت بـــه الظلمـاءُ

مـن معـدن التقـديس وهـو سـلالة ... مـن جـوهر الملكـوت وهـو ضـياءُ

مـن حيـث يقتـبس النهـار المبصـرُ ... وتشـــق عـــن مكنونهـــا الأنبـــاءُ

ليسـت سـماء اللـه مـا ترونّهـا ... لكـــنّ أرضـــاً تحتويـــه ســـماءُ

نزلـت ملائكـة السـماء بنصـرهِ ... وأطاعـــهُ الإصـــباح والإمســـاءُ

هذه هي الرؤية التي يراها في ممدوحه ، والتي تكشف عن انحيازهِ بقلبه وعقلهِ وولائه لتلك العقيدة التي يرى أصحابها أن الإمام والخليفة الشرعي ، هو سبب كلّ وجود ، وأنه الأكمل جسماً ، وروحاً ، وكأنه يبلغ صفات النبي﴿ﷺ﴾ ويبدو أنّ ابن هانيء مصرٌّ على رؤيته تلك لأنه يرى أن المعزّ إمام وابن إمام الإمام هو ابن النبي وان الإمامة ((كالنبوة لطف من الله تعالى ، وللإمام ما للنبي من الولاية العامة على الناس 000))[1] ولاشكّ في أن ما تراه الشيعة في آل البيت يرتقي إلى مستوى روحي عظيم يجعل منهم مثابة تلتقي عندها ، كلّ القيم العليا التي يحاول أن يتمثلها الإنسان 0 ومن دون شكّ ، إنّ ابن هانيء على ما يبدو ، ليس جديداً ًًًًًًًًًًً على هذا المذهب ، فقد ((كان من ثمرات دعاية الفاطميين { 000} قضى فترة من فترات شبابه في الأندلس ثمّ طرد منها حين عرف اتجاهه الفاطمي[2])) لذلك كانت فكرة الإمامة وأهمية الإمام الصورة الأكثر اهميّة في نظر ابن هانيء ، نظراً للخصائص التي تقوم على أساسها تلك الشخصّية 0

---

(2) عاقيد الاماميّة : 63 0

(1) التشيع في الأندلس : 29 0

(2) ديوان ابن هانيء : 134 - 135 0

لقد مدح ابن هانيء المعزّ في قصائد عديدة ، أظهر فيها بجلاء أثر العقيدة الفاطميّة ، وأطلق الصفات التي تنحو في أحيان منحىً غير طبيعي ، فهو يرى أنّ ممدوحه [1]:

إمـــام رأيـــت الـــدين مرتبطـــاً بـــه فطاعتـــه فـــوزٌ وعصـــيانه خُســـرُ

أرى مدحـــه كالمـــدح للـــه أنـــه قنـــوت وتســـبيح يحـــطّ بـــه الـــوزرُ

ويارازقـــاً مـــن كفّـــه نشـــأ الحيـــا و إلاّ فمـــن أســـرارها نبـــع البحـــرُ

فالإمام صنو الإيمان أو يكاد يكون هو الإيمان نفسه ، ف اذا ما كان الإنسان مطيعاً بالإيمان فهو فائز لا محالة ، لذلك كان من الواجب على ابن هانئ أن يجعل طاعتِهَ للإمام كالطاعةِ لله وأن طاعة الله مرتبطة بطاعة الإمام ، لأنّ الإمام كما يراه ، هو سبب الحياة ، ومنبع كلّ شئ حيّ 0 ويتضح لنا أنّ هذا اللون من المديح ناتج عن الملاءمة بين النوازع الذاتيةّ وبين الخارج المتمثل بالممدوح وما يؤمن به ، ومع إشارتها إلى بعض المعتقدات التي يؤمن بها الشيعة في الإمامة وتفضيل أهل البيت فإنها تنحو في أحيان كثيرة منحىً باطنياً في النظر إلى الأمور ، ولا تتقيد بالشكليات 0 وعلى العموم فإنَّ الفكرة التي ينفذ منها ابن هانيء إلى هذا النوع من المديح ، إنما ترتبط أساساً بقرابة المعزّ من النبي أو ليس هو المقول فيه [2] :

---

(1) م0ن : 273

وعلّمت من مكنون علم الله ما ... لم يؤت جبريلاً وميكائيلا
لله منك سريرة لوأُعلِنتْ ... أحيا بذكره قاتلٌ مقتولا
لو كان أعطى الخلق ماأوتيته ... لم يخلق التشبيه والتمثيلا
لولا حجاب دون علمك حاجز ... وجدوا إلى علم الغيوب سبيلا
لو لم تكن سبب النجاة لأهلها ... لم يغن إيمان العباد فتيلا
لو لم تعرفْنا بذاتِ نفوسِنا ... كانت لدينا عالماً مجهولاً

فعلم الإمام كما يقول ابن هانيء هو علم ربّاني ، لأنّ الأئمة ﴿عليهم السلام﴾ هم ورثة علم الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، وبما أنَّ علم الرسول رباني ، فعلمهم كذلك

يتحدد مستوى الأداء الشعري لهذه الأبيات مع ما تحمله من قيم مطلقة ، وُصف بها المعزُّ بأنها تنحو منحىً تخيلياً بني في بعض أركانه على أسس عقدتّه ، استلهمها الشاعر من أصول العقيدة الإسماعلية ، ووظفها توظيفاً ذا قيم فنيةً ، جعلت من الممدوح يبلغ الصفات الإلهيّة ، اذا تحد فيها الخيال مع الواقعية والعاطفة مع الموضوع ، عاكساً جوهر تلك العقيدة ، بصورة تبدو مبالغاً فيها وكأن الشاعر قد استغنى عن كلّ شي لأنه بين يدي المعز، حيث جسد المعنوي في صورةٍ معتمدةٍ على التضاد باستعماله لو ثلاث مرات وهي أداة شرط يتوقف تحقق جزائها على تحقق الشرط :

لو كان ⟵ يخلق
لو لم تكن ⟵ لم يغنِ
لو لم ⟵ كنت

لقد أثبت أشياء معنويةً لكنها ظهرت كقيمة معتمدة على التجريد ، فنقل المعنوي إلى شيء معنوي آخر ، قد ارتبط بواقع ماديّ نشاهد حركته ونلحظ سعيه 0 ((فالمعزّ)) علمه إلهي و ((المعزّ)) سبب النجاة من العذاب و((المعزّ)) سبب المعرفة بالنفس لأنه إمام ، والإمام ((إلهي الذات سرمدي الحياة ، ولو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق إلى معرفتِهِ وصول ، فهو شمس فلك الدين ، وآية الله في السموات والأرض ، وبه

صلاح العالم بأسرهِ 00))[1] ثمّ أنَّ هناك من الدلائل التي تستند إليها العقيدة الفاطميّة أنها ترى في الإمام سبيل الخلاص من عذاب الآخرة 0

ويقول فيه أيضاً [2]:

يفـــديك شـــهر صـــيامنا وقيامنـــا ثـــمّ الشـــهور لـــه بـــذاك فـــداء

فيـــه تنـــزّل كـــلّ وحـــيٍ منْـــزَلٍ فـــلاَ هـــل بيـــت الـــوحي فيـــه ثنـــاءُ

فتطـــول فيـــه أكـــفّ آلِ محمـــد وتغـــلُّ فيـــه عـــن النـــدى الطلقـــاء

مازلـــت تقضـــي فرضـــه وأمامـــهُ ووراءه لـــك نائـــل و حبـــاءُ

لا تسْـــألن عـــن الزمـــان فإنّـــهُ فـــي راحتيـــك يـــدور كيـــف تشـــاءُ

الخصوصيّة التي يمنحها الشاعر لممدوحه هنا تعبر عن حقائق يسترسل فيها وكأنها محطات تستوقف الأداء الشعري ينهل منها ، لتكون عبارة عن عوامل متضافرة تحدد خصائص الممدوح من جهة ومن جهة أخرى تعبر عن نزعات وجدانية تؤثر في وجدان الممدوح ، وتحرك الحقائق الإنسانية التي كانت عبارة عن تراكمات لها سياق ماديّ حقق حضوره في شخصيّة الممدوح 0

فالرؤية هنا تنطلق من مجموعة من الخصائص التي يتصف بها آلُ بيت النبوة ﴿عليهم السلام﴾ لتحقق حضورها في شخصيَّة الممدوح ، أو قد تنطلق منه في الوقت نفسِهِ

(1) أربع مسائل إسماعيلية ، عارف ثامر ، ص55 ، نقلاً عن : ابن هانيء الأندلسي (درس ونقد) ، منير ناجي ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ط1 ، 1962 : 27 0

(2) ينظر: ديوان ابن هانيء : 84 0

لتعبرّ عن ذلك الحضور الذهني الممتدَّ في سياق الحدث التاريخي الذي ينبي عن صفاتهم ويقول [1] :

هــذا الشــفيع لأُمّــة يــأتي بِهــا وجــد ودهُ لجــدودها الشــفعاءُ

هــذا أمــين اللــه بــين عبــاده وبــلاده إن عُــدّت الأمنــاءُ

هـذا الأغـر الأزهـر المتـألق المـ ـتـدفق المتـبلجُ الوضـاءُ

فعليَــهِ مــن ســيما النبــي دلالــةٌ وعليــه مــن نــورِ الإلــه ضــياءُ

ورث المقــيم بيثــربٍ فــالمنبر ال أعلــى لــه والترعــة العليــاءُ

لا يتعامل الشاعر مع ممدوحهِ على أساس أنه حاكم فقط وإنما هناك ثوابت ذاتيّة تطرح نفسها في ساحة التجربة المديحيّة ، يشترك فيها الممدوح والمادح ، حملّت الشاعر أن ينهج منهجاً عقدياً في وصف ممدوحهِ فإطلاقه لصفة (الشفيع) و(أمين الله) ، وتشبيههُ بالنبي الأعظم ﴿ﷺ﴾ في البيتِ الثالث خلق مساحة أخرى من التطلع لا يريد الشاعرُ من خلالها أن يتباهى بممدوحه على سبيل الذاتيّة المحضة وإنّما حرصاً على تنمية الروح الجماعيّة مستمداً رؤيته تلك من مجموعة من الخصائص التي امتاز بها المعزّ فهو ورث النبي في الشبهِ ، و الخلافة ، والشفاعة ، لذلك فإنّ تكرار اسم الإشارة ((هذا)) أربع مرّات أنّما يعكس مدى اهتمام الشاعر بإبراز صفاتِ ممدوحه ، وتعزيز تلك الصفات في ذهن المتلقي ليرسم صورة معكوسةً عن الصورة التي تسيطر على أعماقه ، فكأنّ التكرار ((أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيؤُها بحيث نطلع عليها)) [2]

---

(1) ديوان ابن هانيء : 13 0

(2)قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، ط 2 ، 1965 : 242-243 0

ويرى ابن هانيء أن المعز (وارث الأرض) عن النبّي وعن علي المرتضى وأنهم انمازوا من غيرهم على وفق اعتبارات خصهم بها الله سبحانه وتعالى [1] فقد نال آدمُ بهم العفو من ربّ العزّة عندما عصى[2] :

لآدم مـــن ســـرّكم موضـــعٌ بـــهِ اســـتوجب العفـــوَ لمـــا عصـــى

إذ يستنبط ابن هانيء فكرة هذا البيت من الحديث المنقول عن النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ فعن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : سُئِل النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه ، قال سأله ((بحقّ محمدٍّ وعليٍّ و فاطمة والحسن والحسين إلاّماتبتَ عليّ)) [3] ، فتاب عليه 0

وهناك حقيقة يدركها ابن هانيء هي أنّ ممدوحه هو المثابة التي تدعو إلى الرشد والصلاح ولكن إتباع الهوى ، قد أدى بالذين جحدوا حقّ من ينتسب إليهم المعز إلى الضلالة ، ولهذا يعلل أمر الضلالة والهداية بأنّه اختيار ذاتي ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثاً ولم يتركهم سدى فإنه جلّ وعلا أرسل لهم النبيين والوصيين ، فالأجدر بهم أنْ يتبعوا ما أوصى به نبيّه ، فهو بذلك يشير وبخفاء إلى إعراض الكثيرين عن موالاة علي ﴿عليه السلام﴾ ، بعد وفاة النبيّ [4]

ومـــا خفـــي الرشـــد لكنّمـــا اضـــلَّ الحلـــومَ اتبـــاعُ الهـــوى

ومـــا خلقـــت عبثـــاً امّـــة ولا تـــرك اللـــه قومـــاً ســـدى

---

(1) ينظر : ديوان ابن هانيء :24

(2) م0ن :25

(3) مناقب علي ابن أبي طالب ، الحافظ الفقيه ابن المغازي (483 هـ) ، مطبعة دار الأضواء ، لبنان بيروت ، د0ط ، د0ت : 13 ، وينظر الدر المنشور ، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت : 1\ 147

(4) ديوان ابن هانيء : 25 0

وفي قصيدة أخرى يمدح بها ابن هانيء المعزّ ، إذ يقول : [1]

إنفـــذ قضـــاء اللـــه فـــي أعدائِـــهِ لتـــرُاح مـــن أوتارهـــا وتريحـــا

بالســـــابقين الأولـــــين يـــــؤمهم جبريـــل يعتنـــق الكمـــاة مشـــيحا

فكـــأنّ جـــدّك فـــي فـــوارس هاشـــم مـــنهم بحيـــث يـــرى الحســـين ذبيحـــاً

في هذه الأبيات الثلاثة نرى أن مسحة التشيع الهادئ ، أعطت الأبيات انسيابيّة دلاليّة إذ تسلل المعنى ليكتمل على وفق صياغة استدعت الجملة ((بحيث يرى الحسين ذبيحاً)) ليعطي دفعاً أكثر فاعليّة للاقتصاص من الأعداء ، ويحضّ المعز على اغتنام الفرصة من الأمويين 0 ويتدرج في القول [2]

أوتيـــت فضـــل خلافـــةٍ كنبـــوّةٍ ونجـــي إلهـــامٍ كـــوحي يـــوحى

يـــا خيـــرّ مـــن حجّـــت إليـــه مطيّـــة يـــا خيـــر مـــن أعطـــى الجزيـــل منوحـــا

م اذا نقـــولُ جللـــتُ عـــن أفهامنـــا حتـــى اســـتوينا أعجمـــاً وفصـــيحا

نطقـــت بـــك الســـبع المثـــاني ألســـنّا فكفيننـــا التعـــريض والتصـــريحا

صـــوّرت مـــن ملكـــوت ربـــكّ صـــورة وأمـــدها علمـــاً فكنـــتُ الروحـــا

أقســـمتُ لـــولا أن دعيـــتُ خليفـــةً لـــدُعيتُ مـــن بعـــد المســـيح مســـيحاً

فالمعزّ على حدِّ قول ابن هانيء ، جلَّ عن الإدراك ، فالفصيح كالأعجم في إدراكه فكأني به وهو يصفه انه بشر في شكله ملك في كلّ ما يصدر عنه لذلك شبهه بالمسيح ﴿عليه السلام﴾ ، إلى أن يقول [3]:

شـــهدتُ بفخـــرك الســـموات العلـــى وتنـــــزل القـــــرآن فيـــــك مـــــديحاً

---

(1) ديوان ابن هانيء : 73 0

(2) م0ن : 73 - 74 0

(3) م 0 ن : 74 0

قد تكون شخصية المعزّ قد ألهمت ابن هانيء ، ما عُدّ عليه غلّواً ، لكن ما نراه إنّما ينبع من تفضيل الرسول وآل بيته ، أوليس هو منهم ، فعن السجاد ﴿عليه السلام﴾ قال : ((نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة وحي الله ، ونحن الحجة البالغة من دون السماء ومن فوق الأرض)) [1] 0 فعلى وفق تلك الخصوصيّة ، وفيها ، تنطوي تلك الأفكار التي قد تتسم بالتعقيد أحياناً وبالغلوّ أحياناً أخرى لتعطي إشارة واضحة عن عمق النظرة التي ينظر بها ابن هانيء إلى ممدوحه ، بوصفة جزءاً لا يتجزأ عن تلك الأرومة ، ولأنه الإمام الذي يحقّ له أن يتمتع بتلك الصفة دون غيره : ومن جهة أخرى لو كان قد مدحه بما يمكن أنْ يمدح به أيَّ شخصٍ آخر ، فهل كان يميّزه عمن سواه 0

ويقول في قصيدة أخرى : [2]

أبنـــي النبـــوّة هـــل نبـــادرُ غايـــةً ... ونقـــول فـــيكم خيـــر مـــا قـــد قـــيلا

إنّ الخبيـــر بكـــم أجـــد بخلقكـــم ... غيبـــاً فجـــرد فـــيكم التنـــزيلا

آتـــاكم القـــدس الـــذي لـــم يؤتِـــهِ ... بشـــراً وأنفـــذ فـــيكمُ التفضـــيلا

إنّـــا اســـتلمنا ركـــنكم ودنـــوتُمُ ... حتـــى اســـتلمتم عرشـــه المحمـــولا

فوصـــلتم مـــا بيننـــا وأمـــدكم ... برهانُـــهُ ســـبباً بـــه موصـــولا

مـــا عـــذركم أن لا تطيـــب فـــروعكم ... ولقـــد رســـختم فـــي الســـماء أصـــولا

أعطـــتكمُ شـــمُّ الأنـــوفِ مقـــادة ... وركبـــتُم ظهَـــر الزمـــانِ ذلـــولا

نجد في هذه الأبيات نفساً شيعياً خالصاً يفيض مودةً لآل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ، ونجد فيها أيضاً أمثلة قدسية تتجاوز في مستواها الناس ، فهؤلاء الذين يمدحم الشاعر هم خير من

---

(1) اصول الكافي : 215/2 - 216 ، وينظر: م0ن : 232/1 و 247 0

(2) ديوان ابن هانيء : 271 - 272 0

خلق الله تعالى من جنس بني آدم ، فدليل تفضيلهم أنهم خُصوا بالقرآن الكريم ونزل الروح الأمين على جدّهم رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ، فأصبحوا السبب الذي يربط السماء بالأرض ، أفليسوا هم الذين يقول فيهم الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : ((إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله عزّ وجل ، وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، سألت ربي ذلك لهما ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم ، فإنهم أعلم منكم)) [1] 0

الأبيات تعطي في مجملها صيغة مدحيّة تتناسب مع القدر الذي وهبه الله تعالى لآلِ البيت ، لكنّها على العموم تلتزم بضروب النظم وخصائصه العامّة كما كانت متركزة في الشعر المشرقي 0

ونظم عام 361هـ رائية في انتصار جيش المعزّ على القرامطة في الشام التي ابتدأها بقوله [2] :

مـــا شـــئتَ لا مـــا شـــاءت الاقـــدارُ ... فـــاحكم فأنـــت الواحِـــدُ القهـــار

فكأنّمـــا أنـــت النبـــيُّ محمّـــد ... وكأنّمـــا أنصـــارُكَ الأنصـــارُ

أنـــت الـــذي كانـــت تبشـــرنا بـــهِ ... فـــي كتبهـــا الأحبـــارُ والأخبـــارُ

هـــذا إمـــام المتقـــين ومـــن بـــهِ ... قـــد دُوّخ الطغيـــان والكفـــارُ

هـــذا الـــذي ترجـــى النجـــاةُ بحبّـــهِ ... وبـــه يحـــطّ الأصـــر والأوزارُ

هـــذا الـــذي تجـــدي شـــفاعته غـــداً ... حقـــاً وتخمـــد أن تـــراهُ النـــارُ

مـــن آل أحمـــد كـــلُّ فخـــر لـــم يكـــن ... ينمـــى إلـــيهم لـــيس فيـــه فخـــارُ

---

(1) صحيح البخاري : 137/3 ، وينظر صحيح مسلم : 1043 ح 2408 ، وينظر أصول الكافي : 234/1 0

(2) ديوان ابن هانيء : 146 0

هذه المجموعة من الأبيات قد عبّرت عن وجهة نظر ابن هانيء في شخصية المعزّ وإن كان قد تجاوز المعقول في وصفه له ، ولكن ما تمليهِ عليه عقيدته الفاطميّة التي يرى أصحابها أنّ الإمام هو علة الوجود ، جعلت من رؤيته له أنْ تكون على تلك الشاكلة ، فالمشيئة مرتبطة بهِ لأنّه الذي يشاء ، ولأن حكم الأشياء بيدهِ ، فهو الواحد القهّار ، وهاتان الصفتان ، هما اسمان من أسماء الله الحسنى ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (1) ، فكيف سمح ابن هانيء لنفسه أنْ يطلقهما على ممدوحِهِ ، فضلاً عن هذا ، نراه في البيت الثاني يشبهُ ممدوحه بالنبيّ ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ولا نعلم من أية وجهة كان التشبيه ، فعن علي بن إبراهيم عن أبيهِ عن ابن أبي عمير ، عن أبن اذينة عن يزيد بن معاوية عن أبي جعفر وأبي عبد الله ، قال : ما منزلتكم ومن تشبهون ممن مضى ؟ قال : صاحب موسى ، وذو القرنين ، كانا عالمين ، ولم يكونا نبيين (2) فالإمام ﴿عليه السلام﴾ لم يسمح لنفسه بأن يتشبه بالأنبياء أمّا ابن هانيء ففعل ما فعل من دون أيّ إحراج ، ثم يجيء البيت الثالث الذي نعتقد أنّه بالمعنى نفسهِ ، فالذي كانت تبشر به الأخبار والأحبار هو رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ثم ينهي هذا المقطع ، بثلاثة أبيات مبدوءة باسم الإشارة ((هذا)) واصفاً المعز بأنه إمام المتقين وبحبه توضع الأوزار وهو الشفيع يوم القيامة ، وكان تكرار اسم الإشارة يضفي صيغة توكيديّة من نوع خاصّ تمدّ السياق الشعري ، بمستوى أدائيّ ، يجعل من الممدوح إنساناً لا نظير له ، لأنه من خيرة خلق الله تعالى ، لذلك يقول فيه : (3)

إن قيل من خير البرية لم يكن إلاّ كم خلقٌ إليه يشارُ

---

(1) الأعراف / 180 0

(2) الكافي : 297/1 0

(3) ديوان ابن هانيء : 150 0

وفي هذا البيت إشارة واضحة ، إلى قول الفرزدق للإمام زين العابدين ﴿عليه السلام﴾ في موقف الحجّ حين يقول : [1]

إن عُدَّ أهل التُقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض ؟ قيلَ

ثم يتدرج في قصيدته واصفاً القائد جوهراً وجيشه إلى أن يصل إلى قوله : [2]

أأبنـاء فـاطِم هـل لنـا فـي حشـرنا لجـأ إلـى سـواكم عاصـمٌ ومجـارُ

أنـتم أحبـاء الإلـه وآلـهِ خلفـاؤهُ فـي أرضـهِ الأبـرارُ

أهـل النبـوة والرسـالة والهـدى فـي البينـات وسـادة أطهـارُ

والـوحي والتأويـل والتحـريم والتحليـل لا خلـف ولا إنكـار

إن قيـل مـن خيـر البريـة لـم يكـن إلاَّ كـم خلـق إليـه يُشـار

لوتلمسـون الصـخر لانجبسـت بـهِ وتفجـرت وتـدفقت أنهـارُ

او كـان مـنكم للرفـات مخاطـب لبـوّا وظنّـوا أنـه إنشـار

فابن هانيء يركز على صفات هي ملازمة لأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ فالأشياء التي يوردها لا تغيب عن ذهن أيّ مسلم مهما كانت درجة إسلامِهِ ، لكن هذا التكرار في المعنى بصورة لا تبدو متباينة في جميع الأحوال يجعل من النصّ مترهلاً فقوله أهل النبوة ، والرسالة ، والهدى ، فيها إطالة ، فلاشك أن الرسالة مرتبطة بالنبوة ، وأيّ نبي جاء من دون رسالة وأي نبّي لم يأتِ هاديا ، والوحي أيضاً يرتبط بالرسالة ، والتأويل والتحريم والتحليل ، من مستلزمات الهدى ، فكان قد أكثر من هذهِ الصفات من دون مسوغ ثم يضيف ابن هانيء خصيصة قدسّية أخرى ، فالذين ينتمي إليهم المعزّ

(1) ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه الأست إذ : علي خريس ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 : 456 0

(2) ديوان ابن هانيء : 150

يحيون الموتى كما فعل عيسى ﴿عليه السلام﴾ باعتبارهم يرثون علم النبيّ ، عن محمد بن يحيى عن سلمة بن الخطاب عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن زرعه بن محمد عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله ﴿عليه السلام﴾ :إنّ سليمان ورث داود ، وأن محمداً ورث سليمان ، وإنا ورثتا محمداً وأن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور ، وتبيان ما في الألواح))[1] لذلك كان من الممكن الإتيان بالمعجزات بوصفهم أصحاب علم إلهي توارثوه عن آبائهم وعلى وفق هذا نلحظ أنّ ابن هانيء يؤكد صفتين مهمتين إحداهما : تأكيد انتساب المعزّ الفاطمي لآل النبيّ ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، وأُخرهما : أحقيتهم بإمامة المسلمين دون غيرهم 0

يبدو للباحث أنّ النصوص التي أوردها لابن هانيء في مجال دراسته تلك كافية بالقدر الذي أظهر فيه السمات التي يتحرك ضمن إطارها والتي بينت بوضوح مرجعيته الفكرية والتي لاشك في أنه استلهمها من مجمل الأفكار التي تقول بما ينماز به أهل بيت النبوة ﴿عليهم السلام﴾ من قداسة ، إلاّ في حالة نرصد فيها بعض المغالاة التي تفرضها طبيعة المعتقد الفاطمي 0

تتحدد القيمة الفنية لتلك النصوص في مستواها اللغوي أولاً ، لتكشف عن لغة شعرية عالية امتزجت معها مرجعيته الفكرية ، مظهراً ما يمكن أنْ يكشف من خلالَهُ إيمانه بالعقيدة الفاطميّة على أنّ تلك اللغة في أغلب أحوالها كانت مشفوعة بالعنصر الصوري فممدوحه هو : علّة الدنيا ، وشعلة القبس ، ومعدن التقديس ، وأرضاً تحتويه سماء ، ونزلت بنصرهِ الملائكة وطاعه الإصباح و الإمساء ، وطاعته فوزٌ ، وعصيانه خسرٌ ، ومدحه قنوت وتسبيح وتحطّ به الأوزار ومن كفه نشأ الحيا ، وسبيل النجاة ، وظلَّ يدور في راحتيه الزمان ، وعليه من

(1) أصول الكافي : 251/1 0

سيماء النبيّ دلالة ، وريث النبيّ ، وجل عن الأفهام ، وابن النبوّة ، والأقدار طوع مشيئته ، وأبن فاطمة ، وحبيب الله ، وخير البرية)) 0

ويبدو أن عناية الشاعر بصورة خاصّةٍ بإحكام عبارته الشعرية ، كان دليلاً آخر على احتفال الصياغة الصورية بالعمق ، فقوله مثلاً : (طاعة الإصباح والإمساء) و(من كفه نشأ الحيا) و (يدور في راحتيه الزمان) ، جمعت عنصر الصورة والاستدلال والجانب الفكري ، وبذلك نجد الاستواء مرةً في طرحِ الأفكار ، ومّرةَ يشوب الطرحَ نوعٌ من الانحراف قد يؤدي بهِ إلى الإنزلاق نحو التردّي كما في استعماله التشبيه في قوله من الكامل: [1]

مـــا شـــئتَ لا مـــا شـــاءت الأقـــدار فـــأحكم فأنـــت الواحـــد القهـــارُ

فكـــانمّـــا أنـــت النبـــيّ محمـــد وكأنمّـــا أنصـــارُك الأنصـــار

فلا يجد هنا شيئاً سوى الانسياق وراء المتعة في إتحاف الممدوح بالأوصاف النادرة وبذلك يسحب القيمة الدينيّة التي يراها في ممدوحه بمزاياها بطريقة غير اعتيادية فيمثلها في نصّهِ مما يعد غلّواً عليه ، وحقيقة الأمر أنّ ما تراه الشيعة في أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ من دون شك يمنحهم تلك المنزلة الرفيعة التي تجسد قيماً قدسيّةً تكشف عن تأمل دقيق في معطيات الواقع السلوكي لهم 0

إنَّ هذا الترسل الذي توافرت عليه تلك النصوص بتنوعاتها ، قد شكل سمة أسلوبيّة بارزة في نصوص ابن هانيء ، وأنه أعطى مؤشراً مهما يفصح عن دلالات ضخمة يؤديها الشاعر تحت مظلة الانتصار لعقيدته 0

(1) ديوان ابن هانيء : 146

وثانياً يمكن لنا ملاحظة الصياغة الجمالية فيها ، على نحو لافت ، إذ تآزرت الألفاظ دلالياً ، وإيقاعيّاً ، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر ، نلحظ أن عنصر التكرار (ما شئت وما لا شاءت) و(فكأنّما وكأنّما) و (هذا إمام ، هذا الذي هذا الذي) و(لولا دعيت ، لدعيت) و (بعد المسيح ، مسيحا) وفي نص آخر نجد هذا التكرار في الصفات أيضاً ، من مثل : (هذا الشفيع وهذا أمين الله ، و هذا الأغرّ ، المتألق ، المتبلجّ الوضاء) وغير ذلك كثير ، فهذا الدمج بين العنصر اللغوي بدلالاته المحتشدة ، وبين العنصر الإيقاعي ، يعطي للنص انسيابيّة خاصة تتآزر مستوياتها جميعاً لتحقيق بعداً جمالياً ووظيفيّاً في آنٍ معاً ، فضلاً عما يمكن أن يبرزه الإيقاع الخارجي بتفرعاتِهِ كافة ومن ضمنها القافية التي يترسمها الشاعر أداء ودلالة ، من عنصر موسيقي مهم يعزز الأداء الشعري 0

إنّ للصيغ البلاغيّة التي توافرت عليها النصوص دورها الدلالي والجمالي ، فقوله (اعجماً وفصيحاً) و (التعريض والتصريحا) ، يستنطق العاطفة مع تأكيدهِ على تنويع الصوت بتغير الدلالة بما يضادها ، وبعبارة تبدو أكثر اتساقاً مع متطلبات الإيقاع داخل النصّ 0

مديح بني حمود ((الأدارسة))

بعد أن انقضت خلافة بني أميّة لم تكن بلاد الأندلس بعيدةً عن التشيع الذي حاول الأمويون إبان خلافتهم أن يقاوموه مقاومة عنيفة ، ويحملوا أتباعهم على كراهية الشيعة والتشيعّ ، كما بينا في الفصل الأول من دراستنا ، فقد كانت القبائل البربرية التي دخلت الأندلس منذ الفتح من المراكز المهمة للتشيعّ وفق هذا كان قد تسربت الثقافة الشيعية إلى الأندلس بفعل الرحلات من المشرق واليه ، لذلك رأينا أن الحموديين كونوا أول دولة شيعيّة هناك ، وقد استمر حكمها نصف قرن من الزمن 0

لقد رأى الحموديون أن في الأدب ولا سيما الشعر منه قيمة كبيرة على مسرح الحياة السياسيّة ، فمال علي بن حمود إلى تشجيع الشعر وأجزال العطايا للشعراء المدّاح لذلك رأينا أكثر من شاعر قد مدح الحموديين ، وكان ابن درّاج القسطلي أكثر هؤلاء الشعراء دوراً في مديحه لبني حمود ، وتعد قصيدته اللاميّة التي مدح بها علياً بن حمود صورة بارزة من الصور التي جسّدت هذا التحول في الرؤية فيما يخصّ المذهب الشيعي ورجالاته وقد عدّها ابن بسام من ((الهاشميات الغّر))[1] ، وهي تحمل في الوقت نفسه تلك الدلالات المباشرة والواضحة التي يتصف بها آل بيت النبوّة ﴿عليهم السلام﴾ ومنها أنّ أولى الناس بميراث النبي في الخلافة هم آل بيتهِ فضلاً عن دلالاتها العامة التي تنحو ذلك المنحى التقليدي في المديح الذي يقوم في أحواله جلّها على إبراز المعاني العامّة بوصف إن هذه المعاني والصفات تمثل قوام المجتمع العربي الحقيقي ، أمّا الدلالات الأخرى التي تنحو منحى تخيلياً ، فقد كانت في بداية النص الشعري ، إذ يقوم في بدايتهِ على حواريّة تستدعي بالضرورة خلق

(1) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : م1/ق1 ، 87 0

جوٍّ من التداعيات يستطيع الانسلال من خلالها للدخول إلى غرض المديح ، المديح هنا قد يكون بالضرورة ناتجاً عن رؤية إيمانيّة بهذا المذهب أو قد يكون عبارة عن تعبير عن واقع ماديّ لا يكشفه الشاعر ، وإنمّا يُتحرى الكشف عنه من خلال تلك الظلال الشعرية التي يخلقها السياق ، ليعكس هذا الحديث صراعاً داخل ذات متأزمةٍ تعيش حالةً من التدمير يقودها إلى أنْ تعبرّ عن ذاتها المكبوت بتلك الصورة التي تبدو عفوية [1] :

لعلّــك يــا شــمس عنــد الأصــيل شــجيتِ لشــجوِ الغريــبِ الــذليلِ

فكــوني شــفيعي إلــى ابــن الشــفيع وكــوني رســولي إلــى ابــن الرســول

فأمــآ شــهدتِ فــازكى شــهيد وأمــآ دللــتِ فأهــدى دليــلِ

لقد تعمدّ الشاعر في تلك البداية إلى المقابلة ، بين الوسيلة التي يترجَّى منها الحصول على تعاطف معين وبين ممدوحهِ الذي يرى فيه بغيتهُ ، فقد حددّ وقت الشجو عند الأصيل وهو الوقت الذي تجنح فيهِ الشمس نحو المغيبِ ، وفيه تعتمل في النفس المضطربة همومٌ شتّى ، فكأن الشاعر يُشعر الشمس بما فيه ، لذلك ترجىّ منها ما ترجىّ ، كذلك استعمال الجناس قد حقق مستوى أدائياً رفع من قدرة الأبيات على إبراز ما يعتمل في نفس الشاعر 0

شفيع ⟵ الشفيع

رسول ⟵ الرسولِ

شهدت ⟵ شهيد

دللتِ ⟵ دليل

(1) ديوان ابن دراج : 75 - 76 0

فالحصول على شفاعة الممدوح يتضمن إدراكاً للقيمة التي ينماز بها ، فالشاعر هنا يدرك تماماً الحدود التي يتحرك ضمن إطارها ، والتي تضع النصَّ في إطار التشيّع وان قال آخرون إنّه يتزلّف بما قال طلباً لرفد الممدوح[1] ، فقوله [2] :

فكـوني شـفيعي إلـى ابـن الشـفيعِ وكـوني رسـولي إلـى ابـن الرسـولِ

إنّما يصبّ في ذلك المصبّ الذي يرى أصحابُهُ أنّ الحسن والحسين ابنا رسول الله ليس بناء إلا على تفهم ينتج عن التمايز الذي حظي به الإمامان بناء على التفسير الذي يقول بهِ الشيعة لآية المباهلة ، فكان الممدوح على وفق ذلك يستحق مرتبة الإمام ، لأنه ذو أصل كريم [3]

فسـمي جـدك عمـر و الكـرام بهشـم الثريـد زمـان المحـول
فضّـيف حتّـى وحـوش الفـلاة وأهـدى القـرى لهضـاب الوعـول
فـأنتم هـداة حيـاةٍ ومـوتٍ وأنـتم أئمـة فعـل وقيـل
وسـادات مـن حـلّ جنـات عـدنٍ جميـع شـبابهم والكهـولِ

ثمّ نراه يعجب في الأبيات الآتية ، أنه لم اذا لم تنفكّ عنه تلك الملمات لأنه دنا من ممدوحه وتنسم ريح آل بيت النبيّ ، واصفاً إياهم بعظم أطواد العز ، كناية عن الرفعةِ وهو يرنو بطرفهِ الكليل ، و بـ(ابحرهم زاخرات) كناية عن الكرم ، وهو يرشف من الشيء القليل ، وأنه يقرن بين سوء حاله وما عند هؤلاء من خير : [4]

وابحـرهم زاخـرات إليـه ويرشـف فـي الثمـد المسـتحيل
تجـزأ مـن جنتـي مـأربٍ بخمـط واثـلٍ وسـدرٍ قليـلِ

(1) ينظر: ديوان ابن دراج : 27 0
(2) م0 ن : 76 0
(3) م0 ن : 80 0
(4) م0 ن :76 0

فاتجاه الشاعر إلى الخارج المتمثل بسجايا الممدوح والاعتماد على معطياتِهِ في إثبات الحقائق المعنويّة التي تنتابه ، هو الذي حقق للغتهِ الوضوح وقد حاول أن يربط ما بداخله مع الخارج بعلاقةٍ اقترانيّة يتبع فيها المعنى الخفيّ المعنى الظاهر لذلك يقول[1]

إلــى ابــن الوصــيّ إلــى ابــن النبــيّ إلــى ابــن الــذبيحِ إلــى ابــن الخليــلِ

إلـــى المســـتجارِ مـــن المســـتجير إلـــى المســـتقال مـــن المســـتقيل

إلـــى المستضـــاف المليـــكِ العزيـــز مـــن المستضـــيفِ الغريـــب الـــذليل

فالإفصاح بهذا السيل المتتابع من الأوصاف له من القوّة التوكيدية مما يدعم الممارسة الشعرية ، حتىّ تستجد فيها قوة العاطفة لتجد متنفسها الذي يعمق الرؤية الفكرية للسياق ويربطها بواقع وإن لم يبح به مباشرة لكنه يصور المكانة الفضلى التي يتمتع بها هؤلاء بوصفهم من آل البيت النبوّة 0 وتكشف في الوقت نفسه ولاءً تجاه أهل البيتِ 0

ويقول فيه عبادة بن ماء السماء ، وكان معروفاً بالتشيع [2] :

أبـوكم علـي كـان بالشـرقِ بـدءَ مـا ورثــتم ، وذا بــالغرب أيضــاً ســميّهُ

فصـــلّوا عليـــهِ أجمعـــون وســـلّموا لـــه الأمـــر إذ ولاّه فـــيكم وليّـــهُ

فالإقرار بأحقيّة علي بن حمود في خلافة المسلمين ، كالإقرار بأحقية علي ﴿عليه السلام﴾ ، في خلافته ، لذا يطلب الصلاة على محمد لتمام ذلك الأمر ، ويؤكد ابن الحناط تلك الرؤية حينما يطلق لقب أمير المؤمنين على عليّ بن حمود كما في قوله [3] :

---

(1) ديوان ابن دراج : 76 0

(2) نفح الطيب (طبعة مصر) : 29/2 0

(3) الذخيرة : ق1 م1 : 449 0

أمـــت أميـــر المـــؤمنين مـــواحلاً فســـقى صـــداها غيثُـــهُ الشـــؤبوبُ
المعتلـــي باللـــه والملـــك الـــذي تـــاج الفخـــار برأســـهِ معصـــوبُ
إن كـــانّ عـــدّوا حـــبّ آلِ محمـــدٍ ذنبـــاً فـــأنيّ لســـتُ منـــه أتـــوب

على أن إطلاق لقب ((أمير المؤمنين)) يتخذ خصوصيّة عند الشيعة ، والشاعر هنا يكشف عن أنه محب حقيقي لآل بيت الرسول ﴿ﷺ﴾ وقوله هذا كما يذكر ابن بسام كقول العباس بن الأحنف[1] :

إن كـان ذنبـي فـي الزيـارة فـاعلمي أنـي علـى كسـبِ الـذنوب لجاهـدُ

في حين لا يرى الباحث الرأي نفسه ، لأنّ مناسبة القول لا تستدعي شيئاً من هذا القبيل ولمّا كانت فكرة التشيع لآل أحمد ﴿عليهم السلام﴾ ، منبوذة عند أهل الأندلس على وجهِ العموم ، كانوا يرمون محبيهم بشتىّ التهم ، لذلك كانت رؤية ابن الحناط ناتجة عن إصراره ، وليس عن باب التقليد ، وعلى كلّ حال فالأبيات ، لا تكشف عن رؤية عميقه وإنماّ بنيت على أساس المودة لآل النبي ، أو على أساس نيل العطاء ، إذ مثل البيت الأول غاية الشاعر فالألفاظ ((مواحلاً ، صداها ، الغيث)) إنماّ تمثل غاية ما يريد إدراكه من الممدوح ويقول في أخرى من الطويل [2]

فبـــوأت رحلـــي ظـــلّ أروع ماجـــد يقـــول بـــلا خلـــفٍ ويعطـــي بـــلا مـــنّ
إمـــام وصـــيّ المصـــطفى وابـــن عمّـــه أبـــوه ، فـــتمّ الفخـــر بـــين أبٍ و ابـــن

إنه مسألة تأكيد الوصاية لعلي بن أبي طالب من قبل الرسول ﴿ﷺ﴾ **هي** أهم الأسس التي يقوم عليها التشيّع ، فمنكرها ، ليس من التشيع في شيء ، فابن الحناط مع

---

(1) الذخيرة : ق1 م1 : 449 0

(2) م0ن : 451 0

ما يصف به ممدوحه من الكرم ، يقول إنه ابن وصيّ المصطفى ، أي ابن علي بن أبي طالب ، وعليّ ابن عمّ النبي ، فقد جمع بين المنزلة الدينيّة والمنزلة الاجتماعية لذلك أفاض الشاعر العربي على وجه العموم في تلمسه هذه الفضائل في ممدوحه وتمجيدها فيه بوصفها نم اذج للمثل الإنسانّية [1] ، **فكيف يكون الأمر حينما ينتسب الممدوح إلى آل البيت** ﴿عليهم السلام﴾ ، فقد يعكس الشاعر إيمانه الحقيقي بالإمام وبالمنزلة التي يحتلها إلى درجة تفنى شخصيته في شخصيّة الإمام الذي يمدحه ، ويرى أنه الإمام الذي دافع عن الدين[2] :

إمـــام أقـــامَ الـــدينَ حـــدُّ حســـامهِ طريـــراً ومنـــه فـــي يـــد اللـــه قـــائمُ

ويزهـر فـي يمنـاهُ نـورٌ مـن الظبـا لـــه مـــن رؤوس الـــدارعين كمـــائم

وله في القصيدة التي يمدح فيها علياً بن حمود على وزن الكامل[3] :

راحـــت تـــذكر بالنســـيم الراحـــا وطفـــاء تكســـرّ للجنـــوحِ جناحـــا

أخفـــى مســـالكها الظـــلام فأوقـــدت مـــن برقهـــا كـــي تهتـــدي مصـــباحا

وكـــأنّ صـــوت الرعـــد خلـــف ســـحابها حـــادٍ اذا ونـــتِ الســـحائب صـــاحا

جـادت علـى التلعـات فاكتسـت الربـى حلـــلاً أقـــام بهـــا الربيـــع وشـــاحا

روض يحـــاكي الفـــاطميّ شـــمائلاً طيبـــاً ومـــزن قـــد حاكـــاه ســـماحا

اعلـــيّ ان تعـــلَ الملـــوك فـــإنهم بهـــم جعلـــت أغرهـــا الوضـــاحا

ولمـــا طلعـــت لهـــا بكـــل ثنيـــه انســـيتها المنصـــور والســـفاحا

---

(1) ينظر: أسس النقد العربي عند العرب ، د0 أحمد أحمد البدري ، د0 نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د0ط ، 1979 : 194 0

(2) الذخيرة : ق1م1 : 446 ، والمغرب في حلي المغرب ، ابن سعيد المغربي : تحقيق : د0 شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، د0ت ، 123/1 - 124 0

(3) الذخيرة : ق1م1 : 445 0

ابتدأ الشاعر نصّهُ مصوّراً كرم الممدوح وطيب شمائلهِ بالسحابة التي تسير في السماء ليلاً ، وكأنها لا تهتدي لسبيلها ؛ إلا بومض البرق الذي أصبح لها نوراً تهتدي به هذه السحابة الثقيلة ، كلما أتعبها السير ، كان حاديها البرق الذي اذا ونت صاح بها وهي في مسيرها تجود بما أثقلت بهِ من ماء على الروض الذي أصبح يحاكي علي بن حمود جوداً وسماحةً ، ويبدو أن وصف الممدوح بالطبيعة كان أبرز ما نقع عليه في تمثيل أخلاق الممدوح وسجاياه ((لانّ الطبيعة في الواقع معنى كليّ يتعاون كل جزء من أجزائها على جعل هذا المعنى كائناً خالداً يوحي لقلب الشاعر ، بالحبّ والجمال ويبعث في نفسهِ شتى العواطف الإنسانية السامية))[1] ، فامتزاج مآثر الممدوح بالطبيعة على وفق هذا يوّلد قوة تأثيريّة تعيد التوازن إلى نفس المتلقي فهذا المشهد المشترك في تحويل الدلائل المعنوية إلى دلائل ماديّة ماثلة كما لو كانت الطبيعة ماثلة بجمالها ، يكشف عن علاقة وطيدة بين ما تهبه الطبيعة بسخاء وبين ما يهبه الممدوح ، إذ تكون هبة الممدوح نابعة من نفسه ، لا مستجلبة عنوة ، فهي كما تهب الطبيعة التي هي هبة من الله ، ورحمة منه فخير الإمام للجميع من دون استثناء 0

ولايني إبن دراج تأكيد شفاعة ممدوحه ، مع ما يتمتع به من فضائل حسيّه فمرّة هو ((أُغرّ)) ومرّة ((أبلج)) ومرّة ((كريم)) ، ومّما يوضح ذلك قوله في القاسم بن حمود [2] :

(1) في الأدب الأندلسي ، د0 جودت الركابي ، دار المعارف ، مصر، ط4 ، 1975 : 126 0

(2) ديوان ابن دراج : 71 -72 0

كـــم اســـتطيل تضـــللّي وتلـــدّدي ... وأروح فـــي ظُلَـمِ الخطـوب واغتـدي

والأرض مشـــرقةٌ بنـــور ربّهـــا ... والفجـــر منـــبلجٌ لعـــين المهتـــدي

بـــأغرّ مـــن بيـــت النبـــوّة والهـــدى ... كالبـــدر مـــن وَلَـــدِ النبـــيّ محمـــدِّ

القاســـم المقســـوم راحـــة كفّـــهِ ... فـــي بســـطِ معـــروفٍ وقـــبض مهنـــد

الهاشـــمي ، الطـــالبي ، الفـــاطميّ ... الـــوارث العليـــا بـــأعلى قُعْـــددِ

أهـــدى إلـــى الـــدنيا علـــيّ ، هديـــهُ ... فـــي طـــيّ اردیـــة النُهـــى والســـؤددِ

فتّـــى تجلّـــى للمكـــارمِ والعلُـــى ... بـــدراً تنقـــلّ فـــي بـــروج الاســـعدِ

ولعلّنا لا نجد أحداً من الشعراء الأندلسيين الذين مدحوا آل حمود يتجاوز تلك الصفات على الرغم من تباين اعتقاداتهم ، وربّما يعود السبب في ذلك التفاوت إلى القيم التي يؤمنون بها ، فمنهم من يقصد الكسب أو التودد [1] ، وذلك بسبب الصراعات والفتن التي كانت سائدة آنذاك مِمّا أدى إلى حدوث توترات متواصلة داخل نفوس الشعراء مما اضطرهم للحرص على الرزق ، ولو بطريق التملق ، وربّما يكشف عن ولاءٍ حقيقي عند أحدهم كإبن دراج في نصه السابق [*] ، تمثل في القدرة على رفع شأن ممدوحهِ ، بصورة فنيّة منسجمة أفرغ فيها المكانة الحقيقيّة لآل بيت النبيّ على نحوٍ بدت فيه المعاني آخذةً بسياق بعضها البعض ، ويستعمل نداء الممدوح بصفاتِهِ ، فيشير إلى أنه ((شفيع))

---

(1) ينظر: ديوان ابن دراج المقدمة : 27 0

(*) يؤكد محمود علي مكي محقق ديوان ابن درّاج أن ابن دراج ينتمي إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي كانت عماد معظم الحركات الشيعيّة، لأنها كانت لها ولاية لعلي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ، ينظر:مقدمة ديوان ابن درّاج : 23 0

وأنه ((وصي)) وأنه ((صفوة الحسنين)) ، ليكون النداء هنا هو المفتاح الذي يمكنه من أنْ يعرض مناقب ممدوحهِ ، قاصداً تنويع الصورة الأدائيّة ، ولا سيما عندما يكون المنادى مركباً ، فهو أقدر على الإيحاء والتأثير مما لو كان المنادي علماً أو نكرةً مقصودةً [1] كما في قوله [2] من الكامل :

يـا ابـن الشـفيع بنـا وأكـرمَ أُسـوةٍ ... للمقتـدين وأنـت أجـدر مقتـد

أمـدد يمينـك شـافعاً ومشـفعاً ... تحـز الثنـاء مخلـداً بمخلّـدِ

يـا ابـن الوصـي علـيّ أوص سـميَّهُ ... ألاّ يضـيع سَـمَيُّ جـدّك أحمـد

يـا صـفوة الحسـنيين كـم قـد أحسـنا ... اصـغاء ودّ النـازحِ المتـودّدِ

ويمدح ابن مقانا الأشبوني (*) إدريس بن يحيى في نونيتّه : [3]

---

(1)ينظر: لغة الشعر عند الجواهري ، د.علي ناصر غالب ، مطبعة الصادق ، بابل ، العراق ، ط1 ، 2005 : 78 - 79 0

(2) ديوان ابن الدراج : 73 0

(*) وهو أحد شعراء الأندلس المطبوعين ، من قرية اشبونة ، إحدى مدن البرتغال ، جال معظم أقطار الأندلس في شبابه ، وأنه حينما أصبح كهلاً إلى قريته يقتات على ما يزرعهُ وان قلّ ، ويقول في ذلك :

تركـتُ الملـوك الخـالعين بـرودهم ... علـيَّ وسـيري فـي المواكـب والنقـعِ

وأصـبحت فـي قبـذاق احصـد شـوكها ... بمزيـرة وعنـاء نابيـة القطـعِ

(3) الذخيرة : ق2 م2 : 791 - 793 0

ألبـــرقٍ لائـــحٍ مـــن أنـــدرين ذرفـــت عينـــاك بالمـــاء المعـــين
لعبـــت أســـيافه عـــار يـــة كمخـــاريقٍ بأيـــدي لاعبـــين
وكـــأنَّ الشـــمسَ لمـــآ أشـــرقت فانثـــنت عنهـــا عيـــون النـــاظرين
وجـــه إدريـــس بـــن يحيـــى بـــن علـــي بـــن حمـــود بـــن أميـــر المـــؤمنين
خـــطّ بالمســـكِ علـــى أبوابـــه أدخلوهـــا بســـلامٍ آمنـــين
يـــا بنـــي أحمـــد يـــا خيـــرَ الـــورى لأبـــيكم كـــان رفـــد المســـلمين
نـــزل الـــوحي عليـــه فـــأحتبى فـــي الـــدجى فـــوقهم الـــروح الأمـــين
خلقـــوا مـــن مـــاء عـــدلٍ وتقـــى وجميـــع النـــاس مـــن مـــاءٍ وطـــين

تبدو إنسيابيه الأبيات واضحة كون القصيدة قد اعتمدت وزن الرمل ، الذي ينجم إيقاعه عن التساوي الكمي لعدد المقاطع اللغوية التي ترتكز على ثلاث تفعيلات متماثلة والذي يهمنا من النص ، ما أكد فيه على ((إدريس الملقب بالعالي)) حيث ذكر صلته بالرسول الأعظم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ وذكر أنهم خلقوا من ماءِ عدلٍ وتقى فلم يكونوا كسائر الناس الذين خلقوا من ماء وطين ، فهذه الرؤية لاشكّ في أنها مبنيّة على ما لآل البيت من منزلة مقدسة ، إذ طهرهم لله تعالى من الرجس وعصمهم فكانوا قد استحقوا تلك المنزلة ولا يؤيد الباحث ما ذهب إليه الدكتور إحسان عباس إذ عدّ القصيدة عادية سوى البيت الأخير منها 0[1]

وذكر ابن بسام أنّ ابن مقانا الأشبوني كان قد أنشد قصيدته تلك لإدريس بن يحيى الحمودي من وراء حجاب على غرار ما كان يؤدى لبني العباس ، فلما بلغ قوله :

انظرونـــا نقتـــبس مـــن نـــوركم إنـــه مـــن نـــور ربّ العـــالمين

(1) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، د0 إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط7 ، 1985 : 0 169

أمر الخليفة برفع الحجاب عنه ونظر إلى وجهِ الشاعر [1]

أمّا عبادة بن ماء السماء في مدحه ليحيى بن حمود فنراه يقول [2] :

فهـا أنـا ذا يـا ابـن النبـوّة نافـثٌ من القول أرْيا غير ما ينفث الصلُّ

وعنـدي صـريحٌ فـي ولائـك معـرقٌ تشـيعهُ محـضٌ وبيعتُـهُ بتـلُ

ووالـى أبـي قـيسٌ أبـاك علـى العـلا فخـيمّ فـي قلـبِ ابـن هنـدٍ لـه غِـلُّ

مصرحاً بأنّ ولاءه قديم وأن تشيعه خالص لأهل بيت النبوّة ، إذ كان أبوه قديم الولاء أيضاً فحنق عليه الآخرون ، وابن عبادة كما يذكر بن بسام أنه كان يتشيّع في شعره [3] وهو هنا يؤكد على أهمية الموالاة لأهل البيت ، لأنهم ((أيدوا من الله ، وهم الأئمة حقاً على أنهم ورثة الرسول الأعظم ﷺ والإمامة هي ((منزلة الأنبياء وإرث للأوصياء وإن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ، ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن و الحسين 0 [4]((000

وكان ممن اتصل بالحموديين ومدحهم ابن شهيد(*) فقد استعطف يحيى بن حمود بعد أنْ سجن لوشاية البعض ، إذ يقول : [5]

---

(1) الذخيرة : ق2 /م2 : 793 ، وينظر: نفح الطيب : 416/1 0

(2) م 0 ن : ق1 / م1 : 478 0

(3) م 0 ن : 478 0

(4) أصول الكافي : 224/1 0

(*) هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد بن عيسى بن شهيد ابن الوضاح الأندلسي القرطبي ، وفيات الأعيان : 116/1 0

(5) ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله ، حققه : محي الدين ديب ، المملكة العربية السعودية ، بيروت ، ط1 ، 1997 : 63- 64 0

وراضت صعابي سطوة عَلويّةٌ ... لها بارق نحو الندى ورعودُ

تقول التي من بيتها كفّ مركبي ... أقرَبُكَ دان أم نواكَ بعيد ؟

فقلتُ لها أَمري إلى من سمت بهِ ... إلى المجد آباءٌ له وجدودُ

إلى المعتلي عاليتُ همّي طالباً ... لكرمهِ ابن الكريم يعودُ

همامٌ أراه جودُهُ سُبلَ العُلا ... وعلّمه الإحسانُ كيفَ يجودُ

نفى الذم عنه أن حلي برودهِ ... عفافٌ على سن الشباب وجودُ

تؤدي إلينا ان سبطُ أحمدٍ ... مخايل فيه للهدى وشهودُ

وقد استقامت أحواله في زمن المعتلي ، ولم تنقطع صلته به حتى بعد خلعِهِ ورحيلهِ إلى مالقة ، والبيعة للمستظهر الأموي ، وبعده لمحمد بن عبد الرحمن فكان إن خابت آمال الشاعر لآن المستظهر قد قتل ، لذلك رحل إلى مالقة واتصل بيحيى الحمودي ثانية وزاد في مدحه ، وكان مما مدحه به ثلاث قصائد ، بدت القصيدتان الأوليتان من دون أن يظهر فيهما الشاعر أي توجه شيعي إذ لا نتصور أنه قد خامره هذا التوجهِ لكنه في نص آخر يقول : (1)

سلام عليك لا تحية شاكر ... ولكن شجىً تنسدّ منه الحلاقمُ

ًوما قرعت سنيّ عليكم ندامة ... وشكي غداً ان يقرع السنّ نادم

لئن أخرجتني عنكم شرّ عصابةٍ ... ففي الأرض إخوان عليّ أكارم

وان هضمت حقيّ أمية عندها ... فهاتا على ظهر المحجّة هاشِمُ

(1) ديوان ابن شهيد : 117 - 118 0

وعلى الأعم الأغلب نرى أن موقف الشاعر لا ينبئ بشيءٍ ، وإن أظهر بعض خصائص البيت العلوي في مدحته هذهِ ، فهو بهذا يظهر تودداً بناءً على ما تقتضيه مصلحته الشخصيّة 0

تتضح فاعلية الأداء الشعري من خلال التأثير في المتلقي وجره إلى ما وراء الكلمات من معان ، وأفكار، فضلاً عمّا يعكسه هذا الأداء من بعدٍ إيقاعي ، يتناسب والأفكار المطروحة في النصّ ، وهذا الأمر في مجمله لايتحقق إلاّ من خلال العناية باللّغة والانتفاع بطاقاتها ، دلاليّاً ، وإيقاعياً و إذ نحن تناولنا موضوعه المديح الخاصّ بالتشيعّ ، رأينا أنّ النصوص التي تناولت تلك الأفكار، قد استمدت لغتها من مرجعية خاصّة معبرّ ة من خلالها عن أهم تلك المبادىء التي يقوم عليها التشيع ، فالممدوح كما يراه الشعراء ، هو : ((الشفيع ، وابن الرسول ، وآل محمد ، وإمام ، ووصيّ المصطفى وابن عمّه ابوه ، وإمام ، والفاطمي ، وأغّر من بيت النبّوة ، والهاشمي ، والطالبي ، وابن الوصي ، وصفوة الحسنين ، وابن أحمد ، وابن النبوّة ، وولد النبيّ))[1] 0

اعتمد توظيف تلك الدلالات في النص المباشرة في أكثر الأحوال ، لكن الشاعر يحاول دائماً توشيح عباراته بسمات فنيّة ، لتعوض عن جمال الصورة ، فابن الحناط مثلاً يستعمل الشرط في إثبات مودته لأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ كما في قوله : [2]

إن كـــان عـــدوا حـــبَّ آلِ محمـــد ذنبـــاً فـــإني لســـتُ منـــه أتـــوبُ

ويقول أيضاً مستعملاً التقديم والتأخير ، لإضفاء الجمالية على الأداء [3]

إمـــام وصـــي المصـــطفى وابـــن عمّـــهِ أبـــوهُ ، فـــتمّ الفخـــرُ بـــين أبٍ وابـــنِ

---

(1) ينظر: النصوص الواردة في الصفحات : 59 - 69 0

(2) الذخيرة : ق1 م1 : 449 0

(3) م 0 ن : 449 0

ويقول ابن درّاج في علي بن حمود : [1]

فســـمي جـــدّك عمـــر الكـــرامِ بهشـــمِ الثريـــدِ زمـــان المحـــولِ

وســـادات مـــن حـــلّ جنـــات عـــدنٍ جميـــع شـــبابهم والكهـــولِ

فالتعبير قد اعتمد المباشرة ، فتسميته جدّ الممدوح بهاشم ، لأنّه هشم الثريد ، وكما هو معروف أن آل النبي هم سادة الدنيا والآخرة ، فاعتماد الشاعر على تلك الأوصاف إنما يتضمن تبيان الحقائق التي إنماز بها آل البيت ، باعتبار تلك الأوصاف تعطيهم قيمتهم الاجتماعية الحقيقيّة ، لأن تلك الصفات هي المنطلق الأول نحو المجد والسمو 0

وعندما يتجه الشعراء للتعبير عن أفكارهم صوريا ، ولأن الشاعر ((يستطيع أنْ يحيل الظواهر الخارجيّة عن طبيعتها ، فتتحول الصورة إلى صورةٍ نفسيّة تتخطى عالم العقل إلى عالم الحدس والكشف والإشراق))[2] ، نلحظ أنهم يصعدون جماليهِ الأداء من خلال تلك الممارسة ، لأن تلك الأبعاد النفسيّة التي تتشكل عبر هذا النسق الأدائي تثير في نفس المتلقي الدهشة ، فيتفاعل معها [3] ، فمن ذلك قول ابن درّاج في علي بن حمود : [4]

ويعجـــب كيـــف دنـــا مـــن علـــيّ ولـــم تنقصـــم حلقـــات الكبـــولِ

وأطـــــواد عـــــزّهم مـــــاثلات لـــه وهـــو يرنـــو بطـــرف كليـــلِ

وابحـــــرهم زاخـــــرات إليـــــهِ ويرشـــف فـــي الثمـــد المســـتحيل

---

(1) ديوان ابن دراج : 80 0

(2) الأدب العربي في الأندلس ، تطوره وموضوعاته ، وأشهر أعلامه ، د0 علي محمد علي سلامه ، الدار العربية ، بيروت ، د0ط ، 1989 م : 392 0

(3)ينظر: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، عبد الحميد جيدة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط1 ، 1980 : 314 0

(4) ديوان ابن دراج : 76 0

فابن درّاج يحاول أن يخلق صورةُ أو يكشف عن ملامحها من خلال الموازنة بين حالتين أحدهما إيجابيّة والأخرى سلبيّة ، لتنهض الصورة كاشفة عن ملامحها ، معبرة عن واقع نفسي متأزم يعيشه الشاعر ، ليجد خلاصه بين يدي الممدوح وكأنه يعجب مما آلَ إليه ، وممدوحه موجود 0

أما ابن الحناط فيصور ممدوحه : [1]

إمـــام أقـــامَ الـــدين حـــدُ حســـامهِ طريـــراً ومنـــه فـــي يـــد اللـــه قـــائم

ويزهـــر فـــي يمنـــاه نـــورٌ مـــن الظبـــا لـــه مـــن رؤوس الـــدارعينَ كمـــائِمُ

فعملية الخلق الفني قد تجلت من خلال تشكيل صورة فنية عالية الأداء إذ جعل السيف في يد ممدوحه كالزهرة المتفتحة ، وأكمامها رؤوس الأعداء ، متشفعاً بالطبيعة في منح صورته بعداً ذا دلالةٍ حيّة 0

إيقاعيّاً يشكل الوزن الشعري المعتمد في نظم النصوص ، صيغة إيقاعيّة ، عالية الأداء ، انسجاماً مع الأفكار التي صيغت على وفق تلك الشاكلة ، فظهرت البحور الشعرية : المتقارب ، والكامل ، والطويل ، والرمل ، بأنها البحور الأكثر استعمالاً صحيح أن الفرق كبير بين الرمل والطويل مثلاً ، لكن الحضور الذي شكله الرمل في قصيدة ابن مقانا الاشبوني ، اوجد مساحةً فنية ، ذات طابع نغمي متميز ، لأنّ انسيابية الأبيات كانت واضحة ، ولأنَّ إيقاع الرمل ينجم عن التساوي الكمي لعدد المقاطع اللغوية التي تركز على ثلاث تفعيلات متماثلة ، فمثلا[2] :

---

(1) الذخيرة : ق1 م1 : 446 0

(2) م0 ن : ق2 م2 / 793 0

يـــا بنـــي أحمـــد يـــا خيـــرَ الـــورى لأبـــيكم كـــان رفـــد المســـلمين
نـــزل الـــوحي عليـــه فـــاحتبى فـــي الـــدجى فـــوقهم الـــروح الأمـــين
خلقـــوا مـــن مـــاء عـــدلٍ وتقـــى وجميـــع النـــاس مـــن مـــاء وطـــين

كذلك جاء صوت (النون) في القافية ، فحقق المقطع الصوتي ، بين ياء المد والنون الساكنة إيقاعاً صوتياً يتناسب ونغمة الجو الذي يتنفس فيه الأداء الشعري وينظم ابن درّاج قصيدته في مدح علي بن حمود ، على وزن المتقارب [1]

لعلـــك يـــا شـــمسُ عنـــد الأصـــيلِ شـــجيتِ لشـــجوِ الغريـــب الـــذليلِ
فكـــوني شـــفيعي إلـــى ابـــن الشـــفيع وكـــوني رســـولي إلـــى ابـــن الرســـول

لتأتي انسيابيّة الوزن الشعري محققه أدائيّة موسيقية منتظمةٍ بحسب الانتظام الذي ظهرت فيه التفعيلات (العروض والضرب) بحسب صحتها محققةٍ امتداداً كافياً أظهر فيه الشاعر الحس المأساوي الذي كان متأثراً بهِ 0

أما على المستوى الإيقاع الداخلي ، فكان التكرار الذي هو ((تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصّده الناظم في شعره))[2] ، ذا أثر مهم من حيث الدلالة ، لأنّ إيراده قد يكون توكيداً ، وإزالة للشك ، أو لزيادة التحذير أو التنبيه أو طرباً أو تلذذاً بذكر المكرر [3] ، والذي لحضناه على نحو واضح تكرار صفات

---

(1) ديوان ابن درّاج : 75- 76 0

(2) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د0 ماهر مهدي هلال ، وزارة الثقافة ، بغداد ، ط1 ، د0ت : 293 0

(3) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني ، حققه : شكر هادي شكر ، النجف الأشرف ، العراق ، د0ت ، د0ط : 245 ، وينظر : التكرير بين المثير والتأثر ، عز الدين علي السيد ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 86 : 229 0

الممدوح ، لما له من أثر مهم في تنويع الصورة من جهة ، ومن جهة أخرى رفد الأداء النغمي بصورة صوتية تتناسب وما يخلقه من جوّ نفسي يفرضه تنويع العبارةِ مما ((يثير متعة تذوق الانسجام الحيّ سواءً بالأجزاء المكررة أو المتنوعة أو المناسبة))[1] ، من مثل قول ابن درّاج [2] :

يـا ابـن الشـفيع بنـا وأكـرم أسـوةً ... للمقتـدين وأنـت أجـدرُ مقتـدِ

يـا ابـن الوصـي علـيّ اوص سـمّيهُ ... ألا يضـيع سـمي جـدّك أحمـدِ

يـا صـفوةَ الحسـنين كـم قـد أحسـنا ... أصـغاء ودِّ النـازحِ المتـودّ

ويظهر لنا من ذلك أيضاً نوع من أنواع المحسنات وهو الجناس ، إذ نجد الشاعر قد جانس بين (للمقتدين ، ومقتدِ) وبين (الوصيّ واوص) ، وبين (سميّه وسمي) وبين (الحسنين واحسنا) جناساً ناقصاً ، مما يحقق أداءً موسيقياً يصور جانباً مهماً من جوانب شخصيّة الممدوح ، فضلاً عمّا يثيره في نفس المتلقي 0

ومثله أيضاً قوله في علي بن حمود [3] :

لعلّـك يـا شـمس عنـد الأصـيلِ ... شـجيتِ لشـجوِ الغريـبِ الـذليلِ

فكـوني شـفيعي إلـى ابـن الشـفيعِ ... وكـوني رسـولي إلـى ابـن الرسـولِ

فأمـا شـهدتِ فـأزكى مشـهدِ ... وأمّـا دللـت فأهـدى دليـلِ

---

(1) الأسس الجمالية في النقد العربي ، عرض وتفسير ومقارنة ، د0 عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، بيروت، لبنان ، ط2، 1968 : 180 0

(2) ديوان ابن دراج : 73 0

(3) م 0 ن : 75 - 76 0

فقد جانس الشاعر بين (شجيت) و (شجو) ، وبين (شفيعي) و (شفيع) وبين (رسولي) و (رسول) ، وبين (شهدت) و(شهيد) وبين (دللت) و (دليل) فوفرت تلك الألفاظ المتجانسة غايات منها صوتيّة ، وهي توفر نوع خاصّ من التقارب النغمي والصوتي ، وأخرى معنويّة ، إذ إنَّ اللفظ الأول يستدعي اللفظ آخر لتحقيق ربط منطقي بين ما تم البدء به وبين ما انتهى إليه الكلام ، واضفاء عمق دلالي يبرز قيمة الممدوح ومكانته الدينيّة 0

وكان لاستعمال التقسيم في الأبيات الشعريّة دوره في الإيقاع الداخلي للنصّ بوجه عام كما في قول ابن دّراج [1]:

إلـــى الهاشـــمي إلـــى الطـــالبي إلـــى الفـــاطمي العطـــوفِ الوصـــولِ

إلـــى ابـــن الوصـــي إلـــى ابـــن النبـــي إلـــى ابـــن الـــذبيح إلـــى ابـــن الخليـــل

إلـــى المســـتجار مـــن المســـتجير إلـــى المســـتقال مـــن المســـتقيلِ

وعليه يمكننا القول إنَّ الإيقاع بتقنياته كافة سواء على صعيد الوزن الشعري أم على صعيد القافية أم على صعيد الإيقاع الداخلي ، في النم اذج التي سقناها إنما يستمد تصاعده الأدائي ، من خلال البعد الذي تضفيهِ التجربة الشعريّة بتلونها ، وما يمكن أن يبثه الشاعر من عاطفة تتناسب ضعفاً وقوة مع ما يمكن أن تضفيه تلك التقطعات الصوتيّة التي تحمل إيحاءً وافراً وظلالاً تزيد من قوّة تأثير الكلمات في المتلقي 0

(4) ديوان ابن درّاج : 79 0

مديحُ الموحدين

لم يخلُ عصرٌ من العصور التي مرّت بها بلاد الأندلس من دون أنْ يكون للشعر ولاسيّما المديحُ منه الباع الطولى في دعم السلطة السياسية والدعاية لها ، بالقدر الذي يتوازى مع ما يقدمه الممدوح لمادحهِ و إذ نحن في عصر الموحدين حيث أشرنا خلال الفصل الأول إلى طبيعة تلك الدولة الدينيّة ، والسياسية ، فإننا سنبين هنا إطار قصيدة المديح بصورة عامّة بما يتناسب وغرض الفصل المنبثق عن هذه الدراسة 0

لقد رأينا في موضوع سابق أن الموحدين ولا سيما زعيمهم ابن تومرت قد أظهر التشيّع وقال بالعصمة ، ولقب بأنه المهدي تبعاً للفكرة التي قامت عليها تلك الدولة ، و إذ نحن نتفحص ما قيل من شعر في غرض المديح الذي طغت عليه ((مسحة دينية ذات صبغة شيعية متأثرة بتعاليم ابن تومرت))[1] 0 سنتبين الأسس التي قامت عليها ، ليتسنى لنا أن نعطي صورة لحقيقة ما يمكن أن يقال عن المنهج الذي سار على وفقه الموحدون وسيكون لاستقرائنا لنماذج معينة أثره في إصدار حكمنا على ما يمكن أن نطلق عليه ((بالشعر الشيعي)) ونتبين كذلك واقع المديح لدى شعراء الموحدين 0

إنّ تجربة المديح التي عبر عنها الشعراء الذين مدحوا أئمة الموحدين قد جسدت صورة الممدوح على نحو ظلّوا يطرقون فيه المعاني التقليديّة التي شاعت في المديح لكنهم مع ذلك حاولوا استقراء عناصر خاصّةٍ حاولوا معها صبغ مدائحهم بلون من الوصف اعتمد على الجانب الديني الذي كان السمة البارزة في سلوك الموحدين ، ومن أجل ذلك راح الشعراء يؤكدون أنَّ الخلافة هي هبةٌ إلهيّة وما أُمراء الموحدين إلاَّ أهلها وبذلك راح يتحقق التناسق المثالي بين شخصية الممدوح وبين هذا المنصب ، لقد كانت مناسبة عبور أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي البحر إلى الأندلس عام (555هـ) ، قد دفعت الكثير من الشعراء إلى

---

(1) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس : 114 0

تقديم مدائحهم والإقرار بأحقيّة الأمير عبد المؤمن بالخلافة على نحو قول أبي العباس احمد بن سيد الأشبيلي[1] :

صِـــعِّد بفكـــرك بَعْـــدَها أو صـــوِّب ... مـــا دون أمـــر اللـــه مـــن مترقّـــبِ

هـــذه الخلافـــةُ لا خلافـــةُ بَعْـــدها ... جـاءت علـى الهـدي القـوِيم الأوجـبِ

أخنـى علـى مـا حـادَ مـن صـرف الـردى ... أحنـى علـى مـن هـاد مـن عطـف الأب

أضـــحى بـــهِ الســـرحان راعـــي ثلّـــةٍ ... أَمنـــاً وبـــاتَ الصـــقر ضـــيفَ الثعلـــبِ

إذ يرى المادح في ممدوحه أنه بأمر الله ، قد أصبح خليفةً ، فالغاية هنا ليست إلاّ دلالة مباشرة على تركيز الجانب الديني لشخصية الممدوح أليس هو خليفة المهدي (ابن تومرت) ، وهو أي الممدوح ، كان شديداً على من حادَ عن جادّة الصواب وحانياً كالأب على من سلك طريق الحقّ ، فقد استعمل الجناس الناقص فقال : ((اخنى حادَ)) في الصدر ، و(احنى هادَ) في العجر محققاً صيغةً تقابليّة بين مستويين من السلوك ثبت من خلالها ، صفة من صفات الممدوح حتّى يصل الأمر في زمانهِ إلى أنَّ السرحان (الذئب) يرعى الشاة ، ويكون الثعلب في كنف الصقر آمناً وتلك الصورة حسب ما معلوم لدينا يراها الشيعة قد تتحقق في زمن الإمام المهدي ﴿عج﴾ ، فمع طول النص تبدو لغته غير مرتدة عن ذات الشاعر أي أنها خارجه عن مشاعره لعدم اكتنافها ما يدلّ على ذات المتكلم وذلك يرجع إلى أن تلك العاطفة دخيلة على ذاته 0

(1) تاريخ المن بالإمامة ، ابن صاحب الصلاة ، تحقيق : د0 عبد الهادي النازي ، وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ـ د0ط ، 1979 : 164 0

ولابن حربون مهنئاً على البيعة[1] :

فجاء برهانٌ من الله صادعٌ ... يُربّهُ من لم يزل وهو جاحِدُ

هي البيعة الغراء جاءت يقودها ... إليك من الأمر السماويّ قائدُ

وأبيض فيّاض اليدينِ مباركٌ ... على وجههِ من نور ذي العرش واقِدُ

فإن قلّدَ الأمرَ العليَّ فأنّه ... لا فضل من تلقى إليه المقالِدُ

مليكٌ اذا لاحَ النهار معظّمٌ ... وأمّا إذا جنَّ الظلامُ فعابِدُ

إليه انتهى النور المبين الذي بهِ ... تبصرّ خليّلٌ و اذعَن مارِدُ

هو المصطفى من صفوةٍ بعد صفوةٍ ... وطيبُ الفروعِ إنْ تطيبُ المحاتِدُ

سليلُ الإمام المجتبى وشبيههُ ... فإن حلَّ مولودٌ فقد حلّ والِدُ

مجالسهم روضاتُ نجدٍ يزينها ... من النور أجناسٌ تؤامٌ وفارِدُ

لقد عمرت بالعلمِ حتى كأنّها ... لكثرة ذِكر الله فيها مساجدُ

يستند ابن حربون في رؤيتهِ تلك إلى مجموعة من الخصائص التي تتصل بشرف الأصل ، أو على الأقل ، على رؤية تستمد صيرورتها من مرحلة الاكتمال التي وصل إليها الممدوح ، والتي تشتمل في وعي الشاعر على جميع الخصائص التي يمكن أن تتحقق بموجبها عمليّة الاختيار الإلهي ، بحسب ما يرى فالتعابير بدلالاتها التي كونت روح النص :

- برهان من الله
- الأمر السماوي

(1) تاريخ المن بالإمامة : 246 - 247 0

ـ نور ذي العرش

ـ النور المـبين

ـ المصطفى

ـ سليل الإمام

ـ روضات نجد

احتلت مساحة الكشف عن القيم الدينيّة التي اكتسبها الممدوح ، بدليل إن السياق قد زاوج بين ما يمكن أن يحقق حضوراً مثالياً ، وآخر إنسانياً ، وعلى ما نرى إن تلك الخصائص لا يمكن أن ينماز بها أي إنسان ، فضلاً عن الخصائص الإنسانية التي اتسمَ بها الممدوح من مثل :

إشراقة الوجه ـ كناية عن حسن صورتِهِ

وفيض اليدين ـ كناية عن كرمهِ

قد أمدّتَ جوّ النص وكما بينّا بما يمكن أن يسدّ كلَّ نقصٍ ، وليثير روح العظمة والكمال في نفسه ، ولم تزل تلك الصورة تلاحق الممدوح في مدحةٍ أُخرى إذ يقول فيه [1] :

(1) تاريخ المن بالإمامة : 255 0

هـذا الـذي وعـدَ اللـه العبـادَ بـهِ ... قد أنجزَ الوعَدُ حقّا و انتهى الأمدُ

هـذا سـليل إمـام الحـق بيـنكم ... لا المـالُ مـذّخَرٌ عـنكم ولا الولَـدُ

وجـاء فـي سـرعان الجـيش يقدمـهُ ... جبريـل والمـلأ الأعلـى لـه مَـددُ

انظر إلى مجمع البحرينُ كيف حوى ... مـن الفضـائل مـا لـم يحـوه بَلَـدُ

لاقـى الكليمُ علـى الشـاطي بـه خضـراً ... وفيـه لاقـى أخـاهُ السـيد السـيدُ

صنوان مـا اجتمعـا فـي أرضِ انـدلسٍ ... إلاّ ليحيـا فيهـا دينـه الأحـدُ

إذ تعتمد تلك الأبعاد التي بنى عليها نصّه السابق ، ليجعل من السامع يربط بين تلك الخصائص الذهنيّة ، وبين الواقع الذي يمثل مساحة يكشف من خلالها المزاوجة بين الإمكانات الأرضيّة وبين ما يكتنف حالة الممدوح ، لذلك مثل ممدوحه بموسى ﴿عليه السلام﴾ إذ تمثل المنطلقات الآتية لديه مساحة الالتقاء المفترضة بين الشخصيتين :

وعدَ الله العبادَ بهِ

سليل إمام الحق

يقدمه جبريل ـ والملأ الأعلى له مدد

فتحقيق التكامل بين الرؤية الشخصية وبين حقيقة الممدوح يخلق مجال التشبيه على أتمّ صورة لتساوي عبد المؤمن بموسى ﴿عليه السلام﴾ ، وما كان الهدف إلاَّ إحياء دين الله فالامتثال لأمر الله والرغبة في إنجازهِ ، وتشبيه هذا الدافع بما هو موجود لدى الأنبياء لا يمكن له أن يأخذ بعده الأوفر إلا في شخصية ذات مقومات إيمانية عالية 0

ويتفق معه الرصافي البلنسي في مدحته لعبد المؤمن بن علي ، معتمداً قصة موسى ﴿عليه السلام﴾ ، لتوافرها على الخصائص المشتركة بين الشخصيتين ، فهما قد اشتركا في إعلاء كلمة الله تعالى بالجهاد في سبيله ، فعبور عبد المؤمن بن علي كان بمثابة نور الهداية

الذي يترقبُ الآخرون ظهورهُ ، فكأنَّ زمان المهدي ، هو الزمان الذي سوف ينتهي به كلّ ظلم[1] :

لو جئت نارَ الهدى من جانبِ الطورِ ... قبستُ ما شئت من علمٍ ومن نورِ
من كلِّ زهراء لم تُرفع ذؤابتها ... ليلاً لسارٍ ولم تُشببْ لمقرورِ
فيضيّة القدحِ من نورِ النبوّة أو ... نور الهداية تجلو ظلمةَ الزورِ
ما زال يقضمها التقوى بموقدها ... صوّام هاجرةٍ قوّام ديجورِ
حتى أضاءت من الإيمان عن قبسٍ ... قد كان تحتَ رمادِ الكفر مكفورِ
نورٌ طوى اللهُ زندَ الكونِ منه على ... سقط إلى زمن المهدي مذخورِ

فالمادح يركز على صفات إيمانيّة عاليةٍ ، تمثل النموذج الأكمل الذي يحتفل به الذهن الديني ، فالرصافي إلى جانب اقتناصه ملامح الصورة التي رسمها من النص القرآني نراه أجاد مزاولة الربط بين الفكرة التي يراها في ممدوحهِ وبين ما يدعو إليه النص القرآني بإسلوبٍ من التعليل يعتمد فيه أسلوب البسط من خلال استعماله الصيغ الآتية (نار الهدى ، نور النبوّة ، نور الهداية ، صوّام هاجرة ، قوام ديجور ، الإيمان ، رماد الكفر ، زمن المهدي) ليتسلسل بالفكرة إظهاراً لها ، وتعليلاً

وكان ممن تقدم في الإنشاد في تلك المناسبة أبو الوليد إسماعيل بن عمر المعروف بالشوّاش الشلبي (*) ، فقال [2] :

---

(1) ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدم له ، د0 إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د0ط ، 1960 : 77 0

(2) تاريخ المن بالإمامة : 236 0

(*) كان أستاذا مجيداً في إقراء القرآن والعربية والأدب ، مع كونه شاعراً وكاتباً ، توفي بمراكش سنة 569هـ ، ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، طبعة القاهرة ، 1326هـ ، د0ط : 86 0

عهــدُ أنــارَ بــهِ الهــدى والــدين واســـتظهر التأييـــدُ والتمكـــينُ
بشــرى الخلافــة إذ تقلّــد عهــدَها البـــرّ التقـــيّ الطـــاهر الميمـــونُ
نجـل الإمــام ونشــأة الخُلـق الرضـيّ يبـــدو عليـــهِ هديُـــهُ ويبـــينُ

وتبدو الفكرة التي يعبر عنها الشعراءُ واحدةُ بغضّ النظر عن التجليات التي تّفرضها طبيعة القصيدة ، ففي هذا التوجه في إظهار القيم بتنوعاتها كافة ، فضلاً عن دوافع أُخرى قد لا تمت بصلة إلى موضوع المديح راح الشاعر الموحدي يستنزف القيم الدينيّة العليا ، وينزلها إلى ممدوحه فرسم خلالها أبعاد الشخصية المثاليّة ، وأظهر ما يفترض أن يكون عليهِ صاحب هذه الشخصيّة ، فالشواش أظهر هنا بطريقة مباشرةٍ أنّ الخلافة ويقصد بها خلافة عبد المؤمن قد استبشرت بهذا الشخص ، لسمات كانت فيه فهو : برّ ، وتقي ، وطاهر ، وميمون ، وهو نجل الإمام ، وأمارات الهدى ظاهرة عليه وبذلك شكل سمات شخصيّة يندر أن توجد في شخصية أخرى ، وبذلك فقد امتزجت المآثر الخلقيّة مع الأمر الإلهي في شخصيّة الممدوح ، فأنتجت صورة مثالية يمكن أن يقوم بمقتضاها أمر الأمة 0

وقال ابن حربون يهنئ بالإياب من جبل الفتح ويمدح الأمير أبا يعقوب والسيد أبا حفص [1] :

كـــأنَّ النـــاس مـــن خطـــأ وأنـــتم ـــ أدام اللـــه أمـــركم ـ صـــواب
وأنـــتم فـــي مشـــاهدكم كهـــولٌ وأنـــتم فـــي موالـــدكم شـــبابُ
فمـــن يرجـــو بوصـــفكم قيامـــاً وفضـــلكمُ تضـــمنهُ الكتـــابُ

(1) تاريخ المن بالإمامة : 286 0

في قوله ابن حربون تلك لم يزل يستظهر القيم الخلقيّة والدينية التي إنماز بها الموحدون ولا سيما عبد المؤمن بن علي ، وأولاده إذ يرى أنهم الصواب وغيرهم الخطأ وإذ هم شباب راح يضفي عليهم صفة (الكهول) ، لما ينمازون به من صفات خلقية عالية ، قد أبعدتهم عن نزق الشباب وميوعتهِ وهذا الوصف الذي يقول به الشاعر ، لا يعدو كونه أمام ما تضمنه الكتاب ، لاشيء 0

وعليه يمكن القول في حدود ما سلف ، إن شعراء الموحدين قد أكدوا أكثر ما أكدوا الصفات الخلقيّة ، والدينية لممدوحيهم ، وأنهم خلفاء المهدي ، وأنهم أصحاب خلافة المسلمين دون سواهم ، لأحقيتهم بذلك ، وأنّ ممدوحيهم هم الشفعاء وهم حملة راية الهدى والإيمان 0

قال الشاعر المسن أبو الحكيم رضي البلنسي ، من أهل سرقسطه وسكن بلنسية مؤكداً ما قاله الآخرون [1]:

مسـامري وخبيـر القـوم مسـؤولُ حـدث فقولـك مسـموع ومقبـول
ألسْـت عـن سـير المهـدي تخبرنـا ومـن عـن اللـه نبّـى عنـه جبريـل
وعـن حواريّـه الأسـنى وصـفوتِهِ وسـيفه حـين سـيف الـدين مغـولُ
وعـن بنيـةِ مصـابيح الهـدى ظهـرت فـي كـلّ داجيّـة مـنهم قناديـل
مستمسـكين علـى هـدي بطـاعتكم وحبـلُ طـاعتكم باللـه موصـول

(1) تاريخ المن بالإمامة : 448 - 453 0

ومن قصيدة قالها في الخليفة الثاني يوسف بن عبد الله بن علي يقول أبو حفص عمر الاغماتي (604هـ) : [1]

اللـــه حســـبك والســـبع الحـــواميم تغـزو بهـا سـبعةً وهـي الأقـاليمُ

سـبع المثـاني التـي للـه قمـت بهـا عليـك مـن سـترها نصـرٌ وتقـديمُ

وأنـت بالسـورِ السـبع الطـوال علـى كـلّ الـورى حـاكم باللـه محكـومُ

فهذه السبعيّة هي القاعدة الأساسيّة التي يقوم عليها المذهب الإسماعيلي لقيام هذا العدد على تسلسل يكون في نهايته الإمام السابع إسماعيل ((فهو العدد الخفي الذي يضم سبع فترات الأنبياء والرسل : آدم إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد محمد بن إسماعيل ، وكل واحد من هؤلاء أعقبه سبعة من الأئمة ، وأول كل سبعة من هؤلاء هو الإمام الصادق وهو صامت ولكنّه ناطق ، وهو رئيس وأساس ، واصل ، وآخر سبعة من هؤلاء الأئمة يعقبه اثنا عشر نقيباً ، تنتهي الفترة النبوية ، بالأخير منهم ، ولتبدأ بعدها فترة نبوية أخرى ، وعلى هذا تكون الفترة السادسة قد بلغت نهايتها على يد الإمام السابع إسماعيل)) [2]0

ويستمر قائلاً [3] :

---

(1) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ، محمد بن ثابت ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1998 : 169/1 0

(2) م0ن : 169/1 0

(3) م0ن : 169/1 0

عليــك أهــل الهــدى والحــق متفــق وحبـل مـن فـارق الأجمـاع مصـروم

وكــلّ جــد مفــاد مــن علائــك مــن نســيمه نفــس العليــاء مشــمومُ

إنّ الخليفـــة سّـــر اللـــه ظـــاهره آياتـــه وهـــو عنـــد اللـــه معلـــوم

يغضـــي أنـــاة وحلمـــاً وعلمـــاً ولـــه فـــي موضـــع الحـــقّ إقـــدام وتصـــميم

عــزّ الإمــام فــلا تضــرب بــهِ مــثلاً مــن ذا يقــاس بــهِ والمثــل معــدوم

أعطى الورى فضل ما أعطاه خالقه عليــه مــن ربّــهِ بشــرى وتســليم

صــل بالصــلاة عليــه صــدق مدحتِــهِ ذاك الوصـيف بهـذا المسـك مختـوم

تطغى على هذه الأبيات مسحة شيعيّة ، إذ نجد في نهاية القصيدة ، أن الممدوح يصلّي على الملك ، وهذا ما يمكن أن نراه عند الشيعة ، لأنهم يصلون على الأئمة من أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ كما يصلون على النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : [1] 0

اعتمدت أغلب النصوص التي قالها شعراء الموحدين في مدائحهم ، مستوى لغوياً يبدو واحداً في اغلب أحوالِهِ ، يمكن أن نتلمس فيه بوضوحٍ عاطفة ترتكز على الجانب الديني لشخصيّة الممدوح ، بوصفه خليفة ، يستمد شرعيته ، بأمرٍ إلهي ، فالممدوح هو من :

- انتهى له النور المبين 0
- هو المصطفى 0
- هو طيب الفرع
- سليل الإمام المجتبى 0
- مجالسهم روضات نجد 0

(1) ينظر: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى : 171/1 0

- برهان من الله 0
- نور ذي العرش 0
- وعد الله العباد بهِ 0
- سليل إمام الحق 0
- يقدمه جبرائيل 0
- صوّام هاجرة 0
- قوّام ديجور 0
- نجل الإمام 0
- نشأة الخلق الرضي 0
- وصفهم تضمّنه الكتاب0
- نبىّ عنهم جبريل 0

وفي حدود سعينا لما تحقق لنا في دراستنا ، رأينا أن تلك الدلالات ذات منحى فكري استمدّ أسسه من الفكرة التي بنى عليها الموحدون دولتهم فما دام الممدوح هو خليفة المهدي (ابن تومرت) ، كان لا بد له أن ينماز بخصائص تؤهله لهذا المنصب الإلهي ـ الخلافة ـ لذلك جاءت الألفاظ التي مُدح بها الخليفة الموحدي ، لتعبر وبسمات جماليّة ، وصور مؤثرة ، تثير الوجدان الديني ، وتحفزه ، وأنها في الوقت ذاتهِ تخلق جوّاً انفعالياً ، يبعث على بثّ روح الالتزام الأخلاقي من قبل الممدوح ، تجاه الآخرين ـ عن طبيعة الصيغة الرسميّة للمديح ، وبذلك مثّل الشاعر الموحدي ، على وفق ذلك ، تياراً خاصاً بقدر ما يتجمع في أفكار موحدّة ، ولعلَّ النماذج التي وقفنا عندها تكشف بوجهٍ عام عن جانب مهم من سمات هذه الخصوصيّة 0

فالشاعر قد يتّجه إلى اللغة المباشرة في وصف ممدوحِهِ ، كقول أبي العباس الاشبيلي :[1]

أخنى على من حاد من صرف الردى احنى على من هادَ من عطفِ الأبِ

فالممدوح سلم لمن سالمه ، وحرب على من حاربه ، لا لأن الموقف ذاتي فحسب لكن عرض الحقيقة التي تفرض نفسها على الواقع ، كان الواقع الأقوى الذي فرض نفسه فطابق بين (أخنى واحنى) وبين (حادَ وهادَ) ليكشف عن نقيضتين وليستدلّ من خلالها استدلالاً منطقياً على تحديد ملامح الصورة المثاليّة للممدوح 0

ومثله قول ابن حربون :

ســـليل الإمـــام المجتبـــى وشـــبيهه فـإن حـل مولـود فقـد حـلّ والـد

فالملاحظ في هذا البيت أنه يعتمد المباشرة في وصف ممدوحه ، لكننا يمكن أن نستدلّ من خلال تلك المباشرة ، على صورة الممدوح ، وقد اعتمد الفاء المرتبطة (إن) الشرطية لتربط بين المباشرة ، وما يترتب عليها من هذا الحلول الذي حلّ به الممدوح 0

أو أنه قد يوشح اللغة بسمات فنيّة مناسبة تعويضاً عن الجانب الصوري ، فمثلاً يضمن اسم (جبرائيل ﴿عليه السلام﴾) و (ميكائيل ﴿عليه السلام﴾) و (الخضر ﴿عليه السلام﴾) (ومجمع البحرين) ، مما شكل اقتباسات قرآنية ، لها دور مهم في إغناء القصيدة فكرياً لتتولد صورة تضمينّية ، ذات ملمح قرآني ليكون الربط بين شخصيّة موسى ﴿عليه السلام﴾ والخضر ﴿عليه السلام﴾ وبين شخصية الممدوح وأخيه السيد ، الإطار الذي يجمع أواصر الالتقاء بين طرفي العلاقة 0

ويرى ابن حربون أنّ ممدوحه : أبيض ، فياض اليدين ، مبارك ، مما يحملنا على ادارك صورة ممدوحه الحسيّة ، لكنّه يؤطرها بإطار قدسي حين يضفي عليه (نور ذي العرش) ، فتكون له هيبة من نوع خاصّ 0

---

(1) تاريخ المن بالإمامة : 164 0

وابـــيض فيـــاض اليـــدين مبـــارك علـى وجهـهِ مـن نـور ذي العـرش

وعندما يتجه الشاعر إلى اللغة التصويرية ، تتصاعد جمالية الأداء ، كما في قول أبي العباس الأشبيلي : [1]

أضـــحى بـــهِ الســـرحانُ راعـــي ثلّـــة أمنـــاً وبـــات الصـــقر ضـــيفَ الثعلـــبِ

وعلى الرغم من أنّ فكرة البيت سائدة ، لكنّه حاول جاداً أن يستدل من خلالها على هيبة ممدوحِهِ0

أما إيقاعياً ، فلا يخفى ما للوزن الشعري من صفة إيقاعية عالية ، لكننا نلحظ من ذلك تلك العناصر الإيقاعية الأخرى كالتكرار ، كما في قول ابن حربون [2]:

هـــذا الـــذي وعـــد اللـــه العبـــاد بـــهِ قـد أنجـزَ الوعـد حقـاً وانتهـى الأمـد

هـــذا ســـليل إمـــام الحـــقّ بيـــنكم لا المـــال مـــدّخر عـــنكمُ ولا الولـــدُ

والتجنيس الناقص كما في قول الرصافي البلنسي [3]:

مـــا زال يقضـــمها التقـــوى بموقـــدها (صـــوّام) هـــاجرة (قـــوّام) ديجـــور

حتـى أضـاءت مـن الإيمـان عـن قـبسٍ قـد كـان تحـت رمـاد (الكفـر مكفـور)

فكلا العنصرين يلعبان دوراً مهماً في إكساب النصّ الإثارة والإمتاع فضلاً عما يترك من أثر دلالي ذا طبيعةٍ صوريّة تتواشح من الأثر الإيقاعي 0

زيادة على تتكرر الأصوات ، كالراء مثلاً في المقطع الذي سقناه في مدحهِ عبد المؤمن ، التي قالها فيه الرصافي البلنسي ، نرى إن تكراره كان (18) مرّة ، وكالواو التي كان تكرارها (19) مرّة فقد جاء ورودها على هذا النحو تآزراً مع أصوات القافية التي تفرض على النصِّ هذا الامتداد الصوتي الذي تتطلبه مناسبة الحديث عن الممدوح وقد جاء البحر البسيط لاستيعاب هذا الترسل

---

(1) تاريخ المن بالإمامة : 246 0

(2) م0ن : 326 0

(3) ديوان الرصافي : 77 0

مديح الأشراف العلويين

يقول أبو الحسن علي الجيّاب في القاضي الشريف ، وهو بوادي آش [1] :

لقد مازجت روحي محبته التي ... بقلبي خُطَّتْ قبلَ أن أعرفَ الخطا

إليك ابن خير الخلقِ بنت بديهة ... تقبل تبجيلاً أناملك السُبطا

وحيدةُ هذا العصر وأخت وحيدةٍ ... لتبسط من شتّى بدائعها بَسْطا

وتتلو آياتِ التشيع إنها ... لموثقة عهداً ومحكمةٌ ربطا

لكَ الشرف المأثور يا ابن محمدٍ ... وحسبك أن تُنمى إلى سبطهِ سبطا

إلى شرفي دين وعلمٍ تَظاهرا ... تباركَ من أعطى وبورك في المعطى

ورهطك أهلُ البيت ، بيت محمد ... فأعظم بهِ بيتاً ، وأكرم بهِ رهطاً

بعثتُ بهِ عقداً من الدرّ فاخراً ... وذكرُ رسول الله درتُهُ الوسطى

وحاشيتُها من كلِّ ما شانها فإنْ ... تجعّد حوشيٌّ تجد لفظها سبطا

وفي الطيبين الطاهرين نظمتها ... فساعدها من أجل ذلك حرف الطا

عليك سلام الله م اذرّ شارق ... وما رددت ورقاء في غصن لغطا

القصيدة إجمالاً ، لا تختلف عن أيّة قصيدة مدح أخرى ، من حيث تركيزها على إبراز صفات الممدوح ، وأهم تلك الصفات ، انتسابه إلى بيت النبوةِ ، فرهط القاضي الشريف هم رهط النبيّ ﷺ فقد ابتدأ القصيدة على نحو يذكر فيه أنَّ محبة هذا الشخص قد مازجت روحه ، وأنها سكنت قلبه مذ هو صغير ، ثم يأتي على وصف القصيدة التي بعثها كمدحه للممدوح إذ قام بتشخيصها ، فجعلها وحيدة عصرها وهي قد جاءت على البديهة من دون تكلف ، تقبل أنامل القاضي الشريف تبجيلاً له وإعلاء لشأنِهِ ، ثمّ وصفها مرة أخرى بالعقد ، وجعل ذكر رسول الله ﷺ درته الوسطى 0 يظهر الشاعر

---

(1) نفح الطيب : 7/415 - 416 0

عواطف عقلانّية ، يؤديها تحت مظلّة المودة لهذا الشخص معتمداً تقديمه هذا الود على أساس تلك الصورة المعتدلة والإثارة في تناول الفكرة بصورة عامّة ، والصياغة اعتمدت في أساسها على الجملة الفعليّة ، حيث وردت الأفعال بنسبة عالية (مازجتّ ، خُطّت ، تقبل ، تبسط ، تتلو ، تمنى ، تظاهر ، تبارك ، أعطى 000 مما يدل على ولع الشاعر العربي على وجه العموم بتجسيد المعنويات والعواطف في هيأةٍ فعلية متحركة ، وبهذا تزداد وضوحاً ويسهل إدراك السامع لها 0

كذلك نلاحظ أنه قد استعمل في قوله[1]:

لـك الشـرف المـأثور يـا ابـن محمـدٍ وحسـبك مجـداً أن تنمـى إلـى سـبطه

ورهطـك أهـل البيـت بيـت محمـدٍ ســـــــــــــــــــــــــبطا

الجملة الاسمية إذ يؤكد في هذه الأبيات ثبات الصفات الخلقية للممدوح وذلك لأن ((الجملة الاسميّة لا تدل على الثبوت ، إلاّ إذا كان المسند اسماً))[2] 0

أمّا الصورة التي يعتمدها الشاعر هي صورة حسيّة حيث الصيغ الفعليّة لها علاقة مباشرة في إعطاء نوعيّة الصورة ، فالمحبّة والروح ، كلاهما معنويان ، لكن فعل الممازجة أعطى لهما قيمة ماديّة ، جعلت من الممكن إدراكهما إدراكاً حسيّاً ، كذلك الصورة التي رسمها لقصيدتِهِ فأعطاها بعداً إنسانياً، إذ جعلها تقبل ـــــ الأنامل تبجيلاً ، وتبسط ـــــ ائعها ، وتتلو آيات التشيع ، فكانت عبارة عن عهد موثق ومحكمة في صياغتها ، والحقيقة ، أنَّ التراكيب ، ((بنت بديهة ، وحيدة عصر ، أخت وحيدة ، موثقة عهداً محكمة ربطاً)) من المبالغة في إعطاء النصّ الشعري قيمة عليا وإن كانت على غير ما هو عليه 0

---

(1) نفح الطيب : 415/7 0

(2) معاني الأبنية ، د0 فاضل السامرائي ، جامعة بغداد ، 1981 : 17 0

ولمحمد بن علي بن هانيء اللخمي السبتي ، المكنّى بـ(أبي عبيد الله) في القاضي الشريف ابي القاسم الحسني قولُهُ : [1]

أبكـــارُ فكـــرك قـــد زفـــت بمـــدحتي ... تمشـــي روايعهـــا علـــى اســـتحياءِ

لا مـــن قصـــورٍ بـــل لتقصـــيها ... مـــن حيـــث لـــم يظفـــرن بالارَفـــاءِ

لكـــن جبـــرن وقـــد جـــبلن علـــى ... الرضـــا فـــالخير للأبكـــارِ للابـــاء

هـــذا إلـــى الشـــرف الـــذي فـــزت ... مـــن علياِئـــهِ بـــالعزّة القعســـاءِ

شـرف السـليل مـن الرسـول وسـيلة ... قامـــت بـــابن ســـناوابن ســـناء

حســـن وأبـــو حســـن وفاطمـــة ابنـــة ... الهـــادي البريّـــة خـــاتم النـــبلاءِ

شـــرف علـــى شـــرف علـــى شـــرفين ... مـــن ذا جـــاز مـــا حـــزتَ مـــن علیـــاءِ

النص يتخذ المسار نفسه الذي نظم فيه أبو الحسن بن علي الجياب باعتماده التشخيص في تصوير المعنوي وإيجاد علاقات متقاربة لتعزيز المضامين الشخصيّة التي ينماز بها القاضي الشريف بوصفه سليل الدوحة المحمديّة ، فالصورة التي رسمها لممدوحه القاضي الشريف ، قريبة جداً من صورة أبي الحسن 0

لعل من أهم الملاحظات التي نتجت عن هذا الاستقراء لقصائد المديح التي قالها الشعراء في آل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ومن ينتسب إليهم ، أن المديح الذي قيل على وجه العموم لم يتجاوز الحقائق العباديّة التي عرفت عن أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ وإن حاول ابن

([1]) نفح الطيب (طبعة مصر) : 147/3 0

هانيء أن يتجاوز المعتاد لظروف أملتها عليه طبيعة اعتقادهِ وعلى الأعم الأغلب أمكن ملاحظة ما يأتي :

1- بيّنت دلالات النصوص الشعريّة التي تناولها الباحث إلى حد ما المرجعيّة الفكريّة التي يتحرك في ضمن إطارها الشعراء وبتفاوت ملحوظ 0

2- بيّنت بعض النصوص الشعريّة الواردة تشيّع قائليها ، بالقدر الذي يمكن الحكم من خلالِهِ على وجود التشيع بالأندلس ، بصورة لا يمكن إنكارها 0

3- لم تظهر النصوص الشعرية الواقع الأدائي للمذهب الشيعي في الحياة على أصعدتها كافّة ، فبرز لنا أنَّ بني حمود ، وكما قال ابن الأثير ، لم يغيّروا على الناس مذهبهم نتيجة لما كان من أوضاع سياسيّة مضطربةً ، أو قد يكون الأمر ناتجاً عن تلك السياسة التي سلكها الحموديين والتي تقتضي عدم إكراه الناس عن التخلي عمّا يعتقدون بهِ0

4- بلغ الأداء الشعري لابن هانيء مستوى عالياً ، فجماليّة الأداء كانت مشفوعة بالعنصر الفكري الذي بنى على أساسِهِ نصوصه ، كما أنه أظهر تجربته العقيديّة على نحو لافت ، متجاوزاً ، الاتزان ، نحو الغلو0

5- أظهر الشاعر الموحدي أفكاراً عامة يمكن إدراجها ضمن المنحى الفكري الشيعي وذلك من خلال إطلاق الشاعر الصفات المثالية التي يراها الشيعة في أئمتهم من حيث ارتكازها على القاعدة الدينية التي ترى أن المنصب الديني المتمثل بالإمامة ، لا يكون مستحقاً إلا بتلك الخصائص أو الصفات 0

قد لا نبالغ إذا قلنا إنّ الرثاء الذي قيل في الحسين بن علي ﴿عليهما السلام﴾ هو اصدق أنواع الرثاء ، إذ يعتمد هذا النوع منه على محددات تنبع في كلّ الأحوال من نفس الراثي ، لأنه يرى في تلك المأساة التي راح ضحيتها الحسين وآل بيته مجالاً خصباً لاستدراج قيم الحزن الحقيقي الذي يعبر عن وجدان المسلم ، ومتنفساً لآلامهِ ، وفي الوقت نفسهِ تكون مناسبة الرثاء تلك احتجاجاً على الظلم الصارخ الذي يسود العالم . فالتعبير الرثائي لا يمكن أن يكون في مثل هذا الموقف ، إلاّ صورة من صور الانتماء الإنساني الحقيقي ، الذي يرفض الهيمنة ويمقت الظلم .

وكان أول من رثاه ﴿عليه السلام﴾ سليمان بن قتة ، وكان منقطعاً إلى بني هاشم ، فمرّ بكربلاء بعد مقتل الحسين ﴿عليه السلام﴾ بثلاث ، فنظر إلى مصارعهم ، واتكأ على فرسٍ له عربيّة ، وأنشأ يقول من[1] الطويل :

مـــررت علـــى أبيــــاتِ آلِ محمـــدِ ... فلـــم أرهـــا أمثالهـــا يـــوم حلّـــــتِ

ألم ترَ أنّ الشمس أضحت مريضة ... لقتـــل الحســـين والـــبلاد اقشعـــرتِ

وكـانوا رجـاءً ثـمّ أضـحوا رزيّـــةً ... لقـــد عظمـــت تلـــك الرزايـــا وجلّـــتِ

وتســألنا قــيسٌ فنعطــي فقيرهـــا ... وتقتلنــــا قـــيسٌ إذا النعـــل زلّـــتِ

ويقول أبو عبد الله محمد العكبري إن أوّلَ شعر قيل في رثاء الحسين ﴿عليه السلام﴾ هو قول عقبة بن عمر السهمي ، عندما قصدَ كربلاء لزيارةِ قبر الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾

(1)مقاتل الطلبيّن : 81 ، و بحار الأنوار : 45 / 293 .

في أواخر المئة الأولى ، إذ وقف أمام القبر قائلاً من الطويل(1) :

إذ العـين قـرّت فـي الحيـاةِ وانتـمُ … تخـافون فـي الـدنيا فـأظلم نورهـا

مـررت علـى قبـرِ الحسـينِ بكـربلا … ففـاض عليـهِ مـن دمـوعي غزيرهـا

فمازلـت أرثيـهِ وابكـي لشجـوهِ … ويسعـد عينـي دمعهـا وزفيرهـا

بكيـتُ ومـن بعـد الحسـينِ عصـائب … أطافـت بـهِ مـن جانبيهـا قبورهـا

سـلامٌ علـى أهـلِ القبـورِ بكربـلا … وقـلّ لهـا منـيّ سـلامٌ يزورهـا

سـلامٌ بآصـالِ العشـيِّ والضـحى … توديـهِ نكبـاء الريـاحِ وموِرهـا

ولا بـرحَ الوفّـاد زوّار قبـرهِ … يفـوح علـيهم مسـكها وعبيرهـا

ورثاه (عليه السلام) شعراء لا حصر لهم ، ولا نريد أن نذكر الكثير في هذا الموضع كراهية الإطالة كما قال أبو الفرج .

لقد كانت مأساة الحسين (عليه السلام) كما بينّا ذات أثر مهم في رفد الشعر العربي الملتزم بقيم حقيقيّة ، يستطيع الشاعر تمثلها وسكبها في هذا القالب الفني المميّز تضامناً مع الحسين وكمبدأ أنساني يعينه على تحمل أعباء أيّةِ مأساةٍ تحلُّ بهِ .

التفت شعراء الأندلس ولاعتبارات معينةٍ نحو هذا الفن الشعري مستلهمين خصوصياتِهِ وجاعلين منه نقطة ارتقاءٍ بالمثل الإنسانيّة التي تعتمل في خواطرهم ناهيك عن تلك الظروف التي هيأت

---

(1)ألآمالي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد ، تحقيق : علي مير الغفاري ورفيقه ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، إيران ،ط5، 1425هـ : 324 . وينظر : أدب الطف أو شعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر ، جواد شبرّ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001 : 52/1 .

للولوج في هذا الغرض الشعري ، الذي يستفزّ وجدان المسلم . فعلى ما يذكر المؤرخون من عادات كان يقوم بها بعض أهل الأندلس ولاسيما شرق الأندلس تتصل بمناسبة قتل الحسين بن علي (عليه السلام) ما يذكره ابن الخطيب إذ يقول : ((ولم يزل الحزن متصلاً على الحسين والمآتم قائمة في البلاد ، يجتمع لها الناس ، ويحتفلون لذلك ليلةَ يوم قتل فيه ، بعد الأمان من نكير دول قتلتهِ ، ولاسيما بشرق الأندلس ، فكانوا (....) يقيمون رسم الجنازةِ حتى في شكلِ الثياب يستجنى خلف سترة في البيت ، ويحتفل بالأطعمة ، ويجلب القرّاء المحسنون ، ويوقد البخور ، ويتغنى بالمراثي الحسنة))[(1)] ، وفي هذا الصدد ، يذكر ابن الخطيب بعض الشواهد ((والحسينيّة التي يستعملها إلى اليوم المسمعون ، فيلوون لها العمائم الملوّنة ، ويبدّلون الأثواب كأنهم يشقوّن الأعلى إلى الأسفل ...))[(2)] ويظهر لنا بناءً على ما ذكره ابن الخطيب أن تلك المراسيم التي تمثل إحياء مناسبة قتل الحسين (عليه السلام) ، قد كانت قائمة في مدّتِهِ ، لأنّ الأوضاع بصورة عامّة كانت مهيأة ، والمناخ الأندلسي في هذا الوقت كان باعثاً على التأسي بتلك الفاجعة ، لذلك لاحظنا ظهور مجموعة من الشعراء في تلك المدّة تحديداً ، وقد استجابت لذلك وأخذت تعتني بتلك المراثي ، وأخذ المسمعون يتلونها في تلك المناسبة . وبهذهِ الإشارة كما يقول د.عبد اللطيف السعداني ، ينكشف لنا ما كان غامضاً ، من قبل ، وهو ما أغفل الحديث عنه من أثر للتشيع في الأندلس ، إذ إنَّ هذهِ الإشارة التاريخيّة ذات أثر مهم لوجود التشيع في تلك البلاد ، ولاسيما بشرق الأندلس ، فقد كان لبني أمّية

---

(1) حركات التشيع في الأندلس ومظاهره : 160 - 161

(2) م 0 ن : 161 .

دور مهم في إخماد أثر التشيّع الذي بدأ يظهر بعد الآمان من نكير دولتهم[1] . أما ما عدا رثاء الحسين

﴿عليه السلام﴾ ، فلم نجد أحدا من الأمراء والأشراف المنتسبين لآل البيت ﴿عليهم السلام﴾ كأمراء بني حمود وغيرهم إلاّ وقد رُثيَ رِثاءً خاليا من نفس التشيع[2] ، إلاّ قولة ابن زمرّك في رثائه للقاضي المعظم الشريف أبي القاسم الحسني من الكامل : [3]

يا وارثاً نسب النبوّة جامعاً ... في العلم والأخلاقِ والاعراق

يا ابن الرسول وأنها لوسيلة ... يرقى بها أوْج المصاعدِ راقي

وردَ الكتاب بفضلكم وكمالكم ... وكفى ثناء الواحدِ الخلاقِ

وأول ما يطالعنا من شعر في هذا الغرض ، وإن بدت أبياته عامّة ، أبيات لابن عبدون في رثاء بني الأفطس ، والقصيدة طويلة ((سلك فيها أبو محمد طريقته في الرثاء إلى الإشارةِ والإيماء ... واقتفى أبو محمد أثر فحول القدماء من ضربهم الأمثال في التأبين والرثاء))[4] :

إذ نراه يورد مقاتل بعض أهل البيت كما في قوله : [5]

---

(1) ينظر : حركات التشيع في الأندلس ومظاهره :160 0

(2) ينظر : قصيدة عبادة بن ماء السماء في رثاء علي بن حمود وتهنئة أخيه القاسم بالخلافة ، الذخيرة : ق2م478/2 .

(3) نفح الطيب (طبعة مصر) : 352/7 - 353 0

(4) الذخيرة . في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، د.ط ، د.ت : 2/1: 315 .

(5)م.ن ، طبعة تونس ، 1975 : ق2م2 : 722 وينظر شعر عبد المجيد بن عبدون الفهري ، د. انقاذ عطا الله ، مجلة الأنبار تصدرها جامعة الانبار ، العدد 1 ، المجلد 3 ، لسنة 1999 م : 201 – 203 .

وليتهـا إذ فـدت عمـراً بخارجـة	فـدت عليـاً بمـا شـاءت مـن البشـرِ
وفي ابن هندٍ وفي ابن المصطفى حسـنٍ	أتـت بمعضـلةٍ الألبـاب والفكـرِ
	يبـوؤ بشـعٍ لـه قـد طـاعَ أو ظفـرِ
وأردت ابـن زيـادِ بالحسـين فلـم	دمٍ بفـخٍ لآل المصـطفى هُـدِرِ

يقول د.إحسان عباس بشأن القصيدة كلها إنها تمثل العبرة المجسمة في حقيقة الموت (...) وربّما لم يكن في هذا الاتجاه الشعري شيء من تصوير التأثر الذاتي للحادثة المباشرة وإنما فيهِ أسىً عميق على العظماء من بني الإنسان ، فهو بكاء على العظمة من خلال تصوير عظمة الموتِ رجاء التأسي)) [1] ويبدو أن رأي الدكتور إحسان عباس صحيح ، لكن هناك بادرة تؤيد الشك الذي يراودنا حول نسبة تشيع قائلهِ ، لأن المعنى الذي تضمنته الأبيات يشير إلى حنق الشاعر على من قتل علياً وعلى من قتل الحسن ، والحسين وعلى من قتل الحسين صاحب فخ فبين خارجي وأموي وعباسي ، كانت مصيبة أهل البيت أما البيت الأخير من النص ، فقد أشكل على الشاعر قوله[2] :

وأسبلت دمعة الروح الأمين على	دمٍ بفـخٍ لآل المصـطفى هـدر

إذا إن دمعة الروح الأمين لم تُسبل على قتيل فخ وإنما على الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) .

(1) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، د.إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1962 : 119 .

(2) الذخيرة : ق2م2 : 723 (مع الهامش) .

ويعدُّ أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال (465-540) هـ[1] ، من أهم الشعراء الذين تناولوا مأساةِ قتل الحسين (عليه السلام) [2] ، بإحساسٍ يتملكه الصدق والشعور بالحزن ، إذ استحيا تلك المأساة في شعرهِ ، لكنّ الذي لديه من الشعر – على الرغم من غزارة نتاجهِ – قصيدتان ، إذ يذكر الدكتور عبد السلام الهراس ، أنه عثر عليهما بعد أن كانتا مفقودتين[3] . والقصيدتان مستقلتان في تصوير تلك المأساة ، إذ يقول في إحداهما من البسيط[4] :

عرّج على الطفِ إن فاتتك مكرمة وإذر الدموع بها سحّاً وتهنانا

ابك الحسين ومن وافى منيته في كربلاء مضوا مثنى ووحدانا

ياليت أني جريح الطفّ دونهمُ اهين نفساً تفيد العزّ من هانا

أني لأجعل حزني فيهم ، ترفاً يكون للذنب تكفيراً وغفرانا

لله عين بكت ابناء فاطمة ترى البكاء لهم تقوى وايمانا

ما سرني ببكائي ملك قاتلهم ومثله معه لو صح أوكانا

آليت بالله لا أنسى مصائبهم حتى اضمن أطباقاً وأكفانا

فيا محمد قم لله معترفاً فإنّ ربّك قد ولاّكَ إحسانا

لم يفرغ الله في جنبيك حبّهم الاّ لتلقى بهِ فوزاً ورضوانا

---

(1) ينظر : رسائل ابن أبي الخصال لأبي عبد الله بن أبي الخصال ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1988 : 9-14

(2) ينظر : تاريخ الأدب الأندلسي : 169 .

(3) مأساة الحسين في الشعر الأندلسي ، د.عبد السلام الهراس ، مجلة المناهل ، العدد14 ، 1979 :92 .

(4) م . ن : 92 – 93 .

لعلّ أول ما يلاحظ على تلك القصيدة أنها توافرت على دلالات واضحة بسيطة تقوم على التعبير المباشر الذي يتوخى الواقعية والصدق ، لأنه يلتمس التحديد الدقيق ، لمعطيات القضية .

التي يتناولها ، فالشاعر يرى أن البكاء على الحسين ، هو جزءٌ من المشاركة في تلك المأساة وذرف الدموع أفضى بهِ إلى أن يتعامل مع اللغة بشكل أمدَّ النصّ بخصوصية قد كشفت عمق المأساةِ ، وأمدتها الصيغ الفعليّة استمراريّة ، ولتعبر في الوقت ذاتِهِ عن المعنى تعبيراً حسيّاً لأنها تحمل صورةً تدركها الحواس[1] فالأفعال : (عرجْ ، إذرِ ، ابكِ) قد جعلت المعنى ذات طبيعة مستمرة ، لأن المتلقي حينما يدرك هذا المنوال الذي نتجت عنه تلك الصيغ يرجع إلى صورة ذهنيّة تعزز الفعل الشعري الذي يمكن أن يكشف الموقف الانفعالي بدقّة عالية .

ويتناسب قوله (إن فاتتك مكرمة) مع تلك الصيغ الفعليّة ، لقضاء الدين الذي يدرك أنه مدين بهِ وكأنه يذعن إلى أن أفق الكارثة ، لا يكاد يستوعبه هذا الفعل ، لذلك راح يتمنى أنه (جريح دونهم) لإرضاء انفعالِهِ من جهة ، ومن جهة أخرى اقترابه من مستوى الارتقاء الفني الذي يؤكد أن المأساة جزء لا يتجزأ من نفسه ، فهي وإن كانت واقعاً خارجيّاً ، لكنّه حاول جاداً أن يُشبع بهِ ليخرجه متمثلاً في قولهِ : أهين/نفسي – اجعل/حزني = التكفير والغفران .

لذلك راح يدعو للعيون التي تبكي (أبناء فاطمة) لأنّه يرى أن فعلَ البكاء عليهم من مقومات التقوى والإيمان ، ولأنّ الأوزار ترفع بحبّهم ، وأن محمداً ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ قد أعطى بحبهم الفوز والرضوان ، وكأنّ هذهِ العناية بالتنويع في إظهار جوانب فضائلهم ، قد منح فرصة التعبير عن الانفعال مداها .

(1) ينظر : لغة شعر ديوان الحماسة (باب المراثي) ، رسالة ماجستير ، رفاه علي نعمة ، جامعة بابل ، كلية التربية ، 2001 : 35 .

وعليه فقد أشتمل النصّ على قيم فكرية يمكن إدراجها كما يأتي :

1. تذكر المأساة والبكاء عليها (الأبيات 1 ، 2 ، 4 ، 6) .
2. تمنىّ المشاركة في تلك الحادثة (ب3) .
3. استمرارية الحزن وعدم نسيانه (4 ،7) .
4. التزام مودّةِ أهل البيت والتمسك بهم قربةً إلى الله (5 ، 6 ، 10) .

وهذه القيم الفكرية قد ائتزرت بالقيم العاطفيّة لتعطي النصَّ دفقاً من الأحاسيس والمشاعر التي تتعامل مع الأفكار في ضوء علاقة اقترانيّة ، تعكس جوانب الإحساس التي يؤديها الشاعر بما يلزم النصّ ويمنحه قيمة فنية تتناسب مع العوامل النفسيّة التي تتراوح قوّةً وضعفاً مع الدفع العاطفي الذي يبثه الشاعر في نصّه ، فالحزن عاطفة يستنطقها الشاعر من خلال عمليتي (التذكر – البكاء) وجعل هذا الحزن ترفاً ، كما يشير إلى ذلك في البيت الرابع ، حتى أن العاطفة قد سيطرت على النص في كلّ أحوالهِ ليحقق المعادل الموضوعي المتمثل في زيادة الحزن والبكاء ، وإدامتهما حتى الموت لكي لا تفوته مكرمة المشاركة في تلك الواقعة .

أما لغة القصيدة فقد طغت عليها ألفاظ الحزن وعلى النحو الآتي :

- الدموع (ب1)
- ابك ، المنيّة (ب2)
- حزني (ب4)
- بكت ، البكا (ب5)
- ببكائي (ب6)
- مصائبهم ، اطباقا ، اكفانا (ب7)

وتأثر النسق جميعه بلفظتي المكان ، على اعتبار إنهما مكان الفاجعة :

- الطف (ب2)
- كربلا (ب3)

ثم جاءت ألفاظ الاعلام :

- الحسين (ب2)
- فاطمة (ب5)
- محمد (ب8)

لتغذي الثلاثيّة تلك وعبر خطوط ايحائيّة ، النصَّ بتكامليّة أدائيّة ، نستطيع أن نعلم من خلالها مكانة المرثي وقيمته التي حاول الشاعر أن يحدد إيقاعها القدسي في البيتين الأخيرين :[1]

فيــا محمــد قــم للـــه معترفـــاً　　　فـــإنّ ربّـــك قـــد ولاّك إحســـانا

لـم يفـرغ اللـه فـي جنبيـك حبـهم　　　الاّ لتلقـــى بـــهِ فـــوزاً ورضـــوانا

فضلاً عن ذلك يمكن أن يمنح الأداء الشعري انسجاماً أكثر يمكن أن نستوضحه من خلال الصيغ البلاغية التي بدأ استعمالها على نحو قليل في النص إذ استعمل الشاعر كلاً من الترادف والطباق وعلى النحو الآتي : (سحاًّ وتهنانا) و(تكفيراً وغفرانا) و (تقوى وإيمانا) و (أطباقاً وأكفانا) و (فوزاً ورضوانا) ، والطباق : (مثنى ووحدانا) ، و (العزّ وهانا) ، ليبرز الدلائل المعنوية المتناقضة في هذا النصّ ، ويعزز الوظيفة الإيقاعيّة كما في حالة الترادف الذي تجيء فيه الكلمة مرادفة للأخرى في بيت شِعرٍ أو كلام ومرادفتها لها أن تشبهها في معناها [2].

---

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 :93

(1) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن رشد بن علي بن منقذ ، تحقيق : د.احمد بدوي ود.حامد عبد المجيد ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ط ، 1960 :25 .

ويقول أيضاً من الطويل :[1]

ولـــــم يرقبـــوا إلاّ لآلِ محمـــــدِ ولـــــم يـــذكروا أنّ القيامـــةَ مَوعِـــدُ

وإنّ علـــيهم فـــي الكتـــاب مـــودّةً بقربـــاه لا ينحـــاش عنهـــا موجِـــدُ

فيـا سـرعَ مـا ارتـدّوا وصـدّوا عـن ومــالوا عـن البيـت الـذي قـد بــه هُـدوا

وبإلحاح واضحٍ يؤكد ابن أبي الخصال أنّ الذين قاتلوا آل أحمد لم يراعوا منزلتهم التي أعطاهم الله إياها في الكتاب كما يوضح ذلك قوله تعالى ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [2]، فكانت فعلة هؤلاء هي ارتدادهم عن جادة الصواب ، ومالوا عن مبادئ بيت النبوةِ التي (اهتدوا إليها) ، ولا أحسبهم قد اهتدوا وما يمثل ذلك في نظر الباحث إلا صرخة احتجاج ضد الطغيان الذي كادَ يؤدي بالإسلام إلى كارثة حقيقيّة ، لولا تضحيّة الحسين وآلِ بيتهِ . وعليه فقد لاحظ الباحث أن هناك ضموراً للصورةِ ، إذ كان الاتجاه نحو المباشرة ، مع توافر النصّ على صيغ تضمينيّة تؤدي مدلول النصّ القرآني السابق ، مما يمنح النصَّ قيمةً فكريّة قد تأتزر بالعاطفة لتعطي النصَّ بعداً جمالياً ، مما لاشك فيهِ . وأما البيت الأخير في هذا النصّ فقد احتفل بأدائيّة موسيقيّة عالية اضفتها عليه الألفاظ المترادفة من خلال المعنى وهي : (ارتدّوا ، وصدّوا ، ومالوا) مما وفّرَ نوعاً خاصاً من النغمِ ، والتقارب الأدائي .

ويقول من القصيدةِ نفسها :[3]

---

(2) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 :94

(3) الشورى / 23 0

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 :94

ويـا كبـدي إن انـتِ لـم تتصـدعن — فأنـت مـن الصـفوانِ أقسـى واجلـدُ

ويـا عبرتـي إن لـم تفيضي علـيهم — فنفسـيَ اسـخى بالحيـاةِ وأجـودُ

أتنتهـبُ الايـامُ فلْـذة احمـدِ — وأفـلاذ مـن عـاداهم تتـورّدُ

أيضـحى ويظمـأ احمـد وبناتـه — وبنـت زيـادٍ وردهـا لا يصـرد

ومـا الـدين إلاّ ديـن جـدهم الـذي — بـهِ أصـدروا فـي الصـالحين وأوردوا

ينـام النصـارى واليهـودُ بـأمنهم — ونـومهم بـالخوفِ نـومٌ مشـرّدُ

ومـا هـي إلاّ ردة جاهليّـة — وحقـد قـديم بالحـديث يُؤكَـدُ

إنَّ ابن أبي الخصال يتقطّع ألماً على ما ألمَّ بالحسين وأهل بيتهِ (عليهم السلام) وباستغراقٍ متكامل مع تلك المأساة ، يرى أن كَبِدَهُ إن لم تتصدّع من الحزن فهي أقسى من الحجرِ لأن من الحجارة ما يسقط من خشية الله وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وأنَّ عبرتهُ إن لم تفض ، فنفسه أسخى بمفارقةِ الحياة ، وكأنهّ باستعمالهِ صيغة النداء (يا) لكبدهِ وعبرتهِ يعاتبها لعدمِ بذلهما ما يمكن أن يجعل حزنه يبلغ غايته ، لأنَّ فلذة كبد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد انتهبتها يدُ الغدرِ التي كنّى عنها بالأيام ، وأفلاذ أعدائهم (تتورد) ، إذ استعمل صيغة الفعل المضارع للدلالة على ديمومة الدعةِ والرخاء ، فوضع الحالتين على نحو يجعل من احدهما صورة مناقضة للأخرى محققاً صيغة من الطباق المجازي ، فانتهاب الأيام لفلذةِ أحمد تعني الموت والحرمان والتشريد ، وأفلاذهم تتورد تعني ، الحياة ، والدعة ، وهذا ما يمكن أن يتضح من خلال السياق ، ويؤكّد هذهِ الرؤية في البيت الرابع المبدوء بالاستفهام (أ) ، إذ إنَّ الحسين وآلهِ عطاشى ، وآل زيادٍ في غمرةِ الارتواء ، وانسياقاً مع هذا فقد جاء السياق في الأبياتِ الأخرى متضامناً مع ما بدأ بهِ الشاعر ، إذ جمع حالاتٍ متماثلةً ليقرنها بالحالةِ التي وصل إليها آلُ الرسول (عليهم السلام) وكأنه يعجب من هؤلاء ، المحسوبين على الإسلام ، فالدين الذي يؤمنون بهِ ، وأحسبهم ليسوا كذلك ، هو الدين الذي نزل على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والرسول جدّ الحسينِ ، وهم قد اكتسبوا

رفعةَ الشأن بهِ ، فكيف تسنّى لهم فعل ذلك ، ويرى أن اليهود والنصارى ناموا بأمنهم ، لأنهم ضمنوا حقهم ، فكيف إذن يلقى آل الرسولِ من ويلاتِ المارقين عن الدين ، فعدّ ذلك الأمر ردّةً جاهليّة وحقداً قديماً .

لغة النصّ بوجهِ عام جمعت قرارةَ حزنِ الشاعر في البيتين الرابعِ والخامس فتصدعّ الكبدِ ، وفيض العبرةِ ، والسخاء بالحياةِ ، قد تخصّصت بالتعبير عن الحزن والرثاء .

وهناك بعض الألفاظ ، يقترن معناها بالنسق القرآني من مثل :

محمدّ ، والقيامة ، والكتاب ، واحمد ، والصالحين ، والنصارى ، واليهود ، لاشتراك تلك الألفاظ في منح النصّ دلالةٍ عميقةٍ ، وكأنها تصل الحسين وآلهِ ، ببعدِ ديني يبدأ بالرسولِ والكتاب وينتهي بالله تعالى .

وقد ظهرت في النصِّ مجموعة من الظواهر الدلالية كالترادف من مثل (ارتدوا – صدّوا) و(اقسى - اجلدُ) و (اسخى – أجودُ) و (يضحى – يظمأ) ، ومجال حصول الترادف إنما يكون من اجل تقويةِ المعنى من خلال التوسع الأسلوبي بتكرار صفات متشابهة .

ومن الظواهر المعنوية التي جاءت في نص الرثاء هذا (ظاهرة القصر) ، والتي يعرفها البلاغيون بأنها : تخصيص شيء بطريق مخصوص(1) ، إذ يستعمل هذا الأسلوب للتوكيد . وهذه الطريقة هي عبارة عن الجمع بين أداة نفي وأداة الاستثناء (إلاَّ) عندما يكون الاستثناء مفرغاً وتسمى حينئذ أداة قصر ، وفيها توكيد الخبر إذ يقول(2) :

ومـــا الـــدين إلاّ ديـــنُ جـــدهم بـــهِ أصـــدروا فـــي الصـــالحين وأوردوا

---

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د0 أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، د0ط ، 1978 : 137/3 0

(2) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل : ع14 : 94 0

أما موسيقى النصّ فقد توافر النصّ على العموم على إيقاع منتظمٍ جاء من خلال استعمال الشاعر للبحر الطويل الذي جاءت فيهِ العروض والضرب مقبوضين فشكلّ ذلك الإيقاع مصدر موسيقى النصّ الغالب مع الأخذ بنظر الاعتبار العاطفة التي يتحرك على أساسها المستوى الإيقاعي علّواً وهبوطاً من خلال الأداء المتمثل في الصيغ التركيبيّة والمعنوية التي نوهنا عنها .

أماًّ القصيدة الثانية فتبلغ تسعةً وعشرين بيتاً ، وهي من بحر الخفيف[1] :

لهف نفسي على الحسينِ ومن لي	**أن يقضـــــي حقوقـــــه عبراتــــي**
يـا جفـوني برئـت منـك إذا لـم	**تغرقـــي فـــي بحورهـــا نظراتـــي**
لهـف نفسـي علـى قتيـل يعـزى	**عنــــه خيـــر الآبــــاء والأمهـــاتِ**
أيُّ عـــيشٍ يطيـــب بعـــد قتيـــل	**مـــــاتَ بالمرهفـــــاتِ أيَّ ممـــــاتِ**
حرمـــوه مـــاء الفـــراتِ ولـــولا	**جـــدّه مـــا ســـقوا مـــاء الفـــراتِ**
وثـووا فـي قصـورهِ ، وأطمـأنوا	**وبنــــات الرســـولِ فـــي الفلـــواتِ**
إنّ فـــي كـــربلا كربـــا ســـقيماً	**فـــتن المـــؤمنين والمؤمنــــاتِ**
يـــذهب اللـــه بـــالقرونَ ويـــأتي	**وهـــــل بكـــــلّ مـــــاضٍ ، وآتِ**

في تلك الأبيات لم يزل ابن أبي الخصال يبكي الحسين (عليه السلام) ، لكي تسكن لوعته على ما حدث لابن بنتِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو يبرأ من جفونهِ إذا لم تغرق في بحور أدمعها نظراته ، لأنه يرى أنةّ لا معنى للحياةِ ولا طيبَ للعيش بعد قتيل الطف (وأيّ قتيل !) الذي حرمه الأعادي ماء الفرات ، فكانت تلك العصابة الباغية ، قد فعلت فعلتها

(3) م0ن ، ع14 : 93 0

وسكنت مطمئنة في منازل الدعة ، وآل الحسين (عليه السلام) قد سيقوا أُسارى إلى يزيد وعصابته ، يقطعون الفلوات سيراً على الأقدام .

ويبدو لنا أن ابن أبي الخصال كان قد استوحى تائية دعبل في قصيدتِهِ ، وبنى نصّه على غرارها ، لكنّه خالفه في البحر الذي نظم فيه ، ولنا في ذلك شاهدٌ ، قوله[1] :

وثووا في قصورهِ ، واطمأنوا　　　وبنات الرسول في الفلوات

وهو مأخوذ عن بيت دعبل الخزاعي[2] :

بنات زيادٍ في القصورِ مصونة　　　وآل رسول الله في الفلواتِ

ويرى في البيت الثامن أنّ المصيبة ستبقى راتبةً إلى الأبد ، ولا يمكن أن تمحّي من تاريخ الإنسانية ، لأنها أبشع ما ارتكبته تلك العصابة بحقّ أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ويستّمر أبن أبي الخصال قائلاً [3]:

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل : ع14 : 93 0

(1) ديوان دعبل الخزاعي ، جمعه وحققه : د. محمد يوسف نجم ، بيروت ، دار الثقافة ، ط1 ، 1989 : 35 – 43 .

(2) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 : 94 .

أنا في غمّة بكم شهد اللّـ ــه ملقى بما لقيتم حياتي

فاتني نصركم بنصلي فنصري بفؤادٍ مجدد الزفراتِ

وقوافٍ مرسومةٍ بدموعٍ قدحت في توقد الجمراتِ

ما بقاء الدموعِ بعد الحسينِ فخذي من صميم القلب وهاتِ

أتكون الدموع فيهِ وفي النا سِ سواءً لا وهادي الهداةِ

هوّن الإله بعدهم كلّ خطبٍ وحلّت لي علاقمُ الحادثاتِ

كيف أرجوا بكشفِ آل حسينِ سترَ أهلي من بعدهم وبناتي

فضح الدهر أهلَهُ وبنيهِ إذ رماهم بفرقةٍ وشتاتِ

إن ابن أبي الخصال ، يستمرُّ في حزنهِ ، مواكبةً لاستمرارهِ ذكر تلك المصيبة ويأسى لفوتهِ نصر الحسين وآل بيتهِ ، بسيفهِ ، لكنه يؤكد أنه منتصر لهم بقلبهِ المواضب على الحزن وبقوافيهِ المخطوطة بدموعهِ المتلظيةِ ، لأن الدموع إذا لم تكن للحسين وآلِهِ ، فمن يستحقها بعدهم ، ولأنّ الخطب الذي تعرضوا له كان كلّ خطبٍ إزاءه جليلاً ، فآل زياد انتهكوا حرمات الحسين ﴿عليه السلام﴾ بعد قتلهِ ، وفرقوا بينهم ، لذلك يرى أن كلّ سترٍ دون ستر الحسين الذي فضح ، هين بأن يفضح . فابن أبي الخصال يكرر المعنى ، ويحاول أن يدعمه بصيغ أخرى أستزادةً للعاطفةِ ، وليعلن تأثره الشديد بتلك المأساة ، وقد اعتمد الألفاظ التي تدلّ على الحزن والجزع :

- عبراتي ، (ب1)

- قتيل ، يعزي ، (ب2)
- قتيل ، مات ، مماتِ ، (ب4)
- الغمّ (9)
- الزفرات (10)
- الدموع
- الدموع (ب11 ، 12 ، 13)
- الدموع

فضلاً عن الألفاظ التي تميّز النص الرثائي الحسيني من غيرهِ :

- كربلاء (ب7)
- الفرات ، إذ جاءت تلك اللفظة بصيغة المضاف إليه (ماء الفرات) ، لتعطي بعداً آخر للمأساةِ ، لأنّ الحسين ﴿عليه السلام﴾ منع وأهله ماءَ الفرات .

أما أسماء الأعلام فجاءت على النحو الآتي :

- الحسين (ب1)
- آل الحسين (ب15)
- بنات الرسولِ (ب6)

إنّ اتجاه الشاعر إلى اللغة المباشرة إنّما كان يستدعيهِ التعبير عن تلك العواطف التي تنتابه إلاّ أنه ينحو أحياناً منحىً تصويرياً إنسياقاً مع الموقف الانفعالي الذي يؤديهِ الشاعر ، وإن كانت الصورة التي يأتي بها تقريرية نحو قوله (ثووا في قصرهِ) و (بنات الرسولِ في الفلوات) و(قوافٍ مرسومة بدموع) ، لارتكازها على إبراز الحقيقةِ من دون تجاوز يجعلها مبالغاً فيها .

وعلى العموم يمكن أن يتضح لنا أن النصَّ بصورةٍ عامّة يتسم بالصدقِ الوجداني الذي نستشعره من خلال هذا الحزنِ الوالِهِ الذي يسيطر على جوِّ النصِّ ، الذي احتفل ببكائيّة غير مبالغٍ فيها .

ونحضى بصفوان بن إدريس التجيبي شاعراً آخر أكثر طرق هذا الباب ، ((وانفرد من تأبين الحسين ، وبكاء أهل البيت ، بما ظهرت عليه بركته في حكايات كثيرة))[1] ، فمن رثائِهِ قوله[2] من الوافر :

إذا جـــادت دمـــوعي بانتحـــابِ	**فمــــا دعـــوى الغمــــامِ بانســـكابِ**
وحــــقَّ لــــيَ فــــإنّ حزنــــي	**يثيـــر الـــدمعَ فـــي جفـــن الســـرابِ**
وأنـــىّ لـــيَ العـــزاءُ وقـــدْ تـــردّى	**فـــراش الصـــبر فـــي نـــارِ المصـــاب**
فيـــا عينَّـــي إن لـــم تســـتهلاّ	**ـ ثكلتكمـــــا إذن ـ بـــين الســـحابِ**
علـى سبطِ الرسولِ علـى حسين	**علـــى نجـــلِ الشـــهيدِ أبـــي تـــرابِ**
يزيـــدُ وكـــم يزيـــدُ عليـــك حقـــدي	**رزئـــت الفـــوز مـــن حســـن المـــآبِ**
قتلـــتم ســـبطه قتـــل الأعـــادي	**لقـــد وفقـــتمُ لســـوى الصـــوابِ**
وســـقتم أهلـــه ســـوق الســـبايا	**أهـــذا مـــا قـــرأتُمْ فـــي الكتـــابِ**

(1) نفح الطيب (طبعة دار الكتب العلمية) : 58/7 .

(2) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 : 101

قد يكون البكاء هو الوسيلة المعول عليها بالدرجةِ الأولى في كلِّ المراثي التي ذكرناها والتي سنذكر فيها بعد ، لأنّ الشاعِرَ لا يملك وسيلة أخرى يستطيع من خلالها أن يبديَ لوعِتهُ وحزنه ، صحيح ، أننا رأينا في النصوص السابقة أن الشاعر يتمنّى أن يكون قتيل الطف دون الحسين وأهل بيتهِ (عليهم السلام) ، وأنّ كبدَه تتفطر لشدّةِ الحزن ، لكن على الأعم الأغلب بدا البكاء الطريقة الأكثر تميّزاً في التعبير عن المعاناة الداخليّة التي تنتاب المحزون ، كالتذكر واللوعةِ ، والجزعِ على المرثي .

وصفوان بن إدريس يرى أن البكاء حقٌ لَهُ ، لأنّ حزنه يثير تلك الدموع الغزيرةِ التي إذا ما ذرفها ، فلا حاجة لانسكاب الغيث ، قد تكون المبالغة هنا ، دليلاً ، على كثرةِ الحزنِ الذي ينتج عنه هذا البكاء ، فالصبر لا يكاد يسعفه على المطاولةِ فرسم صورة جميلةً لرقّةِ صبرهِ بأن جعله فراشاً وأن نارَ المصاب أودت بهِ ، ويهدد عينيهِ بأنّه سوف يثكلهما إذا لم يستهل دمعهما على الحسين سبط الرسول وابن أبي تراب .

ويأتي بعد ذلك على ذكر يزيد ، ليُعلنَ أنّ حقده عليه كبير ، وأنّه بفعلتِهِ تلك خسر شفاعة الرسول ، لأنّه قتل الحسين شرَّ قتلة ، وساقوا آله سبايا يقطعون الفلوات الشاسعة ، فما حفظوا مكانة آل الرسول ، ولم يُراعوا ما نزل من القرآنِ في شأنهم .

تبدو الأبيات إلى هنا رثاءً عاديّاً لا يكشف عن عاطفةٍ ذات شأن تمنح النصّ فنيّة عالية على الرغم من كون لغة النص قد توافرت على ألفاظ الحزن المتصل بهذهِ المناسبة فـ (الدموع ، والانتحاب ، والبكاء ، والعزاء ، والمصاب) ، جاءت بصورةٍ ذات دفقٍ عاطفيّ خافتٍ من خلال الإحساس الناجم عنها .

ثمّ كان لأسماء الأعلام : (سبط الرسول ، والحسين ، وأبي تراب ، ويزيد) أهميّة ، فطرفا المأساة المتمثل بهذهِ الأعلام يحقق خصوصيّة في الرثاء الحسيني .

ويستمرّ أبو بحر مستعظماً الفاجعة [1]:

ولــو أنـــي حضـــرت بكـــربلاء إذن حمـــــد الحســـين بهـــا منـــابي

إذن لســقيت عنـــه الســيف ريّــا ولـــيس ســوى نجيعـــي مـــن شـــرابِ

أمـــولايَ الحســـين نـــداءُ عبـــدٍ عظـــيم الحـــزن فيـــك والانتحـــابِ

منحتُــك مــن بنــاتِ الفكــرِ فِكَــراً أطـــــار شـــــرارها زنـــــدُ اكتئـــــابِ

عســى الــرحمن يقبلهــا فتضــحى شـــــفاعة أحمـــــد عنهـــا ثـــوابي

الملاحظ في هذا النصُّ وسواه ، أنّه يتكئ على الصورة التشبيهيّة أو الاستعارية في جلِّ الأحوال ، دون أن يحاول الدخول في إطار الصورة الاستدلاليّة التي يكشف الشاعر صياغتها وكأنه يتغلل إلى داخل المعنى ، لذلك نرى أن المعنى الذي يطرحه الشاعر في نصّه يصاغ بأدائيّة نستشعر معها ما يمكن أن يضع النصّ أو يمنحه تأثيراً عاطفيّاً طفيفاً ، على أننا لا نغفل في الوقت ذاتِهِ عن أن الشاعر يُعنى جاهداً في استنطاقِ مشاعرهِ على هذا النحو الذي يبدو موافقاً لأثر تلك المأساة في نفسهِ ، فالشاعر حرص الحرص كلّه على الاتجاه نحو المبالغة في وصف حزنه ، لذلك آثر التتابع اللفظي لعبارات : الدموع ، الانتحاب ، البكاء ، الحزن ، القتل ...الخ ، المصحوبة بانفعاليّة صدرت عن إحساسٍ بخطورة المأساة وانعكاسها على نفسهِ من دون النظر إلى الظواهر الأخرى المرتبطة بها ، فكانت التقريريّة واضحةً ، إلاّ أنه حاول جادّاً في البيتين الثاني والثالث الاتجاه نحو تكثيف الصورة بجماليّة أدائيّة تمثلت في (جفن السراب) و (فراش الصبر) ، على نحو لافت .

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 : 101 0

ويقول في أخرى من الطويل :[1]

ســــلامٌ كأزهـــار الربـــى يتنسّـــم　　علـــى منـــزل منـــه الهـــدى يـــتعلّم

علـى مصـرع "للفـاطميين" غُيِّبـت　　لأوجههـــم فيـــهِ بـــدور وأنْجـــمُ

علـى مشـهد لـو كنـت حاضرَ أهلـه　　لعاينـــت أعضـــاء النبـــيّ تقســـم

علـى كـربلا لا خلـف الغيـثُ كـربلا　　وإلاّ فـــإنّ الـــدمع أنـــدى وأكـــرمُ

مصـارع ضـحّت يثـربُ لمصـابها　　ونـــاحَ علـــيهنّ الحطـــيمُ وزمـــزمُ

ومكّـة والاسـتار والـركنُ والصـفا　　وموقـــف جمـــع والمقـــامُ المعظّـــمُ

وبـالحجر المثلـومِ عنـوانُ حسـرةٍ　　ألـــيس تـــراهُ وهـــو أســـودُ أســـحمُ

إن هذا النموذج قد يحفلُ بخصيصة تميزه عن النصّ السابق لاحتفالِهِ بعناصر فنيّة ومعنويّة عكست البعد الحقيقي للمأساة الحسينيّة لا على أنها عمليّة قتلٍ يتأسف عليها الشاعر فقط ، وإنّما ضمنها بعداً آخر له سمات قدسيّة ، بغض النظر عن البعد السياسي الذي مثله موقف الحسين ﴿عليه السلام﴾ وهكذا فقد استمدّ النصّ دلالات مشفوعةٍ بقيم إسلاميّة حقيقيّة ، على الرغم من احتفال البيت الأولى بعنصر التقليد الذي يقوم في جلِّ أحوالِهِ على إلقاء السلام على المرثي لكنّ انسيابيّة الأبيات وطريقة سبكها واعتماد المباشرة في الأداء أدى إلى بروز الجانب العاطفي الذي تمثله الشاعر فإلقاء التحيّة المشبهة بأزهار الربى خصّ بهِ الشاعر مكاناً بذاتِهِ ، وأشخاصاً بعينهم ، ألا وهم أبناء فاطمة ﴿عليهم السلام﴾ الذين غيّبت أوجههم الموصوفة بالأقمار والنجوم وعلى مصرع

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 : 101 - 102 0

بكربلاء كان فيه الحسين وأهل بيتهِ نهباً لسيوف بني أميّة التي مزقتهم شرَّ ممزق حتى بكت مكّة بكلِّ مكوناتها ، وما أصبح الحجر الأسود أسودَ إلا حزناً على مصابهم .

ويستمرّ التجيبيّ على النحو الذي يذكر فيهِ ما حلَّ بالزهراء ﴿عليها السلام﴾ من مصابٍ في بنيها وكأنّه يتكلم بلسانِ حالها ، فيقول : [1]

واقبلتِ الزهراءُ قدّسَ تُربها تنادي أباها والمدامعُ سجّمُ

تقول : أبي هم غادروا ابني نهبه لما صاغه قينٌ وما مجّ أرقمُ

سقوا حسناً كأساً رويّه ولم يقرعوا سنّاً ولم يتندّموا

وهم قطعوا رأسَ الحسينِ بكربلا كأنهم قد أحسنوا حينَ أجرموا

وكأنّه بالزهراء ﴿عليها السلام﴾ تشكو لأبيها ما حلَّ بولديها فالحسن ﴿عليه السلام﴾ قُتلَ مسموماً والحسين ﴿عليه السلام﴾ ذُبِحَ بكربلاء من دون ما مرحمةٍ ، فلم يندم قاتلوه ، لذلك تطلب من أبيها أن يأخذ بثأرها لكي تسكن لوعتها :[2]

فخذ منهمُ ثأري وسكنْ جوانِحا وأجفانَ عينٍ تستطير وتسجمُ

أبي وانتصر للسبطِ واذكر مصابه وغلتّه والنهر ريّانُ مفْعَمُ

وأسر بنيهِ بعده واحتمالهم كأنهم من نسل كسرى تغنّموا

ونقرُ يزيد في الثنايا التي اغتدت ثناياك فيها أيها النور تُثلمُ

---

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 : 102 0

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 : 102 0

قد يكون حجم المأساةِ لفضاعتهِ يدفع بالشاعر إلى تنويعِ الأداء ، ليكشف التواشيح الحاصل بين المأساة وشعورهِ حيالها ، مما يضفي على النصّ الشعري بعداً جمالياً ، فهذا الأنموذج يحتفل من حيث الأداء بعنايةٍ بالبعد الديني للمأساةِ إذ وظفّ الشاعِرُ ما يمكن أن نطلق عليهِ بالحوار (تجوزا) ، فجعل الزهراء ﴿عليها السلام﴾ تطالب أباها أن ينتصر لما فعُلِ بالحسين بصورة تحتشد بالدلالات التاريخية ابتداءً بِسُم الحسن ، وقتل الحسين ظَماً ، وأسر بنيهِ ، وانتهاءً بنقرِ يزيدٍ ثنايا الرأس الشريف بعصا كانت في يدهِ ، متناسياً ما للحسين وآلِهِ من منزلةٍ ، وكأنّ الشاعر يعجبُ من هذا الأمر ، فكأنّه يقابل بين رمزين ، رمز الخير المتمثل بالرسولِ وآلِهِ ، ورمز الشرّ المتمثل بيزيد وسوقته ، مؤكداً الدلالة الدينيّة التي يحملها الحسين وآلِهِ ﴿عليهم السلام﴾ .

وفي الواقع ارتبط النصُّ بسمة أخرى وهي التكرار فكان على النحو الآتي :

- سلام على منزل
- ... على مصرع
- ... على مشـهدٍ
- ... على كربـلا

فتتناغم العاطفة مع هذا التكرار بعلاقة اقترانيّة بين طرفي الانفعال (اللغة – العاطفة) ، ليشكل التكرار جرساً موسيقياً متساوقاً مع إيقاع البحر الطويل الذي يحفل بأدائيّة موسيقيّةٍ تستوعب صيغة الحزن المدعوم بتعزيز للعنصر الفكري الذي يمكن لنا أن نتبيّنه من خلال الأداء اللغوي الذي يفصح عنه ، فالحسين ﴿عليه السلام﴾ توافر على حقائق إلهيّة تمثلت من خلال إقدامِهِ وتعرضِهِ للقتل

الذي ضجّ لهولِهِ (يثرب ، والحطيم ، وزمزم ، ومكّة ، والأستار ، ....) مما يكشف القيمة الدينيّة التي يمثلها الحسين (عليه السلام) ، وبالفعل قد لا تخلو القصيدة من بعدٍ سياسيّ يريد الشاعر أن ينوهَ عنه ، وإلاّ فكيف الأمر ، وقتلته يتولون شؤون المسلمين . ويستمرُّ في بكائيته ، ويحاول أن يستنهض الآخرين على البكاء والحزن كما في قوله :[1]

ألا طرب يقلى ألا حزن يصطفى   ألا أدمع تجري ألا قلب يضطرم

قفوا تساعدونا بالدموعِ فإنّها   لتصغر في حقّ الحسينِ ويعظمُ

وفق ذلك يمكن أن نلاحظ استثمار الشاعر لأطراف المأساةِ وتداعياتها ، بناءً على ما هو مرتبط من حيث الدلالة بتلك الفاجعة ، بحيث يستغرق في إعطاء صورةٍ تامّةٍ لمجريات ما حصل لآل الرسول من دون عنايةٍ بالصور التفريعيّة ، فقوله (أقبلت الزهراء .. تنادي) و(قطعوا رأس الحسين) و (سقوا حسناً) و (النهر ريان) و (ينقر يزيد في الثنايا) هي صور مألوفة ومستخدمة بكثرة ، لم يتأثر الشاعر بها ليخرجها في إطار جمالي جديد يهبها شعريةً عالية . وعلى العموم فالسياق بصورة عامّة يعّد عبارةً مصورةً بشكل واضحٍ مضافاً إليها بعداً عاطفياً حاول استدرار الدموع ، لأن النصّ مصوغ للإنشاد والتفجع فلابّد أن تكون لغته مباشرةً ، لأن الصورة الراقية تستدعي التأمل في استخلاص دلالتها[2] ، ولا تبعث على البكاء في جميع الأحوال .

وله أيضا فيه قوله من مخلع البسيط [3]:

---

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع14 : 0103

(1) ينظر : تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي : 632 0

(2) نفح الطيب (طبعة دار الكتب العلمية) : 65/7 0

يـــا عـــين ســـحّي ولا تشـــحّي   ولـــــو بــــدمعٍ بحـــــذفِ عـــينِ

وقوله من الرجز المجزوء [1]:

أومـــــض ببــــرق الأضــــلعِ   واســـــكب غمـــــام الأدمــــعِ

واحـــــزن طــــويلاً واجـــزعِ   فهــــــو مكــــــان الجـــــزعِ

والذي يمكن أن نلحظه من الأبيات السالفة أن البكاء هو قمّة ما يستطيع الشاعر أن يقدمه لكنّه يلون الأداء ، لكي يحقق غاية نفسيّة ، تمثل معادلاً موضوعيّاً يتوكأ عليه الشاعر من أجل أن يجعل حزنه متكاملاً على الحسين (عليه السلام) فهو يطلب من عينيّهِ أن (تسحا) ولا (تشحّا) بدمع من دون (عينِ) ، ولم يقل بدمٍ ، وليحقق في الوقت نفسهِ صيغةِ جماليةً . هذا فيما يَخصّ البيت الأول . أما البيتان الآخران ، فالشاعر يجعل أضلاعه تبرق نتيجة الحسرات التي يختزنها في صدره ، فيتعالى غمام يسقط ودقه دمعاً من العيون . ويؤكد دوام الحزنِ والجزعِ على الحسين لأنّه يريد أنْ يفيَهُ بعض حقّه ، والحسين (عليه السلام) أكبر مما يدعو إليه من الجزع والبكاء ، فهو أولى بالاهتداء برسالتِهِ ، لكن على وجهِ العموم – لا بدّ من الحزن عليه .

ولناهض الوادي آشي مرثيةٌ في الحسين (عليه السلام) عكس من خلالها حزنه العميق وتبرمه من الذين قتلوه ، على نحو بدأ مألوفاً جدّاً ، فالمرثيّة في أحوالها كافّة تبدو آخذةً بسياق الرثاء التقليدي ، و ((تحتشد بغنائيّة ملحوظة تتناسق مع طبيعة الشعر الأندلسي ، الذي يحتفل بالعبارة المشرقة)) [2] حيث أفاض الشاعر في الأبيات الثمانية الأول في حوارهِ مع الحمامةِ مستفهماً عن

---

(3) م 0ن : 7/ 64 0

(1) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي ،: 732

سبب بكائها ، بفيضٍ من استفهامات منحت العبارات إحكاماً اتجه من خلالها إلى حبك الفكرة لغويّاً من دون عناية بالصورة ، إذ يقول من الكامل :[1]

أمرنـــة ســـجعت بعـــودِ أراكِ ... قـــولي مولهـــةً عـــلامَ بُكـــاكِ ؟

أجفـــاك إلفـــك أم بكيـــتِ بفرقـــةٍ ... أم لاحَ بـــــرقٌ بـــــالحمى فشـــجاك

لو كـان حقاً مـا ادعيتِ من الجوى ... يومـــاً لمـــا طـــرق الجفـــونَ كـــراكِ

أو كـــان روّعـــكِ الفـــراقُ إذاً لمـــا ... ضـــنّت بمـــاءِ جفونهـــا عينـــاكِ

ولمـا ألفـتِ الـروض يـأرجُ عرفـه ... وجعلـــتِ بـــين فروعِـــهِ مغنـــاكِ

ولمـا اتخـذتِ مـن الغصـون منصّـة ... ولمـــا بـــدت مخضـــوبة كفـــاكِ

ولمـا ارتـديتِ الـريش بُـرداً معلمـا ... ونظمـــت مـــن قـــزح ســـلوك طـــلاك

لـو كنـت مثلـي مـا أفقـتِ مـن البكـا ... لا تحســـبي شـــكواي مـــن شـــكواك

فالصورة التي يرسمها للحمامة ، يمكن أن نستشف منها مدى حزنهِ ، لأنّه قد قرن (علامَ بكاك) بـ(مغناك) لينكر على الحمامةِ شجوها ، لأنها ألفت الروض ، واكتسبت جمالها من جمالِهِ ، فهي بذلك صورةٌ معكوسة للشاعر ، فحاله ليست كحالها لأنّه يوضح في الأبيات سبب بكائِهِ إذ يقول : [2]

(2) نفح الطيب (طبعة دار الكتب العلمية) : 7/ 65 0

(1) نفح الطيب : 7 / 65 0

إيــــهِ حمامـــــة خبرينــــي إننّــــي أبكــــي الحســـين ، وأنـــت مـــا أبكـــاك ؟

أبكـــي قتيــل ألطــفّ فــرع نبيّنــا أكــــــرم بفــــــرعٍ للنبـــــوّة زاكـــــــي

فتظهر الألفاظ الواقع الحسّي ، الذي أعطى الأبيات قدرةَ التعبير الصادق ، وإن كانت العاطفة التي عُبّر عنها ليست بالمستوى الذي يعطي للنصّ دفقاً عاطفيّاً يمكن أن نتصوره ، بوصف أن الرثاء على وجهِ العموم يظهر العواطف الإنسانية بصورة لافتة .

ثمّ يصف بعد ذلك مصرع الحسين (عليه السلام) وكيف تركه هؤلاء القتلة ، الذين لم يراعوا حرمة من ينتسب إليهم ، لذلك راح الشاعر يتوعد القتلة ولاسيما يزيد بن معاوية بالخلود في النار ، لأن شفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لن تناله :[1]

ويـــلٌ لقـــومٍ غـــادروهُ مضـــرجاً بدمائِـــــهِ نضـــواً صــــريع شــــكاكِ

متعفـــراً قـــد مُزّقـــت أشـــلاؤه فريـــــاً بكـــــلِّ مهنــــــدٍ فتّـــــاكِ

أيزيـدُ لـــو راعيــت حرمـــةَ جــدّهِ لــــم تقتـــنص ليـــث العـــرين الشـــاكي

أتـــروم ويــك شــفاعة مـــن جــدّهِ هيهــــــات لا ، ومــــــدبر الافـــــلاكِ

ولسـوف تنبــذ فــي جهــنم خالــداً مــــا اللـــــه شـــاءَ ولات حـــين فكـــاك

(1) نفح الطيب : 7 / 65 0

وعليه فقد حفل النصّ بوجهٍ عام باللغة المباشرةِ ، إذ نجد أن الشاعر كما بينّا يعوض جمال الصورة بعنصر الحوار مع الحمامة ، وهذا الحوار مكتنزٌ بإيحاءات الحزن ، بحيث يقدم إجابات مشحونة بدلالات يمكن أن نفهمها من خلال مقابلة حالِهِ التي هو عليها مع حال الحمامة

مما يكتنز بالعنصر التصويري بصورة غير مباشرةٍ ، وهي صورة ترصد العلاقة بين شيئين تضمنهما الحوار احدهما مباشر والآخر ينسلُّ بخفاء من خلال استعماله الاستعارة والتشبيه .

أما التقنيات الأخرى كالاستفهام مثلاً ، قد حققت نوعاً من الانسجام بين (العاطفة والغرض) من حيث شحن النصّ بدلالات عاطفيّة أخذ سمتها المناسبة في صوغ العبارة الشعرية ليشير مع كل استفهام إلى معنى جديد ، كما نجد التوازن الصوتي المتمثل في (لو كان .. لما طرق) أو (كان روّعك ... لما ضنّت) ، ثمّ يعطف جملاً شعرية بالواو ، على سبيل الإيقاع المتماثل بين العبارات الأول ، كذلك الأمر في حالة الجمل المعطوفة ، ليمنح النصّ موسيقى تتنوع مرّة في الاستفهام في أكثر الأحيان ، فيما يكون مرّة بـ(أ) ومرّة بـ(خبريني) ، ومرّة تتجسّد بوضوح في هذا التقابل اللفظي بين العبارات ، مما يكسبها جمالية ملحوظة . كما أن الأجوبة التي صاغها الشاعر ، قد تناسبت وطبيعة السؤال من حيث مادتها ، لكنّها تضادت من حيث الوظيفة فسلوك الحمامة ينّم عن تناغم مع الطبيعة يميل في كلّ أحوالِهِ نحو الانتشاء ، أمّا سلوكه فينّم عن حزنِهِ على الحسين (عليه السلام) .

وأبو البقاء الرنديّ شاعر آخر من شعراء الأندلس الذين تناولوا مأساة كربلاء في شعرهم فقد (نظم قصيدة طويلة في رثاء الحسين محاولة منه كما قال مضاهاة صفوان بن إدريس وهي

قصيدة مخمسة على حروف المعجم مذيلّة بأعجاز قصيدة لزهير وقد التزم في كلِّ بيتين حرفاً من حروف الأبجدية ابتداء من الهمزةِ وانتهاء بالياء)[1] ، إذ يقول من الوافر :[2]

ليـــومِ الطـــفّ واحربـــا حديـــث تقـــــادم والأســـــى أبـــــداً حـــــديث

فلـــو شـــاهدت مـــا صـــنع الخبيـــث بســـــــادات كأنهـــــــم ليـــــــوثُ

"جرت بيني وبينهم ظباء"

تغيـــرّت الســـماءُ ذات البـــروج ومـــــا فـــي الأرض مـــن زوج بهـــيج

لمـــا فعلـــت بنـــو طلقـــاء هـــوج ألا مهـــــــلاً فللأمـــــــر اللجـــــوج

" وإن طالت لجاجته انتهاء"

نلحظ أنّ الشاعر لا يقدم على وصف تلك المأساة وصفاً مباشراً ، فهو يحاول أن يضفي على نصّهِ الشعري سمة أخرى يتحرى من خلالها تكثيف جوّ المأساةِ من خلال مزج الجوّ العام للمأساة بطابع اكتئاب ذاتي ، يحاول أن يجعله محكماً في كلّ بيتين مع ما يذيلهما بهِ من إعجاز ((تضمينيّ)) مع ملاحظة أنه أحياناً يسلك صيغة التعبير المباشر عن شجوهِ ، معبّراً بصورةٍ مكثفة وبلغة يغلب عليها الوضوح ، كما في قولِهِ : [3]

أمـــولايَ ابـــن فاطمـــة أترضـــى بعبـــــدٍ يبســـــط الوجنـــــاتِ أرضـــــا

يـــؤدي للبكـــاء عليـــك فرضـــا ويقضـــــي نحبـــــه والـــــدين يقضـــــى

---

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، د.عبد السلام الهراس ، مجلة المناهل ، العدد18 ، السنة7 ،1980 ، الرباط ، المغرب 0 296:

(2) م . ن : 297

(1) مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، د.عبد السلام الهراس ، مجلة المناهل ، العدد18 : 229 0

" ثلاث كلهن لكم شفاء"

ونكاد نتفق مع الدكتور عبد السلام الهراس في وصفهِ التذبيل الذي أتى بهِ أبو البقاء الرندي للبيتين المذكورين آنفاً ، أنه لم يكن ملائماً بالقدر الذي يشعرنا بانسيابيّة المعنى على النحو الذي ابتدأ بهِ[1] .

وإذ يبوح الشاعر بمدى ما يلاقيهِ ، فإنّه يبسط المعنى على النحو الذي يعتمد فيهِ الحوار الافتراضي ليعوض بهِ عن الأشكال الصوريّة ، كما في قوله :[2]

أبـــوح بمـــا ألاقيـــهِ أبـــوحُ فهـــل صـــبٌ لـــه قلـــبٌ قريـــحُ

إذا ذكـــر الحســـين لـــه ينـــوحُ فتحكـــي الـــدرّ ادمعـــه الســـفوحُ

"وللدرّ الملاحة والصفاء"

ويستمرّ أبو البقاء في وصف مأساة كربلاء ، إذ يذكر طلب الحسين (عليه السلام) للماء ، لكنّ المارقين عن الدين لم يذيقوه سوى بأسَ الحديد ، وبذلك قتل ظمأً ، إذ يقول : [3]

شـكى المـولى مـن الظمـأ الشـديد علـــى حكـــمِ الضـــرورة للعبيـــد

فأقبـــلَ كـــلُّ شيطـــان مريـــد فـــأورده مـــواردَ مـــن حديـــد

" فألفاهنّ ليس بهنّ ماء "

ويصف في أبيات أُخر حالَ فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي تبكي الحسين (عليه السلام) قائلاً :[4]

---

(1) ينظر : مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، مجلة المناهل ، ع18 : 299 0

(2) م . ن :297

(3) م . ن : 298

(4) م . ن : 298

أيـــا للـــــه مـــن وزرٍ وإفـــــكِ   وفتـــــكٍ قـــد تجـــاوزَ كـــلَّ فتـــكِ

فبنــت المصــطفى ترثــي وتبكــي   وأهـــل يزيـــد فـــي لهـــوٍ وملـــكِ

" حميّا الكأس فيهم والغناء "

وعلى العموم ، إذا تابعنا سائر الأبيات التي تضمنها النصُّ للحظنا أن المعاني التي ترد فيها لا تكاد تخرج في جميع أحوالها إلاّ إلى تلك الأفكار التي تندد بقاتلي الحسين وأهل بيتهِ ﴿عليهم السلام﴾ والتي تبكي قتله . مع ملاحظة مدى استجابة الشاعر لذوق عصرهِ ، الذي يعدّ هذا الضرب من النظم غايةً في البراعة . فالأبيات تعتمد ما هو مألوف من تلك الفاجعة فلا تضببَ في الأفكار التي تدعو إليها ، ولا التواء في الألفاظ ، والعبارات لم تحتج إلى ما يمكن أن يحشده الشاعر من زخارف لفظيّة ومعنوية . وإنْ كان قد ضمّنَ بعض أبياتهِ ألفاظاً قرآنيّة مثل (السماء ذات البروج) و (زوج بهيج) و (شيطان مريد) ، ليولد صوراً تضمينيّة تتناسب مع حجم المأساة التي تعرض لها الحسين وأهل بيتهِ .

والذي يراه الباحث أن هناك نوعين من الرثاء الحسيني : أما الأول : وهو الغالب فالرثاء التقليدي ، وهو الذي ينحو فيهِ الشاعر المنحى العام الذي يسلكه جلُّ الشعراء في رثائهم من حيث تعداد مناقب المرثي وما تركه من حزن في نفس الراثي ، وإن كان الإحساس بالرثاء الحسيني من قبل الشاعر الراثي أكثر صدقاً من غيرهِ . وأما الآخر فهو الرثاء المأتمي الذي يصوغ فيه الشاعر نصّه بصورة يجعل من خلالها مشاعر الآخرين متناغمةً مع مشاعرهِ بالقدرِ الذي يؤدي بهم إلى البكاء ، وهو قريب اليوم من (البكائيات) ، وكأن أبا البقاء الرندي قد نحا هذا المنحى في نصّهِ السابق .

والجراوي شاعِرٌ آخر من الشعراء الذين رثوا الحسين ﴿عليه السلام﴾ ، ومراثي الحسين كما هو معلوم (تقليد شيعي ، ما زال أصحابه يقومون بهِ ويحتلون المنابر لإنشاد قصائده ليلة عاشوراء ، في البلاد المتشيعة ..)[1] وتعدّ قصيدته المخمسة علامة بارزة على شيوعِ هذا النوع من الرثاء تضامناً مع مأساة الحسين ﴿عليه السلام﴾ وإنها تكشفُ في الوقت نفسهِ عن ارتقاء هذا النوع الرثائي ، لأنَّ الأسباب التي أدت إلى تفعيلهِ قد كانت مهيأةً ، والقصيدة طويلة بنيت أبياتها بحسب حروف المعجم وقد انتهى كل بيتين بشطر من معلقة امرئ القيس ، وعلى النحو الآتي ، إذ سنكتفي بذكر بعضٍ منها خشية الإطالة :[2]

خليليّ دعوى برحت بخفاءِ ... ألا أنزلا رحل الأسى بفنائي

وُهُدّا من الصبر الجميلِ بنائي ... قفا ساعداني لات حين عزائي

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

ايترك ربع للرسالةِ سبسبُ ... تجئ بهِ هوجُ الرياحُ وتذهب

ولا تنهي منهِ العيونُ وتكسبُ ... وتظلع أعناق الذنوبِ وتذهبُ

بسقط اللوى بين الدخولِ فحومَلِ

---

(1) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ، محمد بن تاويت ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ، ط2، 1998 : 160/1 .

(2) م . ن : 160/1

دائماًَ الشاعر يحتاج إلى من يعينه ، وكأن الأمر يتكرر ، فجلّ النماذج التي وقفنا عندها تزخر بهذهِ الدعوى ، وذلك لتماثل دلالات الحزن لدى الشعراء ، لذلك كان من المناسب الاستعانةِ بالغير للمؤازرةِ ، على الحزنِ والبكاءِ ، لأن هذا المكان الذي يحدد الشاعر جغرافيته وخصائصه القدسيّة لا يمكن أن يترك هكذا دون أن تبلى عليه العيون ، إنّه مكان الرسالة والوحي ، ولا بدّ من حشد الحزن تأديّةً للحقّ الذي له : (1)

ديار الهدى بالخيفِ والحجراتِ ... إلى ملتقى جمعٍ إلى عرفاتِ

مجاري سيولِ الغيم والعبراتِ ... معارف هديّ أصبحت نكراتِ

لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ

ويستمرّ الجراوي إلى أن يصل إلى ذكر لوعتهِ وتأسيهِ على الحسين (عليه السلام) حيث يطفح الحزن ، فيشخصه الشاعر ، لأنةّ يحاوره ، ويطلب منه تملك فؤادهِ ، فيقول :(2)

أقول لحزنٍ في الحسين تأكدا ... تملك فؤادي متهماً فيهِ ومنجدا

ولو غير هذا الرزء راح أو اغتدى ... لناديته قبل الوصول مرددا

عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

سهام الأسى هذا فؤادي فانفذي ... ففي ألمي بعد الحسين تلذذي

ومن عبرتي والثكل أروي واغتدي ... ويا مقلتي من أن تشحّي تعوّذي

ولا تبعديني عن جفاكِ المعلل

---

(1) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى : 160/1 .

(2) م0ن : 161/1 .

وإذ تعبر تلك الأبيات عن تأسٍ حقيقي على ما حلّ بالحسينِ وآلِهِ ، فإنها في الوقت نفسهِ تتفجر غنائيّة حزينة ، لتعبر عن عمق المأساة وانعكاسها لدرجة يصل الشاعر إلى قناعة تامّة إلى استنفار كلّ دلالات الحزن ، ولأن ما يقدمه هو إزاء ما حصل للحسين وأهل بيتهِ قد لا يبدو في كلّ الأحوال إلاَّ كونه تعبيراً عن دين يؤدى ، فدماء الحسين سفكت وسيق آله أسرى ، فكان حرياً أن تكون كربلاء وما وقع فيها ، تثير الأسى والتفجع :(1)

نجيع حفيد المصطفى كيف يسفك ورق بينـــهِ بعـــده كيـــف يمــــلكُ

فيـا كربــلا والكـرب لــي متمــلكُ ليكفيـــك منـــيّ أن ذكـــرك مهلـــكُ

وانك مهما تأمري القلبَ يفعلِ

رويـتم وضـجّ السبط فـيكم تعطشـا فســـقيتموه ظالميـــن دمَ الحشـــا

ألا ربّ حقــدٍ فــي صــدوركم فشـا فـــأعزيتم للصـــارمِ العضـــبِ ارقشـــا

بـجيد معمٍ في العشيرةِ مخولِ

لانــتحلنَ الــدهرَ حــبّ بنــي علــي واتلـــوا مـــراثيهم علـــى كـــلّ محفـــلِ

عسـى جـدّهم يـوم الجـزا يمـدّ لـي بغفـــر الـــذنوب راحـــة المتفضـــلِ

فاظفر بالرحمى من الملك العلي

والقصيدة بتمامها تجري على وفق ذلك المنوال الذي يبثّ الشاعر من خلاله تأسيهِ وتذمره من الذين قاتلوا آل رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، ولم يراعوا حرمة جدّهم ، ثمّ في نهايةِ النصّ

(1) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى : 1/161 - 162 0

أنّه سيبقى محّباً لآل عليّ ، وانه سيبقى ذاكراً لمصيبتهم عسى ان يمدّ له الرسول الكريم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ يد الشفاعة يوم الحساب .

فنيّاً هناك سمات تبدو مشتركة لدى الشعراء الذين تناولوا مأساة الحسين ﴿عليه السلام﴾ بغض النظر عن طريقة أداءِ كلٍّ منهما ، فالألفاظ التي تناولها النصّ هي في العادة لا تختلف عمّا سواها : (فالحسرة ، والتفجع ، والبكاء) هي ذاتها ألفاظ الحزن لدى الآخرين ، ثمّ ألفاظ الأعلام (محمد ، علي ، وفاطمة ، والحسين ، وآل حرب) تمثل ذلك الصراع القائم بين قوى الخير وقوى الشر ، وكان لأسماء المكان : (و الطف ، وكربلاء ، والخيف ، وعرفات) دلالة منحت تلك الحادثة خصوصيّة . إنَّ هذا النموذج على الرغم من اعتماده القليل على العنصر الصوري إلاَّ إن عبارته إنمازت بالتأثير العاطفي في المتلقي ، زيادة على التلوين الأدائي كاستعمال النداء كما في قولِهِ :[(1)]

سهام الأسى هذا فؤادي فانفـذي ففـــي ألمـــي بعــد الحســين تـــلذذي

ومن عبرتي والثكل اروي واغتدي ويـــا مقلتـــي مـــن أن تشــحيّ تعــوذي

ولا تبعديني عن جناك المعلل

والاستفهام كما في قوله :[(2)]

ايتــرك ربــع للرسالـــة سبســب تجـــئ بـــهِ هـــوج الريـــاح وتـــذهب

ولا تهنمــي فيــه العيــون وتسـكب وتظلـــع اعنـــاق الـــذنوب وتـــذهب

بسقط اللوى بين الدخولِ فحوملِ

(1) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى : 1/161 - 162 0

(2) م . ن : 1/160 .

أمّا موسيقيّاً ، فالإطار العام للنصّ هو البحر الطويل ، والقافية المتنوعة جاءت على وفقها الأبيات المخمسة بعجر أبيات معلقة امرئ القيس ، كان لها دورها الأدائي المتميز في أغناء موسيقى النصّ .

وليوسف الثالث ملك غرناطة قصيدة في بكاء الحسين (عليه السلام) على وزن مجزوء الرمل ، يقول فيها : (1)

ضــــحكت لمّـــــا رأتنــــــي	**نـــــاحلاً قـــــد حـــــال لـــــوني**
ســــــاهراً ليـــــــــل	**ناشـــــــداً بـــــالخيف دينــــــــي**
جيـــــــــرةً أودوا بقلبـــــــــي	**يـــــــومَ حلّـــــــوا العلمـــــــين**
فلهـــــــــم منّـــــــــي ولاءٌ	**واعتقـــــــــادٌ دون مــــــــين**
لهــــف نفســـــي لـــــو شـــفائي	**عــــــنهم عــــــضّ اليـــــــدين**

على وفق تلك الشاكلة يبدأ الشاعر نصّه ، واصفاً حاله عقب فراقِ من أعلن لهم ولاءه واعتقاده ، فكل ما بهِ لا يشفي شوقه ، حتّى لو عضّ اليدين ، لأنهم قد نأوا عنه ، لذلك نراه يستغيث السماء لكي تبكي معه : (2)

(1) ديوان ملك غرناطة (يوسف الثالث) ، تحقيق : عبد الله كنون ، تطوان ، معهد مولاي الحسن ، د . ط : 166 ، 1958 .

(2) م . ن : 167 .

ســــــاعديني يـــــا ســـــماء　　بـــــــــــدموعِ المــــــــــرزمين

كــــــربلا هـــــيج كربـــــــي　　وحســــــــين أصـــــــل حـــــــينِ

بعـــد صـــيف الطـــف تطفـــي　　لـــــــوعتي ادمـــــــع عـــــــينِ

بـــــأبي مــــــنهم وجــــــوه　　قُدّســــــت عـــــن كــــلِّ شـــــينِ

أشـــــعروا المـــوت جهــــارا　　وثــــــــووا كالفرقــــــــــدينِ

كيــــــف أنســــــى وحيـــــاتي　　بعـــــــد نــــــور النـــــــاظرينِ

ويستمرّ يوسف الثاني بتبيان وجوهِ هذه المأساةِ فـ(كربلاء ، والحسين ، والطف) تلك الثلاثيّة ، كانت الركيزة الأساس لهذا الحزن ، هذا ما لحظناه لدى الشعراء السابقين فالاستنجاد بالسماء ، واللوعة التي لا تنطفئ بدموع الأعين ، هي العلامة الفارقة في كلّ النصوص السابقة كذلك الرؤية التي يراها الشاعر في وصفِهِ لأهلِ البيت ﴿عليهم السلام﴾ بأنهم : (مقدسات وجوههم عن كلِّ شينِ) و (ثووا كالفرقدين) ، قد تعطي صورة صادقة وجدانيا دون من أدنى شكّ فلامراء ، لأنهم آل بيت رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ويقول أيضاً :[1]

(1) ديوان ملك غرناطة : 167 0

آلُ حـــــــــربٍ وزيـــــــــادِ خطـــــــبهم لـــــــــيس بهـــــــينِ

قطّعـــــوا بالســــــمّ قلبـــــــي ثــــــــمّ ثنـــــــوّا بــــــــالردينِ

وبـــــــدور مـــــــن بيـــــــنهم صـــــــرعوا مـــــا بـــــين ذيـــــنِ

بعــــــدهم أهنـــــأ بعــــــيشٍ أو أرى قريـــــــــــرَ عـــــــــينِ

يـــــا خلـــــيّ القلـــــبِ هـــــلاّ بـــــان عـــــن حينـــــك حينـــــي

لـــــــــــــــــيس .... يـــــــوم عـــــــرض الثقلـــــــين

وأنـــــا الشـــــيعة حقّـــــا .... وحســـــــــــــــــــينِ

و ... قـــــــيس وســـــــعد يـــــــوم بـــــــدرٍ وحنـــــــينِ

فعلـــــــيهم صـــــــلوات شـــــــــــــــفعت ....

ليكشف تلك المأساة المهولة ، فما قام بهِ آلُ زياد ضد الحسين وأهل بيتهِ ، عكس مظلومية آل البيت وبصورة أفصحت عن عمقٍ ينبض بحقائق إنسانيّة استلهمها الشعراء ، فشكلت تراثاً إنسانيّاً عاماً . فبين قتيل مضرجٍ بدمِهِ ومسموم يتقيأ أحشاءهُ ، غيّبت تلك الوجوه ، لذلك فالشاعر لن يهنأ له عيش ، ولن يرى قريرَ عين . على أن الأبيات الأخرى لم تكن تامّة لكي يتضح معناها .

تبدو لغة النصِّ بسيطة ، إذ تعتمد المباشرة في تناول الفكرة من دون اعتماد على العنصر الصوري ، وبطرح عفوي مترسل (فالفن لا تنحصر فاعليته في صياغة الصورة وتوليدها ، بل تلعب الغنائيّة ، وانتقاء العبارة ، وتركيبها ، وإحكامها ، وإيقاعها بعامة : دورا كبيراً في جماليّة الفن) (1) ، حفل النصّ بوجهٍ عام بألفاظ الأعلام ، والمكان :

---

(1) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي : 573 .

* آل حرب . * العلمين .
* آل زياد . * كربلاء .
* حسين . * بدر .
* قيس . * حنين .
* سعد . * الخيف .
* الطف .

لتسحب آثارها على النص ، فتطبعه بسمات ذات أبعاد دينيّة وتاريخية ، قد تشكلت تلك المأساة في ضمن إطارها العام ، ووهبت لها خصوصيّة الإحساس بانعكاس تداعياتها في النفوس .

وقد يحفّ الأبيات العنصر الصوري العابر كما في : (عضّ اليدين) و (ثووا كالفرقدين) و(اشعروا الموت جهارا) و (قطّعوا بالسمّ قلبي) و (ثنوّا بالردين) . فضلاً عن احتفاظها بالعنصر الإيقاعي المتمثل بوجهٍ عام في الوزن والقافية ، حيث كان لمجزوء الرمل دوره الوافر في أغناء النصّ بإيقاعيّة تنسجم مع الصدق الوجداني الذي يحاول الشاعر أن يبثّه في ثنايا نصّه .

وبناءً عليه رأينا فيما مضى أن رثاء الحسين بن علي (عليه السلام) كان شائعاً في الأندلس وعلى وجه العموم بعد سقوط دولة بني أميّة التي كانت تضيق الخناق على الشيعة وتدعو بالثبور على كلّ من يناصر أهل البيت أو يجاهر بحبهم ، وعليه أمكن ملاحظة الآتي :

1. عبّر الشعراء الذين تناولوا مأساة الحسين (عليه السلام) عن عواطف متباينةٍ في تأثرها لكنّهم استلهموا تلك المأساة بوجدانٍ صادقٍ ، وبدموعٍ متأججة بنار الحقد على قاتلي الحسين (عليه السلام) .

2. تبيّن لنا أن الشعراء قد خصّوا تلك المناسبة بقصائد خاصة بها ، إلاّ ما وجدناه لدى بعض الشعراء من أمثال ابن عبدون ، الذي ذكر مقاتل أهل البيت (عليهم السلام) عرضاً .

3. دارت الألفاظ التي تناولها الشعراء في ضمن نطاق ، البكاء والتفجع مع توشيح نصوصهم بالألفاظ القرآنيّة التي تلون النصّ . بلون قدسي يفصح عن المكانة القدسية للحسين (عليه السلام) .

4. كان البكاء الوسيلة المعول عليها في معظم النصوص ، فكان الشاعر يتمنى أن يكون دمعه دماً ، وإذا ما بكى فما دعوى انسكاب الغيث ، إلى غير ذلك من صور المبالغة التي تعبّر عن تأسٍ وحزنٍ حقيقيين على الحسين وأهل بيتهِ .

5. لم تظهر الأبيات عقائد الشيعة ، والذي ظهر ما هو إلاّ حزن قد يشعر بهِ تجاه تلك المصيبة كلّ مسلم شريف . وأظهرت الأبيات دوراً جديداً يتنفس فيه أدب بكاء الحسين بصورة تبدو غير اعتيادية نتيجة الملابسات التي كانت سائدة في الأندلس آنذاك ، والتي برهنت على أن الأمويين كانوا ألدّ أعداء أهل البيت (عليهم السلام) .

الشعر السياسي

كان للشيعة منذ تكونهم دور مهم في بناء الفكر السياسي الإسلامي ، إذ حاولوا جادين الالتزام بوصية رسول الله ﷺ بتولية علي بن أبي طالب عليه السلام خليفةً له ونائباً بعد وفاتهِ ، لما لعلي عليه السلام من مكانة قد رسخها الرسول الأعظم وآتت أُكلها يومَ بيعة الغدير 0 ولمّا لم تجر الأمور كما قد قدّر لها ، كان من الطبيعي أن يبقى الشيعة سائرين ، ضمن ثوابت اختطها تفكر مسؤول فبويع أبو بكر بالخلافة ، فكان لعلي عليه السلام وأصحابه موقف لكنّ الضرورة أملت عليهم فسايروا الأمر [1] وقال في ذلك الشأن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، من البسيط [2] :

ما كنت أحسب أن الأمرَ منتقلٌ ... عن هاشمٍ ثم عن أبي حسنِ

أليس أوّل مَنْ صلىّ لقبلتهم ... وأعلم الناسِ بالآيات والسُننِ

وآخرُ الناس عهداً بالنبيّ ومن ... جبريلُ عونٌ له في الغسلِ والكفنِ

ماذا الذي ردكم عنه فنعلمهُ ... ها أن بيعتكم من أوّل الفتن

وعلى النحو الذي أصبح فيه أبو بكر خليفة ، جاء عمر بن الخطاب خليفة ، وعثمان بن عفان الذي أطاحت به فتنةٌ ، انشق على أساسها المسلمون ، فتمرد معاوية يحارب عليّاً ، وخرج أصحاب الجمل للطلب بدم الخليفة المقتول ، وعلى وفق ذلك ما جت الدولة العربيّة الإسلاميّة بحروب وفتن ، انتهت ملابساتها بمقتل علي

([1]) ينظر فجر الإسلام ، احمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط2 ،1935 ، 1 /311 0

([2]) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 : 21/6 0

﴿عليه السلام﴾ [1] ، وكان من بعدهِ الحسن ﴿عليه السلام﴾ الذي سلم الخلافة لمعاوية بناءً على مواثيق وعهود لدرء الفتنة عن المسلمين على أن تعود الخلافة إليهم ثانية [2] ، ثم انتهى الأمر بقتل الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾ أبشع قتلة [3] ، مما أثار حفيظة بعض الشيعة الذين خذلوه في حربه مع يزيد ، فشكل هذا الحزب حركة تمرد صدامي ، محاولاً الأخذ بثأر الحسين ﴿عليه السلام﴾ فاحتدم الصراع مع السلطة الأموية التي حاولت كبح جماح أيّة حركة تحاول الخروج عليها ، وحسب خروج زيد بن علي بن الحسين ﴿عليهما السلام﴾ دليلاً على ذلك [4] 0

وتنتهي الدولة الأموية في المشرق ، ويتلون المشهد السياسي بصبغة الانتصار لآل محمد[5] ﴿عليهم السلام﴾ ، ولمّا تمّ الأمر على وفق ذلك حادّ العباسيون الذين تذرعوا بذلك عن تلك الوجهة وابتدأ حكم أسوأ من أن يذكر فبلغ بنو العباس شأواً في تعسف آل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ومشايعيهم ، لم يرتق إليهم الأمويون ، وما حصل بوقعة فخ للحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب شاهدٌ على ذلك [6] 0

وعلى هذا النحو بقي الصراع سائداً يشتعل مرّة ويخبو أخرى وفي هذه الأثناء ظهرت بوادر دولة شيعيّة في المغرب ألا وهي الدولة الفاطميّة وهي كما معلوم لدينا دولة شيعيّة قد بينا الأسباب التي دعت إلى نشوئها واتساع سلطانها ، مما بات يقلق الأمويين اللذين اتخذوا

([1]) ينظر: تاريخ الطبري : 143/5 ، وينظر : المقاتل الطالبيين : 22 ، وما بعدها 0

([2]) ينظر: تاريخ الطبري : 158/5 ، وما بعدها ، وينظر: مقاتل الطالبيين : 33 ، وما بعدها 0

([3]) ينظر: تاريخ الطبري : 5/ 400 ، وما بعدها وينظر: مقاتل الطالبيين 0

([4]) ينظر: م 0 ن : 88 ، وما بعدها 0

(5) ينظر: الدعوة العباسية مبادئ وأساليب ، د0 حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت : 93/1 0

(6) ينظر : م 0 ن : 279 ، وما بعدها 0

الأندلس دار حكم لهم في المغرب العربي وفي الشرق هاج قلق العباسيين ، إذ كانت تلك الدولة الناشئة ذات اتجاه ديني سياسي في آن معاً 0

مما ولد بينها وبين هاتين الدولتين صراعاً ذا طابع سياسي فكري انعكس أثره بعد انعكاسه على الحياة على الأدب بوجهٍ عام والشعر منه بوجه خاص ، بعد أن قوي نفوذ تلك الدولة وحققت ما حققت من انجازات سياسيّة ، و لا سيما حينما سيطر الفاطميون على مصر ، مما أقضّ مضاجع الدولة العباسيّة ، ومن جهة أخرى كان الفاطميون يهددون حدود الدولة الأمويّة في الأندلس ، مما جعلهم يخوضون معهم صراعات كثيرة [1] ، وإذ نحن نتناول الشعر السياسي ، فإننا لم نجد سوى ابن هانيء الأندلسي الذي اقترن زمن وجوده بجملة من الانتصارات السياسيّة والفكرية في زمن الخليفة الفاطمي الرابع (المعز لدين الله) الذي قد لبىّ الطموح السياسي في شعره ، وكان العباسيون والأمويون هما المرمى الذي يقرطس فيه الشاعر سهامه ، منافحةً عن الحق الشرعي لآل البيت في الخلافة ، مدعياً أنهم الأولى في تولي ذلك الأمر ، لقد حاول ابن هانيء أن يمثل صورة هذا الصراع ـ السياسي و المذهبي ـ التي اتسم بها القرن الرابع الهجري ، فالشيعة هم أعداء للعباسيين والأمويين ، لذلك كان لابد لكلِّ طرف من الانتصار لرؤاه ، لأن تلك الأمور لا ينظر إليها إلاّ من وجهة نظر تقتات على العواطف ، فالعباسيون ناصبوا العداء للفاطميين وطعنوا في صحة انتسابهم لآل بيت النبيّ ﷺ ، لذا كان لا بد للفاطميين من أن يقفوا موقفاً معيناً

---

(1) ينظر : دولة الإسلام في الأندلس : 429 - 430

وما كان اشد نقمة العباسيين حينما نافسهم الفاطميون على مصر ، لذلك راح يقول فيهم ابن هانيء :[1]

تقول بني العباس هل فتحت مصر	**فقـل لبنـي العبـاسِ قـد قُضـي الأمـرُ**
وقـد أشـرقت خيـلُ الإلـه طوالعـاً	**علـى الـدين والـدنيا كمـا طلـع الفجـرُ**
وذا ابـن نبـي اللـه يطلـبُ وتـرهُ	**وكـان حـرٍ أن لا يضـيع لـه وتـرُ**
فكونـوا حصيداً خامدينَ أو ارعووا	**إلـى ملـك فـي كفّـه المـوتُ والنشـرُ**
وإلاّ فبعـداً للبعيـد فبينـهُ	**وبيـنكم مـا لا يقرّبـه الـدهرُ**
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم	**تنـزلت الآيـات والسـورُ الغـرُ**
بنـي نتلـةٍ مـا أورثَ اللـه نتلـةً	**وما نسلت ، هل يستوي العبدُ والحرُّ ؟**
وأنـى بهـذا وهـي اعْـدَتْ برقِّهـا	**أبـاكم فإيـاكم ودعـوىً هـي الكفـرُ**
ذروا النـاس ردّوهـم إلـى مـن	**فمـا لكـم فـي الأمـرِ عـرفٌ ولا نُكْـرُ**
يسوسـهم	

هذا المقطع من قصيدة قيلت بمناسبة فتح مصر من قبل الفاطميين بقيادة جوهر قائد جيش المعز ولعل ابن هانيء حينما يقدم على إبداء ما في نفسه يستثمر الجانب الوجداني عند المتلقي وليحدثه بتلك الكيفيّة التي تعزز بين السياق النصيّ وبين الواقع الموضوعي الذي استفزَ وجدان الشاعر ، ويلجأ أحياناً إلى ما يسمى ((بالحوار الافتراضي)) تعزيزاً لأدائيّة النصّ من دون اعتماد على أي نوع من المقدمات التقليدية ، رجاء الاستضاءة بالأساليب الأدائيّة ، وأنه في الوقت ذاتهِ يقدم المسوغ الذي يجعل كفّة ممدوحه راجحةً في وضعهِ في مقايسة يمثل فيها ، بين ما عليهِ ممدوحه وبين الحال الذي وصل إليه العباسيون ، بعد فتح

([1]) ديوان : 131 - 132 0

مصر فخيل الإله يقودها المعزّ ، لأنه يطلب وتراً والأحرى بهذا الوتر أن يؤخذ اليوم لأن العباسيين اغتصبوا حق آل البيت في الخلافة بعد ما دعوا في ثورتهم على الأمويين بالخلافة لبني عليّ ﴿عليه السلام﴾ ، فلما تمّ لهم الأمر حادوا عن الذي قالوا بهِ ، وهنا يتساءَل الشاعر أيّ حق بتلك المنزلة ، أأبناء علي ﴿عليه السلام﴾ أم أبناء نتلة الأصل نُتيلة وهي أُمّ العباس جد العباسيينِ ، وهل أنّ ما نزل من القران كان في حقهم أم في حقّ آل الرسول ؟ لذلك يرى أنَّ الحق قد عاد إلى أصحابه ، لأن تلك الدعوى التي أدعاها العباسيون هي أشبه بالكفر ، فلا عرف لديهم اليوم ولا نكر ، لأن المعزّ لدين الله قد أعاد الحق إلى نصابه ثم نلحظ الشاعر في أبيات أخر ، وهو لم يزل يسأل بني العباس في أن يبينوا للناس هل أنهم هم الأحق بهذا الأمر ، أم غيرهم ، وعلى نحو يحاول الشاعر خلاله أن يعبر عن أفكاره بموضوعيّة ، خاضعة للسياق من حيث بساطة الأداء ومن حيث توضيح أدق واشمل ، يكشف من خلالِهِ هذه الموازنة التي تبدو في أغلب أحوالها معتمده على منحى فكري يتصل بالدور الذي اضطلع به بنو العباس في محاربة آل البيت ومن يتشيّع لهم ، وليكشف انعكاسات هذا الصراع من خلاله هذا التساؤل المؤثر الذي افتتح به النصّ ، ثم يضعهم إزاء الواقع ليبين لهم أن يأتوا بشهودهم ، ليعرف من أحق بهذا الأمر [1] :

([1]) ديوان ابن هانيء : 133 0

فجيئوا بمن ضمت لُؤيُّ بن غالب وجيئـــوا بمـــن أدّت كنانـــة والنضـــرُ

ولا تّـــذروا عليّـــا معـــدٍّ وغيرهـــا ليعُـرَفَ مـنكم مـن لـه الحـقّ والأمـر

ألا تكلـم الأرضُ العريضـةُ اصـبحتْ ومـا لبنـي العبـاس فـي عرضـها فِتـرُ

فقـــد دالـــت الـــدنيا لآلِ محمّـــدٍ وقـــد جـــرّرتْ أذيالهـــا الدولـــةُ البكـــرُ

إن الأسباب التي ذُكرت آنفاً تجعل أمثلة هذا النسيج الشعري تتجدد مع كلّ ما يمكن أن يكشف تلك الحقائق ذات الخطورة بالنسبة للبعد السياسي الذي يظلّ فيه الشاعر ملتزماً من دون أن يعد هذا الشعر ذا نزعه عدوانية باتجاه الطرف الآخر بقدر ما يؤدي إلى الاستدلال على أصالة المسألة التي يثيرها بحيث يغدو هذا الهجاء مشروعاً في الدفاع عن الحقيقة ، لأن السكوت على الظلم مشاركة فيه ، وبهذا المعنى يكون التغيير الذي يقتضيه هذا التحول تغييراً شاملاً ، فإعادة الحق إلى نصابه لا يستلزم فقط صرخة احتجاج ، وإنما يحتاج ضربات موجعة تنشر راية تلك الإمامة العادلة ، كما يرى الشاعر

ويبدو لنا أنَّ ابن هانيء يعد من أهم الشعراء الذين ناصروا الفاطميين بحيث جسدَ في نتاجه ملامح ذات أبعاد فكريّة قد فرضت فاعليتها على هذا العصر ، منطلقاً من مشروع فكري استمد صيرورته من هذا الإيمان الراسخ ، والطابع السلوكي للشخصيّة الملتزمة التي تحاول أن تبرز ما تؤمن به بموقف التزامي 0

تتحكم فنية النص السابق إلى مجموعة من السمات التي تضفي أبعادها على النص 0

فقد تكون اللغة المباشرة ، مصاغة بإحكام لترصد الظواهر التي يريد الشاعر طرحها في نصّهِ من دون تأكيد على العنصر الصوري ، ففي النموذج السابق نلحظ أن الشاعر لم يعتمد عنصر التصوير ، إذ لجأ إلى اللغة المباشرة ، ففي بداية نصّه يعتمد الحوار في جعله منطلقاً

يستطيع أن يتعامل من خلاله مع الموقف ، فضلاً عن ذلك فانّه يوشح أداءه بعناصر لغويّة ، ذات أثر مهم في صوغ العبارة كالجناس والطباق : (بعداً ، للبعيد) و (طوالعاَ ، وطلع) و (وتره ووتر) وقد لا يأتي الجناس في كلِّ الأحوال مطابقاً إذ قد يأتي ناقصاً ومن الطبيعي أن يكون وروده هو والطباق عنصراً تزويقياً ، ولكن من دون أدنى شك تكون له ايجابية يتطلبها السياق ، والطباق (عرف ونكر) و (الموت والنشر) 000 الخ ، كما أنّ الأثر الإيقاعي الذي يمكن أن يتضمنه هذان العنصران له أثره الواضح الذي نستطيع أن نلتمسه في النصّ 0

كذلك الصيغ التضمينية القرآنية كان لها دورها في أغناء النصّ حيث يشكل رافداً مهماً بحيث يعوض الصورة التشبيهية والاستعارية والرمزيّة ، إذ يأتي بصورة متكاملة الأبعاد تفرض وجودها على النصِّ ، وكأنها جزء لا يتجزأ عنه كما في : (حصيداً خامدين) و(هل يستوي العبدُ والحرّ) و (قضّي الأمر) ، فكانت المزاوجة بين الحوار والتضمين تنطلق لرصد الظواهر السلبيّة والايجابيّة التي تتحرك في ضمن إطار المقابلة بين سلوك العباسيين وبين سائر القيم التي ينماز بها ممدوح الشاعر 0

وشكلت أسماء الأعلام : (ابن نبي الله ، وابن أبي السبطين ، وبني نتلة) طرفي الصراع ليقابلها الشاعر بأسماء أخرى (لؤي بن غالب ، وكنانة ، والنضر ، وعليا معدٍّ) محتكماً من خلالها إلى تأكيد اخباراته ، فضلاً لما تلك المسميات من رصيد موضوعي للفكرةِ التي يتبناها الشاعر 0

إيقاعياً لا ننسى في كل حال من الأحوال ما للوزن الشعري والقافية من دلالة موسيقية عالية الأداء ، فكان وزن الطويل مهيئاً لاستقبال طروحات الشاعر بكثافتها الموضوعيّة ، كذلك صوّر الإيقاع الداخلي المتمثل بتنوع العبارة وباستعمال الجناس والطباق ، وكما مثلنا

لهما سابقاً ، أفكار الشاعر ليقدم دلالة مشحونة ، اكتنز النص على أثرها بالعنصر الموسيقي 0

وعلى وفق ما ذكرناه تبقى رؤية الشاعر للعباسيين في قوله [1]:

أبنـــاء نتلـــةَ مـــا لكـــم ولمعشـــر ... هـــم دوحـــة اللـــه الـــذي يختـــارُ

ردّوا إلـــيهم حقهـــم وتنكبـــوا ... وتحملـــوا فقـــد اســـتحمّ بَـــوارُ

ودعوا الطريق لفضلهم فهم الأُلى ... لهـــم بمجهلـــة الطريـــق منـــارُ

كـم تنهضـون بعـبءِ عـار واصـمٍ ... والعـــار يـــأنفُ مـــنكُمُ والنـــارُ

يلهـــيهمُ زَمـــرُ المثـــاني كلّمـــا ... ألهـــاكُمُ المثنـــيُّ والمزمـــارُ

تلتزم السياق الذي تحرك على وفقه ، إذ يغتنم كلّ مناسبةٍ ليسبَّ بها العباسيين ، ويعمد على إيذائهم بنسبهم إلى (نتله) أم العباس جدّهم ، فهذه الاستثارة تجعل هؤلاء الذين بدا ملكهم يتضاءَل عاجزين عن كلِّ شيء ، فيطلب منهم أن يتجنبوا ويرتحلوا بعد إعطائهم حق أسيادهم لأن الطريق التي يسلكونها هي ليست طريقهم ، لدرجة أنهم لم يستطيعوا إلاَّ اكتساب العار الذي يأنف منهم ، فهم رجال لهو وطرب ، والذين جحدوا حقهم قد شغلوا بتلاوة آي القرآن الكريم ، لذلك كان استبداد بني العباس بالسلطة ونزوعهم نحو استبدال القيم الإسلاميّة التي يجب أنْ تأخذَ أبعادها الحقيقيّة ، بقيم تقوم على العنصرية والاستئثار بكلِّ الأشياء ، فالشاعر يحاول من خلال ذلك نقد الأوضاع المنحرفة على كافّة المستويات إلى ما هو عبثي ، وظلامي كما في قولته[2] :

---

(1) ديوان ابن هانيء : 151 0

(2) م0ن : 322 - 323 0

وللملــك فــي بغــداد أن رُدّ حكمــهُ ... إلــى عضــد فــي غيــر كــفّ ومعصــمِ
إلــى شــلوِ ميــتٍ فــي ثيــاب خليفــةٍ ... وبضــع لحــامٍ فــي إهــابٍ مــورمِ
لــم يكــن العبــد اللئــيم بخــارهُ ... مــن هــو مــن أهــل العــراقِ بــألآمِ
كــان قــد كشــفت الأمــر عــن شــبهاتهِ ... فلــم يضــطهد حــق ولــم يتهضّــم
وفــاض دمامًــدُّ الفــرات ولــم يجــز ... لــــوارده طهــــرٌ بغيــــرِ تــــيممِ
فــلا حملــت فرســانُ حــربٍ جيادُهــا ... إذا لــم تــزرهم مــن كميــت وأودهــمِ
ولا عــذب المــاء القــراح لشــاربٍ ... وفــي الأرض مروانيّــة غيــر ايــمِ
ألا إن يومــــاً هاشــــميّاً أظلهــــم ... يطيــر فــراش الهــام عــن كــل مجــثمِ
كيــوم يزيــد والســبايا طريــدة ... علــى كــلِّ مــوارِ المــلاطِ عثمــثمِ

المهم لدى الشاعر ، ولدينا أن نحضى بهذا الأداء الذي ينسجم مع التطلعات التي تهيئ المجال لتنوع الطرح الذي يمثل بلورة لأفكار التزاميّة ، وان كانت مشفوعة بأبعاد سياسيّة تطمح لتحقيق نوازعها بأي شكل من الأشكال 0

فالشاعر في نصه السابق يربط بين أخلاق الراعي وأخلاق الرعيّة ، فالأمر سيان فأنعام النظر في سلوك السلطة المنحرف ، يحدو بالشاعر إلى أن يعلن الحرب الشعواء التي لا تبقى ولا تذر، ويعلن أن اليوم الذي سوف يأتي عليهم ، كيوم يزيد الذي نكلّ فيه بالحسين وأهل بيته ﴿عليهم السلام﴾ 0

يبقى انفتاح هذه الرؤية على مثل هذه الأساليب يمدّ الشاعر بالقدرة على إخضاع القصيدة لمعمارية معينة تستمد إحكامها من تنوع الأداء مع ما يصاحبه من صدق فكري ووجداني 0 والذي يتضح لنا من النصين السابقين أن اللغة التي يخط بها الشاعر رؤاه الفكرية والوجدانية لغة تهجميّة عنيفة يتطلبها سياق عاطفي تجاه ما يؤمن به ، وتتحدّد ألفاظ النص الأول بمثل :(عار واصم ، يأنف العار منكم ، والنار) يقابلها ايجابيّة مستحقة للطرف الآخر (دوحة الله ، يلهيهم زمر المثاني) ، لتحقق تلك المقابلة مساحة يشحذ فيها سيف كلماتِهِ ، كذلك النص

الآخر ، الحال تأخذ بعداً آخر، جانب السلب يتخذ ، مسارين (أبناء نتلة) و (بنو مروان) لتكون نقمة الشاعر مزدوجة ، وبلغة يغلب عليها الانفعال راح يتمنى لهم يوماً كيوم يزيد 0 كذلك كان احتفال النص بالصورة ، قد جعل الطبيعة الفجّة للعباسيين والأمويين تأخذ بعداً أكثر بشاعة كما نلاحظ ذلك في : (عضد في غير كفّ ومعصم) و (بضع لحام في إهاب مورم) و (فاض دماً مدّ الفرات) و (يطير فراش الهام) و (السبايا طريدة) ، لتتضح انعكاسات الواقع في تلك الصور ، لهذا كانت ثورة ابن هانيء على هؤلاء شديدة النقمة 0

إيقاعياً الوزن الشعري ، ذو دلالة إيقاعية يستحوذ تأثيرها على مجمل الإيقاع ولا شك في أنَّ دور القافية ذو أهميّة بالغة ، لأن أبعادها الإيقاعيّة هي الأخرى تجعل من الأثر الإيقاعي يأخذ تلك الوقفات اللازمة ، ويكون أثر القافية مزدوجاً ، إيقاعاً ومعنى ، إذ جاءت وقد استدعاها سياق النص ، وكان لوزن الكامل في النصّ الأول وبقافية الراء المضمومة ، ولوزن الطويل وقافية الميم المكسورة في النص الثاني ، أدائية استلزمها كلّ موقف حسب حاجته ، ومن هنا ، نرى أنَّ انفعالية الشاعر في النص الثاني الزمته أن يعبرّ عنها بأكثر عدد من الألفاظ ، لذلك آثر البحر الطويل لتوافره على عدد كبير من المقاطع الصوتية ، التي تهيئ مساحةً كافية للكشف ، وكانت القافية هي الأخرى ذات امتداد كافٍ سحبت أثرها على الوزن الشعري ، إذ لم تأت في اضرب تلك الأبيات إلاّ مقبوضة 0

وعلى الشاكلة نفسها نلحظ قوله [1] :

([1]) ديوان ابن هانيء : 356 0

أبنـــي لـــؤي أيـــن فضـــل قـــديمكم	**بـــل أيـــن خلـــمٌ كالجبـــالِ رصـــين ؟**
نـــازعتم حـــق الوصـــيّ ودونـــه	**حـــــرَمٌ وحجـــــر مـــــانع وحَجـــــون**
ناضـــلتموه علـــى الخلافـــةِ بـــالتي	**ردّت علـــــيكم حـــــدُّها المســـــنونُ**
لـــو تتقـــون اللـــه لـــم يطمـــح لهـــا	**طـــرفٌ ولـــم يشـــمخ لهـــا عـــرنين**
لكـــنّكم كنـــتم كأهـــلِ العجـــل لـــم	**يحفـــظ لموســـى فـــيهمُ هـــارونُ**
مـــاذا تريـــدُ مـــن الكتـــابِ نواصـــبٌ	**ولـــــه ظهـــــورٌ دونهـــــا وبطـــــونُ**
هـــي بغيـــة اضـــللتموها فـــارجعوا	**فـــــي آلِ ياســـــينٍ ثـــــوت ياســـــينُ**
ردّوا علـــــيهم حكمهـــــم فعلـــــيهم	**نَـــــزلَ البيـــــان وفـــــيهم التبيـــــينُ**

فالشاعر في هذا النصّ ، يلوم القرشيين ، ويعاتبهم على أساس أنهم أهل الفضل والحلم الرصين ، ويعاتبهم لمنازعتهم حق عليٍّ ﴿عليه السلام﴾ في الخلافة لأنهم تركوا تقوى الله ورضخوا لرغباتهم ، فأصبحوا كبني إسرائيل حينما تركهم موسى ﴿عليه السلام﴾ مع أخيه ووزيره هارون ﴿عليه السلام﴾ فلم يحفظوا الحق الذي لموسى مع هارون فكان إن ناصب القرشيون العداء لعليّ ﴿عليه السلام﴾ ، وكأن الشاعر ينزع منزع التقابل حين يقابل السلوك الذي سلكه هؤلاء مع الحقيقة العبادية لعلي ﴿عليه السلام﴾ ، بصورة تبدو طبيعية وليس افتعالاً لأشياء تبدو خارج نطاق الواقع من حيث الدلالة 0

أما من حيث القيمة الفنيّة لهذه الأبيات فيجدر أن تأتي اللغة ذات إحكام في العبارة ، لتحقق الخصائص الفنيّة والدلالية التي يطمح الشاعر إلى تحقيقها 0

ففي هذا المقطع نجد دلالات متقابلة عديدة ، تعمدّها الشاعر ، وهي من دون شك ممارسة ذكيّة قد تجلّت في تلك التقنيات اللغويّة التي صيغت على وفقها العبارة فابتدأ بـ(أين) وكررها مرتين ، فجاءت العبارة الشعرية بدلالة التعنيف ، وقامت أداة العطف (بل) بإعطاء العبارة الأخرى ، دلالة متوازيّة ، ربما قد فاقت الدلالة التي تضمنتها العبارة الأولى (أين فضل قديمكم ؟) ، وكأنّ الاستفهام

(هنا) اتخذَ طابعاً توبيخياً ، فكأنه يريد القول (إذا كنتم تدّعون الفضل ، فلماذا فعلتم كذا وكذا) ، وهكذا كانت عملية الرصد الفنّي على صعيد هذه المقابلة منحته الفرصة حتّى يسرد تفاصيل كثيرة ، تدخل في ضمن مجال الكشف التعبيري الذي يبرز استثمار الشاعر لحوادث تاريخيّة تعتمد التضمين القرآني (أهل العجل) ، (موسى﴿عليه السلام﴾) ، (هارون) ، (آل ياسين) ، ولعل البيت الأخير من المقطع هو الذي يمثل المحور الآخر ـ الأمر ـ الذي يريد الشاعر استرجاعه إلى أهلهِ فجاء به على نحو من التداعي الذهني ، الذي يقوم على إرجاع الأمور إلى تقدير (قادر) ، إذ هي أمور خارجة عن نطاق الذات الإنسانية ، وكأنه يقصد بهذا الوصف الذي انتهت جوانبه بالبيت الأخير ، أحقية أهل البيت به ـ ويعني الإمامة التي أوصى بها الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ لعليّ ﴿عليه السلام﴾ ، ليتضح الجانب الفكري الذي يريد الشاعر تأكيده من خلال الأفكار التي يطرحها زيادة على ما يمكن أنْ يوشي بهِ الشاعر نصّه من أدوات فنيّة أخرى مثل استعماله (عنصر الحوار الافتراضي) الذي يجسد قيمة فنيّة تمدُّ النصُّ بسياق تعبيري ذي طبيعة قصصيّة ، فاستعمال (أين) و (لو) جعلت النص يدمج بين واقعين أحدهما سلبي والآخر ايجابي لكي لا ينحصر في كونه تعبيراً عن فكر تهجمي ، بل ينحصر في رفد الفكرة المتبناة بما يقف وراءها من هذا التناقض الذي فرضته طبيعة المواقف التي يحاول الشاعر تحديدها ليخلص إلى موقف التزامي جادّ 0

أمّا العنصر الإيقاعي فلا غرو أن ما كان للاستفهام من دورٍ ، والجمل الاعتراضيّة ـ لو تتقون الله ـ والطباق (ظهور ، وبطون) والجناس (ياسين ، ياسين) و(البيان والتبيين) في رفد الإيقاع الداخلي انسيابيّة تبدو واضحةً 0

إنَّ الإيقاع الخارجي المتمثل بالبحر الكامل ، وقافية النون قد أدركا السِّر الفني الذي حاول الشاعر بثّه ، بمعنى آخر أنّه حاول من خلال الإحساس الذي يمتلكه بعدالة قضيّة أسياده أنْ يطرح إنعكاسات الواقع من خلال تلك الممارسة فيصعد أداءه بنحو ملحوظ بحيث يطبع العمل الشعري بشخصيتّه 0

والأمويون في نظر الشاعر هم أعداء حقيقيون ، ولا بد أنَّ يأخذوا جزاءَهم العادل : [1]

زخرت غواشي الموت ناراً تلتظي ... أدت عـــدوّك زنـــدكَ المقـــدوحا

فكأنّمـــا فَغَـــرت إليـــه جهـــنّمٌ ... مـــنهن أو كحلـــت إليـــه كلوحـــا

وأميّـــة تحُفـــي الســـؤال ومـــالمن ... أودى بـــهِ الطوفـــان يـــذكرُ نوحـــا

بهُتـــوا فهـــم يتوهمونـــك بـــارزاً ... والتـــاج مؤتلفـــاً عليـــكَ لـــموحا

تتجـــاوب الـــدنيا علـــيهم مأتمـــاً ... فكأنمـــا صـــبحتم تصـــبيحاً

لبســـوا معـــائبهم ورُزْءَ فقيـــدهم ... كاللاّبســـات علـــى الحـــداد مســـوحا

من الواضح أنَّ مهمة الشاعر الذي ينحو منحى سياسيّاً في شعرهِ ، يحاول جاهداً استنفار جميع الخصائص التي تعينه على توضيح الأفكار التي يوَدّ طرحها بنحو جليّ ومحدد ، لذلك وجب العناية بالعنصر اللغوي الذي يخلق الصورة المؤثرة ، مما يوجب أن يعطي لشعرهِ قيمة عليا ، فابن هانيء في نصّهِ هذا يحاول طرح أشكالٍ متنوعة في التعبير ، فبين إبراز الجانب التصويري في العقاب الذي سوف يحلّ بهؤلاء ، وبين ما ينتج عن ذلك من بعد تحدده طبيعة العلاقة مع الآخرين ، أو طبيعة ما يمكن أن ينتج من واقع موضوعي يحدده الموقف السياسي الذي يبني الشاعرُ نصّه على أساسِهِ ، تكون النتيجة أن الدنيا تستبشر بالقضاءِ عليهم ، ليظل الشاعر يطرح القضيّة التي يتبناها بشكل وجداني ، يحمل في طياته تحقيق توازن نفسي يضاف إلى البعد الفني الذي يحقق التوازن الداخلي للنصّ 0

وله فيهم أيضاً [2] :

---

(1) ديوان ابن هانيء : 72 - 73 ، وينظر: الصفحات : 190 - 191 0

(2) م0ن : 190 - 191 0

خابــت أميــة منــهُ بالــذي طلبــت كمــا يخيــب بــرأس الأقــرعِ المشــطُ
وحــاولوا مــن حضــيض الأرض إذ كواكــب عــن مرامــي شــأوها شــحطوا
غضــــــــــــــــــــــبوا بحيــث يفتــرق الرضــوان والسَــخَطُ

هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الشاعر المعز لدين الله ، ويذكر خيبة بني أميّة الذين حاولوا إقصاء الفاطميين بكلِّ ما بأيديهم من وسائل ، فضلاً عمّا بيناهُ في الفصل الأول من تلك الدراسة ، لذلك يرى ابن هانيء أن كل ما يُحاوله بنو أميّة لا شك في أنّه سيؤدي بهم نحو الخيبة ؛ لأن المعز يعد نموذجاً تتجسدُ فيه بوضوحٍ الإرادة الإلهيّة ، أو ليس هو من قوم فرق بينهم وبين بني أميّة الفرقان 0

فهم لم يجدوا ما يلبي رغباتهم ، فشبههم بالمشطّ الذي خاب برأس الأقرع 0

ولعل هذا الوصف يعكس خيبة أملٍ فظيعةٍ ، لأنهمّ يحاولون ما يرتفع بقدرهم وهم في الحضيض 0

النص بوجه عام يكشف عن لغة مألوفة يوشحها العنصر الصوري ، القائم على التشبيه ولعلّ الصورة في البيت الأول :

خابــت أميــة منــه بالــذي طلبــت كمــا يخيــب بــرأس الأقــرعِ المشــطُ

تعدُّ طريفة على الرغم من ترددها على الألسن ، لأنها قد كشفت عن واقع موضوعي أراد الشاعر رصده من خلال تلك الصياغة البسيطة ، فكانت ذات غناء وعمق كبير 0

إيقاعيّاً ، حفل البيتان الأخيران بتّكرار بعض الأصوات كالضاد والشين ، و القاف ، مما كان لها إشراق نغمي يتحسسه المتذوق ، فضلاً عن أنّ التجانس بين (فرق والفرقان) والتطابق بين (الرضوان والسخط) كافٍ في التدليل على نمط آخر من ايقاعيّة العبارة مما يكسب النصّ على العموم جماليّة ملحوظة 0

ويسأل ممدوحه في نص آخر القصاص من بني أمية قائلاً : [1]

---

(1) ديوان ابن هانيء : 354 0

وأذن لــه أن يغــرق أميّــة معلنــاً ... مـــا كـــلُّ مـــأذون لـــه مـــأذونُ

وأعــذر أميّــة أن تغــصّ بريقهــا ... فالمهـــل مـــا ســـقيته والغســـلين

ألقــت بأيــدي الــذلّ ملقــى عمرهــا ... بـــالثوب إذ فغـــرت لـــه صـــفين

قـــاد أمـــرهم وقلّـــدَ ثغـــرهم ... مـــنهم مهـــين لا يكـــاد يبـــين

قد يفرض الواقع رؤيةً تستنطق في خلالها تجربة الشاعر الامتداد الزمني الذي بنى على أساسهِ موقف الامويين المعادي لأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ إذ يوظف هذا السياق التاريخي التراكمي على أساس مجردٍ من الفائدة فحسب وإنما يشكل هنا ظاهرة يتطلبها الصراع أو بالأحرى موقفاً ضدّ سلاطين الجور ، وهو في الوقت نفسهِ علامة فارقة يمكن أن تعكس من خلالها الصورة المثالية للممدوح ، والاحتجاج والرفض لما يماثله النظام الدنيوي الذي تقلده الامويون ومن بعدهم العباسيون ، فكان موقف المعزّ إزاء هؤلاء يمثل ضربة أجهضت تطلعاتهم المريضة ومن الطبيعي أن يلتزم الشاعُر، موقفاً ثابتاً يكشف فيهِ عن أهدافٍ سياسيّةٍ وفكريّةٍ 0 لذلك ما إن يجد الشاعرُ أية مناسبة تسمح له بإبراز الحق ، ووضح مقابلة تكشف الحقائق أو تبينها ، يتجه إلى تبيان ذلك ، فالشاعر هنا يريد الانتقام من بني أمّية بأن يغرقهم جيش المعزّ في البحر ، وهم معذورون إذا ما غصوا بريقهم فما أذاقهم المعزّ لدين الله قد جعلهم على تلك الحال ، زيادة على الذل الذي لاقوهُ بأيدهم 0

يتحدد المستوى الفني لهذه الأبيات على وفق اعتبارات عديدةٍ نجح الشاعر على أساسها في صياغة تجربته ؛ إذ إنَّ انفعاليّة الشاعر أسهمت بشكل فاعل في تحديد إيقاعها اللغوي فالتجربة الشعريّة بملابساتها كافة هي الأقدار على منح اللغة الاعتياديّة فضائية إيحائيّة تتساوق مع ما يمكن أن يولدهُ الاستعمال الفني للألفاظ من خلال شحنها بطاقات تبعث على المتعة والإعجاب ، وتفجير صورها الدقيقة التفاصيل ، فالأبيات عبارة عن طلب (دعاء) من الشاعر إلى ممدوحِهِ في أن يأذن للبحر أن يفعل فعلته ببني أميّة ، فولّدُ الشاعرُ أكثر من صورة تكشف وببعد تاريخي خساسة بني أميّة ، ومواقفهم الشائنة ضدّ العلويين ؛ فكان قد توكأ على الصورة التضمينيّة التي اقتبسها من القرآن الكريم والتي تدلّ عليها الألفاظ : المهل والغسلين ، ومهين ، ولا يكاد يبين 0 فضلاً عن التضمين التأريخي المتمثل بـ (صفين) مما يمنح المقطع الشعري الذي نحن بصدده قيمة فكريّة

، وهكذا فقد كانت الصورة التي تبناها الشاعر صورة توليديّة ، لأنها تفرعت عن صورة واحدةٍ مبتدءة بـ (وأذن له أن يغرق أمية معلناً 000) ويستغرق ابن هانيء في لوم كلِّ من له يدٌ في منازعة آلِ النبيّ حقهم في الخلافة ، إلى أن يصل إلى أصحاب بيعة السقيفة ، الذين لعبوا دوراً مهماً في التمهيد إلى فتنة مازال الإسلام ينوء بها ، إذ يقول [1] :

وأولى بلومٍ من أميّة كلّها ... وإن جلَّ أمرٌ من ملامٍ ولوَّم

أناسٌ هم الداء الدفين الذي سرى ... إلى رممٍ بالطفِ منكم وأعظم

هم قدحوا تلك الزناد التي ورت ... ولو لم تشب النارُ لم تتضرم

وهم رشحوا تيماً لارث نبيهم ... وما كان تيميٌّ إليهِ بمنتمِ

على أي حكم الله إذ يأفكونه ... أحِلُّ لهم تقديمُ غير المقدمَ

وفي أيّ دين الوحي والمصطفى له ... سقوا آله ممزوج صابٍ بعلقمِ

فما نقموا أن الصنيعة لم تكن ... ولكنّها منهم شناشِنُ أخزمِ

وتالله ما الله بادرَ فوتها ... ذوو أفكهم من مهواءٍ أو منقمِ

ولكنّ أمراً كان أبرمَ بينهم ... وإن قالَ قومٌ فلتة غيرُ مبرمِ

بأسيافِ ذاك البغي أوّلَ سلِّها ... أصيب عليّ لا بسيف ابن ملجم

وبالحقد حقد لجاهليّة إنّه ... إلى الآن لم يظعن ولم يتصرم

وبالثارِ في بدرٍأريقت دماؤهم ... وقيد اليكم كلّ أجردَ صلدمِ

---

(1) ديوان ابن هانيء : 324 - 325 0

إذ يرى أن الذي أولى باللوم من آلِ أميّة ، الذين اجتمعوا يوم السقيفة ، وأبرموا فيما بينهم إدارة شؤون المسلمين متجاهلين وصية رسول الله ﷺ مقدمين أبا بكر خليفة لرسول الله ، وهو ليس كذلك 0

أمّا قوله : (وإن قال قوم فلتة) فهو تضمين لمقولة الخليفة الثاني، من خطبه له قالها في المسجد النبوي* لذلك كانت هذه الفتنة هي الشرارة التي استشرت ، فقتلت علياً عليه السلام لأنها هيأت المساحة الكافية التي استطاع أن يتحرك فيها أعداء الإسلام ، واستطاعت أيضاً أن تغذيهم بالحقد ، حقد الجاهليّة الذي امتد إلى الطفِ ليقتل الحسين وأهل بيته عليهم السلام ، لأنهم إنّما أوغلت صدورهم بالحقد منذ أيام الإسلام الأولى ، وما كان ذلك العمل منهم إلاّ ثأراً لقتلاهم في بدرٍ ، لذلك نرى أن يزيد حينما جيئ إليه برأسِ الحسين عليه السلام فجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده متمثلاً بقول عبد الله بن الزبعرى : [1]

ليت أشياعي ببدرٍ شهدوا	**جزع الخزرج من وقع الأسل**
لأهلوا و استهلوا فرحاً	**ولقالوا يا يزيد لا تُشل**
لستُ من خندف إن لم انتقم	**من بني أحمد ما كان فعل**
وكذلك الشيخ اوصاني بهِ	**فاتبعتُ الشيخ فيما قد سأل**
قد قتلنا القرم من ساداتهم	**وعدل لنا ميلَ بدر فاعتدل**

تكشف الأبيات السابقة على مستوى فنيّ يتجه الشاعر من خلالِهِ إلى تشكيل صيغة أدائيّة تقوم

---

(1) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، العلامة محمد باقر المجلسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3 ، 1983 : 45 /157 0

(*) بلغني أن قائلاً منكم يقول : والله لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ، إلا وإنها كذلك ، ولكن الله وقى شرها 0000 ، نقلاً عن : المراجعات ، السيد عبد الحسين شرف الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، الكويت ، ط3 ، 2003 : 242 - 243 0

على التتابع المنطقي لمتعلقات الموقف المعبّر عنه ، لتجد انسيابّية واضحة تقترن بالأداء اللغوي الذي يتسم بالوضوحِ والألفة ، حيث اكتفى الشاعر بإدارة نصّه من خلال الإخبار فقط فضلاً عن التساؤل ، وقد طغى على النص ضمير المخاطب الغائب (هم) ، الذي يكشف عن إشارةٍ تاريخيّة للموقف الذي اقتضى أن تكون عملية الربط بينه وبين الحاضر الذي كان نتيجةً لذلك ، تسير على وفق تبصرّ دقيق بناحيّة فكرية يفرضها السياق اللغوي للنصّ وقد كشفت الألفاظ الواردة في النصِّ بتلوناتها عن منحى فكري وجماليّ سحب أدائيته على المستوى الإيقاعي فـ(الجناس) بأشكاله كافة ، مثل (ملام لوّم) و (تشب وتتضرم) و (تيمٌ وتيميّ) و (تقديم والمقدم) و(أسياف وسيف) و (بالحقد والحقد) لم يمتزج بأفكار إنحرافيّة تبتعد عن أدائية النصّ وإنما قدمت مسوغاً للتركيز على الجانب العاطفي والفكري الذي تكفلّ النصُّ بأدائِهِ 0

قد يكون الجانب الصوري متواضعاً في هذا النصّ ، وقد شكلت الكناية ((هم قدحوا تلك الزناد)) والتشبيه ((الداء الدفين الذي سرى إلى رحمٍ بالطفِّ)) ، هذا التنوع الصوري لما له من مسوغات فنيّة ، فالاستعارة ، والتشبيه البليغ ، كلاهما يؤكد التصاق تلك الصفةِ بالفاعل لدرجة التماثل بين الطرفين ، وهذا ما ينطبق بالفعل على الأطراف التي كانت الممهد الأول لتلك المأساة 0

إيقاعيّاً ، حفل النص بالأدائيّة الفخمة للبحر الطويل ، الذي جاءت فيه العروض مقبوضة والضرب كذلك ، وقد تفاوت مجيء (فعولن) صحيحة في تفعيلات الحشو ، فبدأ الوزن الشعري منساباً ، وجاءت القافية معطية التكامل الإيقاعي الخارجي لهذا البحر إذ جاءت الميم المكسورةِ متواشجة بالقدر الذي ظهر تأثيرها على الإيقاع الداخلي للنصّ ، فقد ظهر أنها لم تأتِ عنوة وإنّما كان للفظ ((أميّة)) في النصّ استدعاءٌ لها ، ولو لاحظنا النصّ السابق لوجدنا أنها وردت ((43)) مرّةً عدا مرات ورودها في القافية ، مما جعلها تحتلُّ تأثيراً واسعاً في مستوى الإيقاع الداخلي ، ثم كان لما قد ذكرناه آنفاً من جناس وطباق من أثر في تحقيق الغاية الفكرية للنصِّ والانتصار للعقيدة التي يؤمن بها الشاعر ، فضلاً عن دلالاتها الإيقاعية الملحوظة 0

لذلك يحقق الشاعر بسائر الأدوات الفنيّة والموضوعيّة للموقف الذي تبناه مساحةً كافية تتمثل في جملة من ضروب الصياغات : المباشرة وغير المباشرة ، حيث يتجاوز في بعض الأحيان عن

رصد العناصر التخيليّة إلى ما هو مرتبط أساساً بمقومات بناء الشخصيّة من حيث : كشف سجل انخذلاتها ، وعدم قدرتها على التصدي للحقيقة لذا فإن النماذج المتقدمة والنموذج الذي بين أيدينا ، تخضع جميعها ، لقاعدة ذات منحى سياسي فكري في آنٍ معاً ، فالأمويون على وفق ما يرى الشاعر [1] :

ومـــا عرفـــت كـــرَّ الجيـــادِ أميّـــةٌ ... ومـــا حملـــت بـــزّ القنـــا وهـــو شـــابك

ولا جـــرّدوا نصـــلاً تخـــاف شـــباتهُ ... ولكـــنّ فـــولاذاً غـــدا وهـــو آنـــكُ

ولـــم تَـــدمْ فـــي حـــرب دروع أميّـــةٍ ... ولكـــنهم فيهـــا الإ مـــاءُ العَـــوارِكُ

إذا حضـــر المـــدّاح أُخجـــلَ مـــادحٌ ... وأظلـــم ديجـــورٌ مـــن الكفـــر حالـــكُ

إن عناية الشاعر بكلِّ ما يمكن أن يغضّ عن مكانة أعدائِهِ ، تجعله يسرد جميع الحقائق التي سوف تشكل بمجموعها تلك الطبيعة الرثة التي ينماز بها الطرف الآخر وبلغة خطابية ، يستنفر الشاعر معها دافعه الوجداني فيرى أنّ بني أميّة :

ما عرفت كرَّ الجياد 0

ولا جرّدوا نصلا 0

ولم تدم في حرب دروعهم 0

أخجل مادحهم 0

نلاحظ هذا الأداء المصحوب بقرار في نهاية كل بيت ، وكأنّ ما يطلقه من صفات هي حقائق ثابتة ، وبهذا التجانس الدلالي الذي قام على عناصر لفظيّة تمثلت على وجه

---

(1) ديوان ابن هانيء : 245 0

الخصوص بالنفي بـ((مما ، ولا ، ولم)) حقق الشاعر صيغه الفنية من خلال رصد المقومات العامّة والخاصّة وتوشيحها بلغة الفن : إيقاعياً وصورياً ، مستهدفاً من ذلك إدانة السلطة المنحرفة وإبداء حقائقها 0

الوصف :

يظل الشاعر الملتزم يكشف عن جوانب قضيّتهِ التي يتبناها في كل غرضٍ يخوض فيهِ ، ولا سيما إذا كان صاحب عقيدةٍ فإنه يتجه جاداً إلى تحديد كلٍ حقيقة تلمح إلى عرض قضيتهِ ، مادحاً كان ، أو راثياً ، أو واصفاً ، ليكسب صوره بعداً عقدياً ، يتوحد فيه الأداء التصويري مع الأفكار، متجاوزاً المعايير الموضوعيّة إلى ما هو ذاتي مقترن بالعاطفةِ ، محققاً صيغة أدائيّة عالية ، ليظل التزامه مجسداً بأدائيّة تؤرخ لهذا الانتماء 0

فابن هانيء حينما يصف السيف كما في قولهِ [1] :

للـــه أيُّ شـــهاب حـــربٍ واقـــدٌ صـــحب ابـــن ذي يـــزن وأدرك تبّعـــاً

فـي كـف يحيـى منـه أبيض مرهـف عـــرف المعـــز حقيقـــةً فتشـــيّعا

وجـرى الفرنـد بصـفحتيهِ كأنمّـا ذكـــر القتيـــل بكـــربلاء فـــدمعّا

ينطلق كما أسلفنا من أسس تهيئ له مجالاً للعناية بالأسلوب التصويري ، فالسيف في هذهِ الأبيات :

- شهاب حرب ⟵ صحب ابن ذي يزن 000

---

(1) ديوان ابن هانيء : 201 0

- أبيض مرهف ⟵ في كفّ يحيى 0
- متشيّع ⟵ لأنه عرف المعزّ 0
- ذكر القتيل بكربلاء ⟵ فد معّا 0

هذه الخصائص على وجه العموم لها مرجعيّة فكريّة تحتم على الشاعر أنْ يقابلها بأسلوب وصفهِ ، مما يترتب عليه في ضوء تلك الحقائق أن يعلن عن هذا التلاقح بين الدلالة الوصفية للسيف وبين الأفكار التي يؤمن بها ، فالسيف هو كأيّ سيفٍ ، لكنه هنا اكتسب الخصوصيّة من الذي يحملهُ ومن القضية التي يقاتل من أجلها ، لذلك يجمل هذا الشاعر حقيقة هذا السيف في البيت الأخير بأدائية تخيليّلة عالية إذ يرى أنّ تموج الضوء كانسياب الدمع ، وكأن السيف قد بكى لأنه تذكر قتيل كربلاء ﴿عليه السلام﴾ 0

وهو في قوله [1] :

لـي صـارمٌ وهـو شـيعيّ كحاملـهِ يكـاد يسـبقُ كراتـي إلـى البطـلِ

إذا المعـزُّ معـزّ الـدينِ سـلّطه لـم يرتقـب بالمنايـا مـدّ ة الأجـلِ

يصفه بأنّه شيعيّ ويسبق (كراتِ صاحبه) ولا يرتقب ((مدّةَ الأجل)) وفي قوله [2]:

هو السيف سيف الصدق أمَّا غرارهُ فعضـبٌ وأمّـا متنـه فصـقيلُ

يشـيع لـه الأفرنـد دمعـاً كأنّمـا تـذكرّ يـوم الطـفّ فهـو يَسـيلُ

هو ((سيف الصدق)) ، ويشخصه بأن جعله ((يتذكر)) و ((يبكي)) ، وعلى وفق ذلك ، يكون وصف ابن هانيء للسيف ، ولكن صورته تتميز بدلالات مكثفة ، على الرغم من بساطتها ، فبين الاستعارة (شهاب حرب) وبين التشبيه (هو شيعيّ) وبين التشخيص (تذكرّ) والتجسيد (يسيل) تميل الصورة إلى تحقيق امتدادات تعنون قيماً فكرية يحاول الشاعر

([1]) ديوان ابن هانيء : 306 0

([2]) م 0 ن : 307 0

استنهاضها فنياً بهذا النوع من التعبير ، وقد دعم عنصر التضمين المتمثل بـ(الطفّ) العنصر الفكري الذي كان يهدف إليه ، فقد حققت اللغة التصويرية أبعادها الفنية في دعم الفكرة 0

أما من حيث الإيقاع فإنّ الأبيات تتناوب بين الكامل والبسيط والطويل مع قافية : العين ، واللام المكسورة ، واللام المضمومة محققة جرساً موسيقياً منتظماً ، و إنّ انسياب الألفاظ أضاف جرساً لتجانس الألفاظ مع دلالاتها على الإيقاع الداخلي للأبيات 0

التوسل :

يظل الشعر على وجه العموم مرتبطاً بمواقف تهيئ للشاعر استثمار تداعياتها ليخلق تجربة حيّة ، تعتمد الصلة بين هذا الغرض منه أو ذاك وبين الوثاقة والألفة التي يتحكم فيها موقفه الفكري أو العقدي ، ومن الواضح أنَّ الجمع بين الجانب الفني والجانب الفكري يقتضي بالضرورة تجسيد التجربة الشعرية بصورة تستلزم الثراء الوجداني من أجل أن تكتسب التجربة بملابساتها مشروعيتها على وجهٍ أتم ، ومهما يكن نوع الغرض الذي يخوض فيه الشاعر 0

وعليه يمكن لنا أن نقول إنَّ غرضَ التوسل قد يهيئ مجالاً خصباً لاستنزاف القيم العاطفيّة وربطها بالقيم الفكرية ، بهذا الإطار الفني قصد رصد العلاقات المختلفة بمستوياتها كافة من أجل أن تتكامل أدائية الشاعر 0

فإذا ما نظرنا في نصّ يوسف الثالث ، نجد إن الشاعر في قولهِ : [1]

([1]) ديوان يوسف الثالث : 168 0

تطـــاول ليلـــى بـــالأ بـــرقينِ ونـــام الخلُّـــي عـــن العـــاذلين

وبـــتُّ أُســـاجِلُ شـــهب الـــدجى بمحـــض النضـــار وذوب اللجـــين

وأســـتوقف البـــرقَ مســـتفهماً أكابـــدُ مـــن خفقـــهِ جمـــرتين

فـــأحرق قلبـــي بـــذات الغضـــا وأهمـــل عينـــيّ بالمـــازبين

يبوح بحنين نحو مكان دفن الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾ ، إذ يصور في الأبيات السالفة عن مدى شوقه وحنينه ، فمرّة :

- يطول ليله ولم ينم 0
- يساجل شهب الدجى 0
- يستوقف البرق مستفهماً 0
- يكابد 0
- يحرق قلبه 0
- يهمل عينيهِ 0

كل ذلك شوق في نفسٍ يسكن جسدها بالمغرب ، وقلبها بالمشرق ، ومردّ ذلك الحنين والشوق كلِّه هو الحصول على الشفاعة يوم القيامة ، فخوفه من العذاب ، يذكره من خلال تضمينه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾[2] لذلك كان تشيعه لآل الرسول ﴿عليهم السلام﴾ وسيلة يرجو بها الحسنين ، كما في قوله [3] :

([1]) الفرقان / 27 0

([2]) الرحمن/ 41 0

([3]) ديوان يوسف الثالث : 168 0

لـــئن حـــلَّ جســـمي بـــالمغربين	**فقـــد صـــار قلبـــيَ بالمشـــرقين**
بســـبطي نبـــي الهـــدى ابتغـــي	**وأرجـــو الشـــفاعة مـــن دون حـــين**
تخـــــذت محبّـــــتهم عـــــدّة	**لأخـــذ النواصـــي وعـــضّ اليـــدين**
وحســـبي الشـــفيع إذا مـــا الـــذنوب	**أحاطـــت بنفســـي فـــي المـــوقفين**
جعلـــت التشـــيعّ فـــي آلـــه	**وســـائل أرجـــو بهـــا الحســـنين**

أما السمات الفنيّة في هذا النصّ ، فعلى صعيد اللغة ، بدت لغة النصّ متواضعة بالقدر الذي يشير إلى سهولتها من جهةٍ ، ومن جهة أخرى توافرها على عنصر التصوير فالأبيات الأربعة الأولى من النصّ ، اجتمعت جميعها عند محور مشترك بينهما ، ففيها يصف الشاعر حاله :

((تطاول ليلى ، ونام الخليّ ، وبتُّ أساجلُ ، واستوقف البرق ، وأكابدُ وأخرق قلبي وأهمل عينيّ)) فكلّ صورة تعلل حال صاحبها ، وإن جاءت بأساليب مختلفة من خلال تكرار الأسلوب الواحد بأكثر من صورة ، لكنه تعليل يتضمّن معنى الشوق والغربة والحنين ، وهي بذلك جميعها تكون صورة تفصيلية ، لأنها جاءت لتعميق الشيء وتوضيحه ، بدليل اللجوء إلى الاستعارة أكثر منه إلى التشبيه 0

أمّا من حيث الإيقاع فنلحظ ما لوزن المتقارب من إيقاعيّة عالية حفل بها النص ، فضلاً عما لقافية النون المكسورة من أثر يعضد الوزن الشعري 0

وقال ابن شهيد مستعطفاً يحيى بن علي حمود ، بعد أنْ سجن لوشاية البعض به[1] :

([1]) ديوان ابن شهيد : 63 - 64 0

قريــبٌ بمحتــلِّ الهــوانِ بَعيــدُ	يجـــود ويشـــكو حزنَـــهُ فيجيـــدُ
وراضــت صــعابي ســطوة عَلَويّــةٌ	لهـــا بـــارقٌ نحـــو النـــدى ورعـــودُ
تقـول التـي مـن بيتهـا كـفّ مركبـي	أقربـــــك دانٍ أم نـــــواك بعيـــــدُ
فقلت لها : أَمري إلى من سمت بـهِ	إلـــى المجـــدِ آبـــاءٌ لـــه وجـــدودُ
إلــى المعتلــي عاليــتُ همّــي طالبــاً	لكرتِـــــهِ إنّ الكـــــريمَ يعـــــودُ
همـــامٌ أراهُ جـــودُهُ ســـبلَ العُـــلا	وعلّمـــهُ الإحســـانُ كيـــفَ يجـــودُ
نفـــى الـــذم عنـــه أن طـــيَ بـــرودهِ	عفـــافٌ علـــى ســـنِ الشـــباب وَجـــودُ
تـــؤدي إلينـــا أنّـــه ســـبط أحمـــدِ	مخايـــلُ فيـــه للهـــدى وشـــهود

إن انسيابيّة الأبيات ، تؤكد أن الشاعرَ قد عبر عن نفسهِ بصدق ، وحاول نقل عواطفه بلغة تنماز بالألفةِ والإشراق ، ولقد شعر أنه أخطأ ، لكن سماحة وكرم ممدوحهِ وما يعيشه هو في السجن جعلا منه يغدو رقيقاً بصورة جعلت النصّ متجانساً من حيث اللغة ودلالاتها ، و إنَّ الصدق الوجداني وتصاعده عند الشاعر ألجأه ، إلى أن يعبر بدقةٍ متناهية عن ثقته بالممدوح فراح ينفي الذمّ عنه ، لأنّه سبط أحمد ﷺ ، كما بينا أن لغة النص قد انمازت بالإلفة ، وقد وشحها الشاعر بعنصر التزويق كالطباق (قريب وبعيد) و (قربك ونواك) و (دان وبعيد) ، والجناس : (يجود ، فيجيد) و (المعتلي ، عاليت) و (كرته ، يعود) ، و (جوده ويجود) ، وأما بالنسبة لاستعماله لعنصر الصورة ، فإننا نجده مؤثراً كما في قوله : (من بيتها كفَّ مركبي) و(جودة سبُلَ العلا) و (طي برود وعفافُ) ، لتحقيق تلك العناصر عبر تداخلاتها كمالية الجوّ العام للنص ، وتعطيه التأثير الذي ينسحب على المتلقي دلالياً و إيقاعيّاً 0

إيقاعياً ينماز البحر الطويل بالإيقاعية الهادئة ، يمكن للشاعر أنْ يضمنه الألفاظ التي تعبر عن الحالة المأساوية التي يعيشها ، لإمكانات هذا البحر من حيث عدد المقاطع المتكون منها وقد جاء البيت الأول مصرّعاً ، إذ جاءت فيه تفعيلة (مفاعيلن) محذوفة (مفاعي) ، وعليه وردت تفاعيل اضرب الأبيات جميعاً محذوفة لاشتراط ذلك مما جعل التفعيلتين الأخيرتين قصيرتين ، ومتطابقتين جداً في الأداء مما ساعد على انسيابية الوزن 0

أمّا القافية وهي الدال ، فكأنها جاءت عفواً ولم يلجأ إليها الشاعر حتى تكون عبئاً على النص ، إذ وردت مع وجودها في المقطع الماضي (19) مرّة ، مما شكل إيقاعاً داخليّاً للنص تآزر مع ما ذكرناه من محسنات لفظية من جناس وطباق على رفد موسيقى النص بصورة عامة 0

الفخر :

يقول ابن هانيء : [1]

دعــاني لكــم ودٌّ فلبّــتْ عزائمــي وعنســي وليلــى والنجــوم الشــوابِكُ

ومســتكبرٌ لــم يشــعِرُ الــذَّلَّ نفســهُ أبـــي بأبكـــارِ المهـــاولِ فاتـــكُ

ولــو علقتــه مــن أميّــة أحبــلٌ لجــبّ ســنام مــن بنــي الشــعر تامــك

ولمّــا التقــت أســيافها ورماحهــا شــراعاً وقــد ســدّت علــيَّ المســالك

أجــزت عليهــا عــابراً وتركتهــا كــأنّ المنايــا تحــتَ جنبــي أرائــكُ

ومــا نقمــوا إلاّ قــديم تشــيعي فنجّـــى هزبـــراً شـــدّه المتـــدارك

أيّا كانت الأغراض الشعرية ، فإنّ الشاعرُ يستطيع أن يرصد المساحة الكافيّة التي يستطيع أن يعبر من خلالها عن ولائِهِ للقضيّة التي يتبناها ، فالملاحظ في هذا النصّ أنْ الشاعر قد جذبه ودّ آل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ، فلبّى هذا الودّ كلُّ عزيمته ، لأنَّ تلك التلبية مشفوعة بعاطفة لا تعرف طريقاً غير طريق تحقيقها لذا فإن كل من يحاول أن يقف بوجهه يبوء بالفشل ، من هنا كانت نقمة بني أميّة على ابن هانيء ، فقد حاولوا الإطاحة به ، لكنه تصدى لمحاولاتهم بالعبور إلى المغرب بعد أنْ علموا ميوله الشيعّية 0

---

(1) ديوان ابن هانيء : 245 0

تبدو لغة النصّ منسابة بالقدر الذي يعبّر عن عمق عاطفة الشاعر ، كذلك كان للتوازن والتتابع بين العبارات والدلالات الناتجة عنها ، زيادة على العنصر الصوري في البيتين (الرابع والخامس) ، أهمية واضحة في رفد النص بأدائيّة عالية ، فضلاً عن وجود العنصر الموسيقي الذي يمثل الوزن الشعري المتمثل بالبحر الطويل والقافية 0

ويقول عبادة بن ماء السماء مفتخراً ، من قصيدة يقولها في يحيى بن علي بن حمود [1] :

فهـا أنـا ذا يـا ابـن النبـوةِ نافـث ... مـن القـولِ أريـا غيـر مـا ينفـث الصـلُّ

وعنـدي صـريح فـي ولائـك معـرق ... تشـــيعه محـــضٌ وبيعتـــه بتـــلُ

ووالـى أبـي قـيسٌ أبـاك علـى العُلا ... فخـيّم فـي قلـب ابـن هنـدٍ لـه غـلُّ

المعنى العام للأبيات يتضمن افتخار الشاعر بولاية آل بيت النبوّة ﴿عليهم السلام﴾ فالشاعر ينفث ، والصل ينفث ، لكنّ نفث الشاعر افترق عن نفث الصلّ الذي ينفث السمّ ، لأنّه ينفث العسلُ لإدراكِهِ أن الذي يقوله ، هو الحق ، وأنّ العلويين ، هم أهل الموالاة لا سواهم ، وكأن الشاعر يعلن أنه سار على طريق أبيه في الولاء 0

فنياً ، إن تنويع الأداء الشعري ، وتنامي التنويع الصوري ، يضفي قيماً فنيّة تطبع النتاج الشعري بسمة التأثير ، فالنموذج أعلاه يلوح بلغة اعتيادية منسابةً بالقدر الذي عبرت فيه بانسيابيتها عن انفعالية الشاعر ؛ وقد وشحها الشاعر بالعنصر الصوري : (نافث من القول أريا) و(خيمّ في قلب ابن هند له غلّ) ، مما يمثل مقابلة بين ولائين أحدهما يسير عكس الآخر فالإيجاب تمثله الصورة الأولى ، والآخر تمثله الصورة الثانية ، وتآزرت الصورتان لتعطي للأبيات انسيابيّة دلاليَّة ، مما يؤكد حقيقة هذا الولاء بنحو عفوي 0

---

(1) الذخيرة : ق1 م1 / 478 0

إيقاعيّة النص اتصفت بالمرونة من حيث استعماله البحر الطويل المعروف بفخامته الإيقاعيّة وتؤازره اللام المضمومة التي قفيت بها الأبيات ، بما لها من امتداد صوتي أضفت جمالية ملحوظة على الأداء الإيقاعي ، وجاءت الصياغة الإيقاعيّة المقرونة بما هو مسترسل وعفوي من التعبير متجانسة مع تجربة الشاعر 0

وعلى هذا النحو تكتمل الأغراض التي تناولها هذا الفصل ، لتعطي تصوراً شاملاً عن طبيعة شعر التشيع في الأندلس ، وقد ظهر لنا بناءً على ما تناوله الفصل جملة أمور نذكر منها :

1- مثّلَ الشعر السياسي مشروعَ ردّ مدعماً بأسس فكرية عكست سلوكين متضادين ، وقف الشاعر شاهراً أحدهما بشجاعة لينكرَ ظلامية السلوك الآخر بأسلوب يجتمع فيه الصدق الوجداني مع الصدق الفني 0

2-حفلت أدائية الشاعر بخصائص فنيّة لها إثارة لافته ، وأنها انتخبت ظواهر تضمينية قرآنية ، وتاريخيّة ، بنحو عفوي سمح للشاعر أنْ ينتج نصّاً يفرغ فيه التفجرات الانفعاليّة التي يقتضيها الموقف المؤدّى 0

3-إيقاعيّاً ، فضلاً عن الإيقاع بمستوييه ، كانت اللغة المستعملة قد كشفت عن بعد إيقاعي فرضه شحن النص بأداء لغوي يفسر طبيعة الانفعال الذي يتملك الشاعر ، لذلك عني بالجرس والغنائية أكثر من عنايته بالصورة 0

4-مثل شعر الوصف ، والاستعطاف ، والفخر ، قدرة تبدو متواضعة ، فسحت المجال لعفوية ظاهرة ، تمكن الشاعر أن ينجح فنياً من خلالها ، بفرض حالة من التجانس بين الموضوع والأداء ، وقد نراه يتغلغل أحياناً في تفاصيل ذات طبيعةٍ صورية أغنت النص بسمات الصياغة المتكلفة 0

تبين لنا بعد البحث في حدود هذا الموضوع - عبر هذا الامتداد الزمني الذي امتد نحو ثمانية قرون ، وكان دافعنا من وراء ذلك البحث عن حقيقة التشيع هناك وانعكاسه على الحياة بصورة عامّة ولا سيما الحياة الأدبيّة ، ونخص بالذكر الشعر بوصفه الميدان الأوسع الذي يعبّر عن العواطف والانفعالات ، وينقل رؤى قائليه بعفوية وصدق - أنّ التشيع في الأندلس قد مرّ بمرحلتين : أمّا الأولى فهي المرحلة التي انتهت بنهاية الحكم الأموي في الأندلس ، وبدت تلك المرحلة أنها غامضة يشوبها التكتم المشفوع بالخوف من سلاطين بني أميّة الذين ما برحوا يتربصون بكلّ من له هوى لأهل بيت النبوّة ﴿عليهم السلام﴾ وسبيلنا إلى قول ذلك ما دفع شاعراً أندلسيّاً مهماً كابن هانيء الذي تبنى أفكاراً تتنفس من نهج آل البيت - لأن الدولة الفاطمية حينما بثت دعاتها في الأندلس ، كان ابن هانيء احد ثمار هؤلاء الدعاة - أن يفرّ إلى بلاد المغرب بعد أن ذاع خبرهُ ، ولم يسلم من شرّ الأمويين ، اذ وجد مقتولاً هناك 0

والأخرى تلك المرحلة التي تنفس فيها الصوت الشيعي الصعداء ، وأخذ حيزه الذي يتناسب وحجمه سياسياً وأدبياً ، إذ كانت المدة التي تلت سقوط دولة بني أميّة وقيام دويلات ملوك الطوائف ومن بعدهم المرابطين والموحدين ، قد شهدت تحرراً فكرياً وعقيديّاً ، أدى إلى أنْ تأخذ تلك الأصوات التي ارتكزت في المغرب العربي امتداداً سياسياً قد أتى أُكلهُ بقيام دولة بني حمود العلوية في الأندلس ، التي ما برحت في كلّ أحوالها أنْ تنتهج نهجاً يحفظ لها كيانها ، بمعاونة البربر ولاسيما الصنهاجيين منهم ، فقد استمرّ حكمها زهاء نصف قرن ، وكان لحضورها السياسي أثر مهم في نفوس الشعراء في استذكار مناقب آل البيت ﴿عليهم السلام﴾ وأخلاقياتهم ، وأمر إمامتهم للمسلمين ثم تابع شعراء آخرون هذا النهج وراحوا يستحضرون مأساة كربلاء التي راح ضحيتها الحسين وآل بيته ﴿عليهم السلام﴾ ليكونوا مشهداً بكائياً يستنزف دموع الحزن ، ويدعو بالويل على من قاتل الحسين وأهل بيتهِ وقد بدا لنا من خلال البحث جملة أمور نذكرها كما يأتي :

1- كان المغرب العربي المصدر الأول الذي أدّى إلى بذر أفكار المذهب الشيعي في الأندلس ، ومن ثم كان قاعدة الانطلاق الأولى ، وفي الوقت نفسه ، كان الخلفية الساندة التي أمدت كلّ الحركات التي كانت تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد في تلك البلاد 0

2- لقد وجد هذا النتاج الشعري الذي دعم تلك الممارسة الفكرية بتجلياتها كافة ، متناثراً في بطون كتب الأدب والتاريخ الخاص بالأندلس ، إلاّ ما وجد عند ابن هانيء وابن دراج ويوسف الثالث ، أمّا ما ذكر مثلاً لصفوان بن إدريس من شعر ، وانه قد نظم ديواناً في رثاء أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ فما جمع من شعرهِ لم يذكر أثراً لذلك 0

3- كان جل الشعر المذكور عبارة عن مقطعات من قصائد لم تذكرها المصادر بتمامها قد ارتبطت بمناسبةٍ يمدح فيها الشاعر الشخصيّة التي تنسب لآل البيت ﴿عليهم السلام﴾ فيأتي ذكر أمر إمامهم وأحقيتهم بتولي أمر المسلمين عرضاً إلاّ ما وجد عند ابن هانيء ، وابن درّاج فهذان الشاعران ألحا بقصائد طويلة بينا فيها مكانة الممدوح وارتباطه بآل البيت ﴿عليهم السلام﴾ من غير اللجوء إلى الأمور الفضفاضة ، زيادة على ذلك كانت بعض المقطعات تؤكد ذلك الأمر 0

4- وجد ما قيل من شعر في رثاء الحسين بن علي ﴿عليهما السلام﴾ ، عبارة عن قصائد طويلة كان هدفها أحياء مناسبة عاشوراء ، وبكاء الحسين ، وأهل بيتهِ الذين قتلوا معه والقصائد بمجموعها تشتمل على سمات مشتركة كثيرة وإن تباينت عاطفياً ، لكنها قد عبرت عن دور جديد يتنفس فيه التشيع الصعداء 0

5- أمّا الشعر السياسي ، فقد كانت الباعث عليه تلك الانعكاسات التي فرضتها سياسة الفاطميين ، فقد كان لها من الأثر ما أدى إلى استثمار ما تضمنه الصراع من عناصر فكرية جسّدها ابن هانيء في نتاجه مؤازرة و لمن يمدحهم حتى بدا أن النشاط الشعر السياسي قد

انحصر في شخصه في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الدولة العربية في المغرب العربي والأندلس 0

6ـ طبيعيّاً أن تتنوع الإغراض الشعرية ، إلاّ أن ذلك لا يعني توازيها من حيث المستوى الكمي أو النوعي ، فقد لحظنا أن هناك أغراضاً أخرى كالوصف ، والفخر والتوسل ؛ قد جسدت ما يمكن أن يدعم الممارسة الفكرية للشاعر ، فغالبيّة النصوص ترتبط بسياقات خاصّة ، لكنها تتعاضد مع الأغراض الأخرى لتعبر عن مرحلة ما نوهنا عنه من أثر للتشيع في تلك البلاد 0

7ـ اللغة في الأحوال كلها هي القوة المهيمنة التي يكتسب النص بوساطتها تلك الدلالات التي تتصل بالموقف العقائدي الذي يتلاحم بدورهِ مع جزئيات الموضوع الأخرى ، بحيث يقترب من تصوير أفكار الشاعر التي يودّ طرحها ، لذلك فقد آلى الشاعر على نفسه إيراد المصطلحات الشيعية : إلامامة ، الشفاعة ، ابن النبي ، الوصي ، 000 ، زيادة على ذلك كان لألفاظ المكان دورها المهم في منح النصوص الرثائيّة أدائيتها التي ترتبط بالحسين وآله من مثل : الطف ، كربلاء 000

8ـ قد يكسب التضمين التاريخي والقرآني النص أبعاداً لها فاعليتها في توجيهه تلك الوجهة التي يطمح الشاعر من خلالها إلى الربط بين همومه وتلك الاعتبارات التي تنسحب أدائيتها على البناء الفني للنص ، مما يخلع عليه طبيعة فكرية تسهم في وضع النص تلك المكانة التي تنبئ عن مدى التزام الشاعر ؛ ففي غرض المديح وجدنا ارتباط النص بجملة من التضمينات قد خلقت مساحة كافية تحرك فيها الشاعر ليبرز دور المذهب ورجالاته ، والانتصار لرؤاه ، التي يراها فيهم بمجمل ما يمكن أن يخلقه من ربط ربّما يكون مقروناً بالحالة التاريخية سواء أكانت قرآنيّة أم غير ذلك ، وهذا الأثر قد ينسحب على الأغراض الأخرى مع فارق قد

يكون معقداً ، إذ إنَّ التجربة الشعرية لا تخضع لنفس الملابسات في الأغراض الأخرى فهي متباينة من غرض لآخر 0

9ـ كان الأداء اللغوي للنصوص متبايناً من حيث أنّ اللغة طرحت الأفكار طرحاً موضوعياً في أكثر الأحوال ، و لم ترتق تلك الممارسة إلى الفنيّة العالية إلاَّ في أحوال نادرة على الرغم من استعمال العناصر البلاغيّة ، مما لم يخلق صورةً بارعة تثير الانتباه 0

10ـ يظل الشعر العربي معتمداً على الوزن والقافية في إستحصال القيم النغمية ، فكان لأوزان : الطويل ، والكامل ، والمتقارب ، والوافر ، والخفيف ، حضورٌ فاعلٌ من دون أن يكون الغرض عائقاً في وجه أي منها فهي تتناوب بين المديح والرثاء والأغراض الأخرى ، فمثلاً كان لوزن الرمل حضورٌ فاعلٌ في قصيدة مديح للشاعر ابن مقانا الاشبوني ، ونجد الوزن ذاته في قصيدة يتوسل بها الشاعرُ يوسف الثالث الشفاعة في حب آل البيت ﴿عليهم السلام﴾ وعلى هذا النحو تكون انفعاليّة الشاعر ، وأثر التجربة الشعرية هي المهيمن الذي ينتج عنه استعماله لهذا الوزن أو ذلك بقصدية أم بدون قصديّة 0

11ـ لقد حققت الأغراض الشعرية التي درسها الباحث بتعاضدها ، حضوراً فاعلاً أمكن من خلالِهِ الجزم بأن المكانة التي حضي بها التشيع في الأندلس ، قد حققت حضورها من خلال استمرار هذا الأدب والشعر منه خاصّة في التعبير عن الكثير من الأفكار الشيعيّة وكان لغرض الرثاء فيما بعد الحصيلة الكبرى إذْ استمر حتى سقوط الأندلس نهائياً 0

- القرآن الكريم
- ابن زيدون عصره وحياته وأدبه ، علي عبد العظيم ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، د0ط ، 1955م 0
- ابن هانيء الأندلسي ، منير ناجي ، دار النشر للجامعيين ، ط1 ، 1963م 0
- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، عبد الحميد جيده ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط1 ، 1980 م 0
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 2001 م0
- أدب الطف أو شعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر ، جواد شبر ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001م 0
- الأدب العربي في الأندلس ، تطوره وموضوعاته وأشهر أعلامه ، علي محمد علي سلامة ، الدار العربية ، بيروت ، د0ط ، 1986 م 0
- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عرض وتفسير ومقارنة ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط2 ، 1968 م 0
- أسس النقد الأدبي عند العرب ، د0 أحمد أحمد البدري ، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، د0ط ، 1979م 0
- أصول الكافي ، محمد يعقوب الكليني ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، طهران ، ط5 ، 1425هـ 0
- الأعلام خير الدين محمد بن علي بن فارس ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، 1993م 0
- أعمال الأعلام ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق وتعليق : أ 0 ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004 م 0

- الأمالي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بـ(الشيخ المفيد) ، تحقيق : علي مير الغفاري ورفيقهِ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، إيران ، ط5 ، 1425هـ 0
- أنوار الربيع في نواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني ، حققه ، وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر ، النجف الأشراف ، العراق ، د0ط ، د0ت 0
- الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين) ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (335هـ) عُنَي بنشره : ج 0 هيورث ، دن ، دار المسيرة ، بيروت ، ط2 ، 1979م 0
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3 ، 1983 م 0
- البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق : علي شيري ، دار الكتب العالميّة ، مصر ، د0ط ، 1409هـ 0
- البديع في نقد الشعر ، أسامة بن رشيد بن علي بن منقذ ، تحقيق : د0 احمد بدوي و د0حامد عبد المجيد ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، د0ط ،1960 م 0
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، مطبعة القاهرة ، د0ط 1326هـ 0
- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي ، تحقيق : أ0ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، د0ط ، د0ت 0
- تاريخ الأدب الأندلسي عهد الطوائف والمرابطين ، د0 إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1962 م 0
- تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي ، محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، 1990م 0

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، يوسف أشياخ ، ترجمة محمد عبد الله عدنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1966م 0
- تاريخ المن بالإمامة ، ابن صاحب الصلاة ، تحقيق : د0 عبد الهادي التازي ، وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، د0ط ، 1979م 0
- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، العذري ، تحقيق : عبد العزيز الاهواني ، مدريد ، د0ط ، 1965م 0
- التشيع في الأندلس ، د0 محمود علي مكي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004 م 0
- التكرير بين التأثير والمثير ، د0 عز الدين علي السيد ، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1986م 0
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د0 ماهر مهدي ، وزارة الثقافة ، بغداد ، العراق ، ط1 ، د0ت 0
- الحضارة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس (عقيدة الموحدين) ، مادلين فيتشر ، تحرير : سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز الدراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1999 م 0
- الحلّة السيراء ، محمد عبد الله القضاعي (ابن الأبّار) ، تحقيق : د0 حسين مؤنس ، الشركة العربيّة للطباعة ، القاهرة ، مصر ، د0ط ، 1963م 0
- درر السمط في خبر السبط ، محمد بن عبد الله القضاعي (ابن الأبار) ، تحقيق : عمر عز الدين موسى ، القاهرة ، مصر ، د0ط ، 1987م 0
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت 0

- الدعوة العباسية ، مبادئ وأساليب ، د0 حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت 0
- دولة الإسلام في الأندلس ، د0 محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1969م 0
- الدولة الموحديّة في المغرب في عهد المؤمن بن علي ، د0 عبد الله علي علام ، دار المعارف ، مصر ، د0ط ، د0ت 0
- ديوان ابن درّاج القسطلي ، تحقيق : د0 محمود علي مكي ، المكتب الإسلامي ، دمشق، د0ط ، 1961م 0
- ديوان ابن شهيد ورسائله ، جمعه وحققه ، محي الدين ديب ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م 0
- ديوان ابن هانيء الأندلسي ، طبعة دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت 0
- ديوان دعبل الخزاعي ، جمعه وحققه : د0 محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1989م 0
- ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدّم له ، د0 إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، 1960 م 0
- ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه ، علي مريس ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط1 ، 1996م 0
- ديوان ملك غرناطة ، (يوسف الثالث) ، تحقيق : عبد الله كنون ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ، الدار البيضاء ، د0ط ، 1958م 0
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 0 ابن بسام الشنتريني ،
- تحقيق : د0 إحسان عباس ، الدار العربيّة للكتاب ، تونس ، د0ط ، 1975م ، مطبعة القاهرة ، د0ط ، د0ت 0
- لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، د0ط ، د0ت 0

- رسائل ابن أبي الخصال ، لأبي عبد الله بن أبي الخصال ، تحقيق : د0 محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1988م 0
- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة (الترمذي) 297هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، د0ت 0
- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998م 0
- الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس ، محمد مجيد السعيد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، العراق ، د0ط ، 1980 م 0
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، لأبي القاسم عبد الله النيسابوري (470هـ) ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، طهران ، ط1 ، 1411هـ 0
- الشيعة في الميزان ، محمد جواد مغنية ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ط1 ، 2005م 0
- صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، بيت الأفكار الدولية للنشر ، الرياض ، العربية ، السعوديّة ، د0ط ، 1998م 0
- صحيح مسلم ، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت(261هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000 م0
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام ملوك العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، العلامة ابن خلدون 0
- منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، 1959م 0
- علق عليه ، تركي فرحان المصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999م 0
- عقائد الإماميّة محمد رضا المظفر ، قدم له : د0 حامد حفني ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، 2003م 0

- علي في الكتاب والسنّة ، حسن الشاكري ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1992م 0
- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبة) ، 838هـ ، طهران ، ط2 ، 2004م 0
- فجر الإسلام ، د0 احمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة الاعتماد القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1935م 0
- الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د0ط 1987م 0
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الأندلسي ، دار الكتب العالميّة بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996م 0
- الفهرست ، ابن النديم ، ضبطه وشرحه ، د0 يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2، 2002م 0
- في الأدب الأندلسي ، د0 جودت الركابي ، دار المعارف ، مصر ، ط4 ، 1975م 0
- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، ط2 0 1965
- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د0ط د0ت 0
- لسان العرب ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د0ط ، د0ت 0
- لغة الشعر عند الجواهري ، د0 علي ناصر غالب ، مطبعة الصادق ، بابل العراق ، ط1 ، 2005 م 0
- المختصر في أخبار البشر ، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل ، بيروت ، لبنان د0ط ، د0ت 0

- المراجعات ، عبد الحسين شرف الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، طبعة الكويت ، ط3 ، 2003م 0
- مسند الإمام احمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، د0ط ، د0ت 0
- معاني الأبنية ، د0فاضل السامرائي ، جامعة بغداد ، العراق ، ط1 ، 19981م 0
- المعجب في أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي ، (674هـ) ، نشره ، محمد سعيد العريان ، ومحمود العربي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، د0ط ، 1949م 0
- معجم المصطلحات البلاغية ، د0 احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ، د0ط ، 1987 م 0
- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المكتبة الإسلاميّة ، استانبول ، تركيا ، د0ط ، د0ت 0
- المغرب في حلي المغرب ، ابن سعيد المغربي ، تحقيق : د 0 شوقي ضيف دار المعارف ، مصر ، ط3 ، د0ت 0
- مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصفهاني ، مطبعة النبراس ، النجف الأشرف العراق ، د0ط ، د0ت 0
- مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد ، شارع محمد علي القاهرة ، د0ط ، د0ت 0
- الملل والأهواء والنحل ، الشهر ستاني ، تخريج ، محمد بن فتح الله بدران منشورات الشريف الرضي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط2 ، د0ت0
- مناقب علي بن أبي طالب ، الحافظ الفقيه ابن المغازي (483هـ) ، مطبعة دار الأضواء ، لبنان ، بيروت ، د0 ط ، د0ت 0

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزيّة) ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق : محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، دار الأمين ، القاهرة د0ط ، 1998م 0
- موسوعة أحاديث أهل البيت ، الشيخ هادي النجفي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002م 0
- النبوغ المغربي في الوطن العربي ، عبد الله كنون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط3 ، 1990م 0
- نفح الطيب في غصن أهل الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري 0
- تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 1949م0
- شرحه وضبطه : د0 مريم قاسم طويل و د0 يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995 م 0
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، دار حياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001 م 0
- نهج البلاغة ، جمعه : الشريف الرضي ، تقديم وشرح : الشيخ محمد عبده مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2006م 0
- الوافي في الأدب العربي في المغرب الأقصى ، محمد بن تاويت ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1998م 0

الرسائل الجامعية :

- لغة الشعر ديوان الحماسة (باب المراثي) ، رفاه علي نعمة ، رسالة ماجستير جامعة بابل ، كلية التربية ، 2001 م 0

الدوريات :

- حركات التشيع في المغرب وظواهره (مجلة المنهاج) ، عبد اللطيف السعداني س7 ، ع7 ، بيروت ، لبنان ، 2002م 0
- شعر عبد المجيد بن عبود الفهري ، د0 انقاذ عطا الله ، مجلة الأنبار ، جامعة الأنبار ، ع1 ، 1999 م 0
- مأساة الحسين في الأدب الأندلسي ، د0 عبد السلام الهرس ، مجلة المناهل الرباط ، المغرب ، 1979 م 0

Some of Shi ite men more to Morocco then to Andalus because of political and security reasons . Many try to destroy their doctrine and its values . This study (Sheaism in Insulation poetry) comes to express . the political and literal life of this doctrine in Andalus and to discover the heritage of She ite Andalusia poety emphasizing its values and originality as well as showing its aspects of skillfulness .

The study is four chapter besides the introduction and the preface in which shi ism in language and its political and social position as doctrine in Annulus has been tacked .

In the first chapter , the researcher explains the reasons behind shi ism movement from morocco to Andalus constituting countries of shi ism , for example , Beni Hammond Who try to keep their entity by following certain programmers . Thus they have their own literature which represents their directions . It is found that Praise poetry in comparison to other types of poetry is much more . Accordingly the study in the first chapter concentrates on it , Praise is directed to Ali and his sons (Peace be upon them) , Beni Hamoud , Al Mu iz le Dean Allah Al fatimy , Princes of Nationalism and some of Al Al- Beit - .

The third chapter is about epitaphs of Al – Hussein which are found to be different in their artistic and emotional levels but similar in their gool which to remind people of Al – Hussein catastrophe .

The researcher in the fourth chapter sheds light on the political and other kinds of poetry which can give vivid vision a bout Shi ims doctrine in that country .